386

أبو المظفر سعيد بن محمد السناري

A.M.

أشهر السفاحين في التاريخ

وقصصهم المرعبة

Months killers in history



Friday
27/9/2013





أشهر السفاحين في التاريخ

■ منذ فجر التاريخ والجريمة جزء لا يتجزأ من رحلة البشرية على الأرض بغض النظر عن المكان والزمان.

ولأن الخير والشر صفتان لصيقتان بالنفس الإنسانية فإن تغلب إحداهما على الأخرى هى الفيصل في جنوح صاحبها إما إلى العلو أو إلى السقوط.

ويقدم لنا التاريخ نماذج بشرية تخلت عن آدميتها، وتحولت إلى وحوش ضارية تغتال أحلام الأبرياء في العيش الآمن. هذه الوحوش لا تتورع عن سفك دماء ضحاياها دون رحمة أو وازع من ضمير، وفي جرائم بشعة يندى لها جبين الإنسانية، وتظل محفورة في ذاكرة الإنسانية بسبب وحشيتها ودمويتها.

وفي هذا الكتاب، نقدم أكثر نماذج الشر التي عرفها العالم عبر تاريخه، ونتتبع أكثر الجرائم دموية ورعباً وبشاعة لأخطر وأشهر السفاحين في التاريخ، مع دراسة وافية عن علم الإجرام والمجرمين، وماهية الجرائم وأسبابها ودوافعها وأكثر أنواعها شيوعا

هذا الكتاب هو رحلة في عوالم الشر، نتتبع فيها السجل الأسود للنفس البشرية، عندما يتملك منها الشيطان، فتندفع لتسفك دماء الإنسانية بدم بارد، ودون أن يرتجف لها جفن.

www.dar...tab.com
I.S.B.N. 978- ... 725-7






R4BIA

أَشْهَرُ السَّفَّاحِينَ فِي التَّارِيخِ وقِصَصِهم المرعبةِ

مع دراسة وافية عن علم الإجرام والمجرمين

الجرائم. ماهيتها. أسبابها. تفسيرها. دوافعها. أنواعها

جَمْعُ وترتيب

أبي المُظَفَّرِ سعيدِ بنِ محمدٍ السِّنَّارِيِّ



إهداء

إلى ذلك الإنسان الأوّل الذي قال له أخوه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾؟ (سورة المائدة:٢٧).

فقال له: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة المائدة: ٢٧-٣٠).

وإلى كل مَنْ همَّ بجريمة في حق نفسه أو الناس فتذكر الله واليوم الآخر ففاضتْ عيناه بالدموع.

وإلى كل مظلوم بات يدعو بالليل على ظالمه وقلْبُه بالآلام موجوع.

وإلى كل نادمٍ على ما فعله من الجرائم والمنكرات، وباكٍ على ما اقْتَرَفَتْه يداه من الظلم والمُوبِقاتِ.

أهدي هذا الكتاب

أبو المظفر السناري

أسماءٌ حفرت نفسها في تاريخ الإجرام الأسود
الذي يمثّل وصمة عار في تاريخ البشريّة بكامله
والحضارة المعاصرة خاصة.

مقدمة المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ما أغربَ الإنسانِ وما أكثر تناقضاته ومُفارَقاته، تراه حِينًا يُمثِّل دُور المُحِب المُشْفِق وهو يسْتبْطِن الكراهية، وحِينًا تظنُّه غاية في المروءة والشهامة ليفاجئك لاحقا بِمَدَى خِسَّته ونذالته، أو تراه يختبئ خلْف قِناع الدين والورع ليصل إلى غايات في منتهى الدناءة والوضاعة. (بالطبع لا أقصد التعميم).

ويبدو أن تتبُّع الحياة الشخصية من الجانب النفْسِي هو المفتاح الرئيسي للوقوف على الدوافع وفهْمِ هذا النوع من الرجال الذين يتخلُّون عن حياتهم الطبيعية ويتحوَّلون إلى مجانين ومَهْووسِين..

ومن جانبهم: يرى خُبَراء عِلْم النفْس أن لديهم أفكارًا جيدة عن مثل هذه الدوافع وشخصية الرجل الذي يتحوَّل إلى قاتل يُكرِّر جريمته بحقِّ ضحايا مُعيَّنين.

ويبقى السؤال الذي يتردَّد دائمًا: هو ما الذي يقود هؤلاء الأشخاص إلى مثل هذه الحالات المَرَضِية؟ وما الذي يجري في دواخل أدْمِغَتهم؟

يقول «مايك بيري» أخِصَّائي نَفْسي بالجريمة من جامعة «مانشستر متروبلين»: يبدو القاتل شخصًا واثقًا من نفسه ومُنظَّمًا، ويُوحِي في الغالب بأنه شخص كبير وناضج في سُلُوكياته..

كما أنه يبدو ذلك الشخص المرتاح والطبيعي في المناطق التي تكثر فيها المَوَاخِير والحانات والأماكن المَوْبُوءة.. ومن الممكن أن يكون من بين الأشخاص الذين يشتركون في ألعاب القمار والمقامرة، وربما يكون معروفًا بين الناس الذين يرتادون هذه الأماكن..

وقد يكون ذلك الشخص مُنْدفعًا وتستحوذ عليه الرغبة في الانتقام من النساء.. ومن المحتمل أن يكون يشكو من مرضٍ انتقل إليه عن طريق ممارسات شاذة.. أو أنه مَدْفوع ومُسَيَّر عَبْرَ الغِطاء الديني المتوهَّم، أو أنه من النوع المأخوذ بأفكار دينية ولكنها خاطئة!! أو تتملَّكه رغبة بتطهير الشارع من مرتكبي الخطيئة.

لذا ما الذي يُجْبر الرجال على ارتكاب مثل هذه المجازر البَشَريَّة؟[١]

لم أكن أعتقد أن دوافع الإجرام قد تصل بالمجرم يومًا إلى أن يعْمِدَ إلى تقطيع ضحيته قِطَعًا صغيرة، أو العبَث بجثة المقتول على وجْهٍ تقْشعِرُّ له الأبدان!

أو أن الوحشية قد تبلغ به مَبْلغًا يجعله يأكل من جسد الضحية أو يبيع لحْمَها على أنه لحْمٌ بقَرِيٌّ طازج!

لا أُخْفِي القارئ أنني كنتُ أُصاب بالغثيان أكثر من مرة وأنا أتجول في قراءة تفصيل تلك الجرائم البشعة مما سطرنا بعضه في هذا الكتاب!

لكن: بِقَدْر اشمئزازي مما كانت تقع عليه عيناي من وحْشية تلك التراجم؛ بقدْر ما كان يقيني يزداد بأن كل من حادَ عن شريعة ربه، وانسلخ من تعاليم دينه، واتبع هَوَاه فيما يأمره به، ورَكَضَ خلْف شهواته دون أن يكون له وازعٌ أو زاجِرٌ من نفْسه، فإنه لا ريب خاسرٌ نفسَه قبل أن يخسر الآخرين، وقاتلٌ نفسَه قبل أن يقتل غيره، وسافكٌ دماءه قبل أن يشرب من دماء ضحاياه!

وإذا كانت تلك الحياة كلها إنما سخَّرها خالقُها لتكون متاعًا للإنسان؛ فإنا نُدرِك بهذا حقيقة مَنْ يُزهِق روحَ إنسان بغير حق، لأنه في الواقع إنما يُزْهِق كل روحٍ في تلك الحياة، أو إنما يقتل الحياة نفسها!

١- نقلا عن مقال منشور في الصحيفة البريطانية: (الديلي إكسبرس/ Daily Express) تحت عنوان (Deviation about the crime.. Why commit Thugs Mjazarhm human..). نقله إلى العربية الموقع العربي (نبأ نيوز) تحت عنوان (الانحراف نحو الجريمة.. لماذا يرتكب السفاحون مجازرهم البشرية..!؟) وهو منشور بتاريخ: (الأربعاء: ١٠-يناير- ٢٠٠٧ م.).

وقد صدَق رب العالمين حين قال:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

وهذا الكتاب: هو الحلقة الأولى من سلسلة حلقات بعنوان «**سفَّاحون أرعبوا العالم**» أو «**أشهر السفَّاحين في التاريخ**» انتخبنا فيها جملة مشاهير القَتَلَة والمجرمين المشهورين بِسَفْكِ الدماء وإزهاق أرواح الأبرياء!

واقتصرنا منهم: على السفَّاحين المَحَلِّيين من أبناء المجتمع وعامَّة الناس، فلم نذْكُر فيهم القادة ولا السَّاسَة ولا الملوك ولا الأمراء ولا الرؤساء ممن تلطَّختْ أيديهم بدماء العشرات بل الألوف بل الملايين! ورأينا أن نجمع لهؤلاء القتَلَة من أصحاب المناصب كتابًا خاصًّا أو سلسلة تجمعهم كما سنفعل مع القتلَة من عامة الناس.

وقد نذكر في السلسلة الأولى بعض أصحاب المناصب لغرضٍ رأيناه، أو لمقصدٍ اسْتحْسنَّاه، وقد اخترنا منهم في هذا الكتاب: القائد والجنرال النازي «**جوزيف مينغلي**». والمرشال الفرنسي: «**غيل دي ريز**». فقط.

وكذا سنجمع كتابًا خاصًّا بالنساء السفَّاحات على مدى العصور، وربما تكون سلسلة كما سنفعل مع الرجال! فقد وجدتُ من النساء السفَّاحات «**أو الجِنْس اللطيف**»! مَن فاقتْ أشرسَ القتلَة في الإجرام والوحشية وسفْكِ الدماء!

ولهذا الأمر: لم نذكر ولن نذكر واحدة من النساء في «**سلسلة السفاحين**». كما لم نذكر ولن نذكر أحدًا من الرجال في «**سلسلة السفَّاحات**»..

وقد رأينا أيضًا: أن نجمع لمشاهير «السفاحين العرب» كتابًا أو سلسلة تكون لهم وحدهم، كما فعلنا مع مَنْ سواهم. إذ ليسوا بأقلِّ شراسة وسَفْكًا للدماء من غيرهم!

وقد قدَّمْنا بين يَدَيْ كل سلسلة بمقدمة نفيسة حول الجريمة وعلم الإجرام ومعرفة القَتلَة المُتَسَلْسِلين ودوافع الانحرف، وأقسام القتَلَة والمجرمين.

وليس غرضنا من هذا الكتاب هو التسلية فقط! بل مقْصدُنا الأسْمَى منه يأتي على عدة مراتب:

أولها: أخْذُ العِبْرة من القصص الإجرامية، والنظَر في أحوال الظالم والمظلوم، والتأمُّل في دواعي القتل والجريمة، والتفكُّر في طرق الخلاص منها على قدْر الاستطاعة.

وثانيها: التبصُّر في نهايات القتلَة وسافِكِي الدماء، وكيف أن أكثرهم لم يفْلِتْ من يد القانون، وأنه قد لَقِيَ جزاءه إمَّا شنْقًا أو حَرْقًا، أو تحت المِقْصَلَة، أو بحُقْنة قاتلة أو انتحارًا بيده نفْسِه! وما يدَّخِره الله له في الآخرة أعظم وأشد.

وثالثها: البحث عن النجاة من المهالك بمخالفة شهوات النفْس ورغباتها فيما يضر المجتمع والناس، وكيف أن القاتل لو تفكر قبل ارتكابه جريمة القتل بغير حقٍّ؛ لعلِمَ أنه في الحقيقة إنما يقتل نفسه بيديه!

ورابعها: الإسراع بالندم والتوبة لمن ارتكب شيئًا من المُوبِقات دون أن تناله سيوف العدالة! وأن من ظلم إنسانًا في نفْسه أو ماله أو عِرْضه فلا بد له من أن يأتيَه فيجلس بين يديه طالبًا منه الصَّفْح والغفران أو العدْل والقِصاص. لأن كل مجرم يفْلِت من عقاب الدنيا لا شك أنه لن يفلت من عقاب الله في الآخرة!

وخامسها: الإيقان بأن الحياة ما هي إلا أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ مَوْقُوتة، وأعمارٌ مُقدَّرة، وأرزاقٌ مُقسَّمة، وأن الله ابتلى الإنسان بوجوده في هذا الدنيا لينظر إليه كيف يصنع فيها؟

هل يتقي اللهَ -ربَّه- في دينه ونفسه وأهله ووطنه والناس أجمعين؟

أم يَسْعَى في الأرض فسادًا وهو يعلم أن الله لا يحب المفسدين؟

المؤلف

الجريمة وعلم الجريمة

الجريمة: مصطلح يُطلَق على ممارسة التصرف الممنوع قانونًا. فقتْلُ الإنسان يُعدُّ جريمة في كل البلاد. والجرائم الأخرى تشمل: السرقة، ومقاومة الاعتقال، وحِيازة المخدرات وبيعها، وخدْش الحياء في الطريق العام، وقيادة السيارة تحت تأثير الكحول، والسطْو على المصارف وغيرها.

وتتغير قائمة الأفعال التي يُمكن أن تُعَدَّ جرائم بصورة مستمرة. فقد كان تلوُّث الماء والهواء مثلًا، يسبب مشكلات ضئيلة في الماضي، أما اليوم فقد أصبح تلويثها من أخطر الجرائم.

والجريمة في لغة العرب: هي الذنب والتعدي. وعند علماء الإسلام هي محظور شرعي معاقَب عليه بقصاص أو حَدٍّ أو تعزير. وتكون الجريمة بفعل شيء نهى الشارع عنه: كالقتل والزنا والقذف والسرقة والحِرابة وشُرْب الخمر.

كما قد تكون الجريمة أيضًا بترْك شيء أمر الشارع بفعْله كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما أمر الشارع به. وتنقسم الجريمة في الشريعة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام:

١- جريمة مُعاقَب عليها بالقصاص. وهي التي حصل الاعتداء بها عمدًا على نفْس (بدَن) معصومة بالقتل أو بالقطْع أو بالجرح. وهذا القسم عند بعض العلماء يُسمَّى جناية وللمجني عليه أو وارثه حق العفْو لأن المُغَلَّب فيه حقُّ الآدمي.

٢- جريمة معاقَب عليها بالحدودِ. وهي التي يكون الاعتداء بها على حق العبد وحق الأمة بجانب الاعتداء على حق الله تعالى: كالزنا والسرقة والحرابة وشُرْب الخمر. وهذا القسم لا يُقْبَل فيه العفو بعد الوصول إلى الحاكم؛ لأن المغلَّب فيه حق الأمة كلها.

٣- جريمة معاقَب عليها بالتعزير. وهي الجرائم التي لا حد فيها ولا قصاص. وذلك كالاستمتاع فيما دون الوطْء، والقذف بغير الزنا، وسرقة ما دون النِّصاب، أو من غير حِرْز مثله، وكذا ما كان من صفْع، ووكْز، وشهادة زور، وأخْذِ رِشْوة وغير ذلك مما لا حدَّ فيه ولا قِصاص.

وقد وضع الإسلام لكل جريمة عقوبة تتناسب معها وتندفع بها، فلما كانت الجريمة ثلاثة أنواع فالعقوبة أيضًا ثلاثة أنواع تقابلها:

١ - القِصَاص:

وهو في لغة العرب مأخوذ من القَصِّ وهو القَطْع، وفي الشرع: هو أن يُفْعَل بالجاني مثل ما فعل أو شبْهه. وهذه العقوبة إنما هي جزاء وعقاب مُرْتكِب أيَّة جريمة من جرائم القصاص. فمن قتل نفسًا قُتِل، ومَنْ قَطَع عضوًا أو طرَفًا لآخر قُطِع عضْوُ أو طرَفُ ذلك الآخَر، وهكذا.

٢- الحَدّ:

وهو في لغة العرب المنع والحجز وفي الشرع عقوبة مقدرة شرعًا على معصية في حق الله تعالى وحق الآدمي والأمة.

وهذه العقوبة تقام على مرتكب أيَّة جريمة من جرائم الحدود أو ما شابهها، وتطبق بالحد الذي شرعه الله، فمثلًا حدُّ الزنا مائةُ جلدة لكل من الزانية والزاني غير المُحْصن والرجْم بالحجارة حتى الموت لمن زنى مُحْصَنًا.

وحَدُّ السرقة قطع يد السارق، وحدُّ شرب الخمر ثمانون جلدة، وهكذا تُطبَّق الحدود حسب ما قدَّرها الشارع كل بقدره.

٣- التعزير:

وهو في لغة العرب بمعنى التأديب. وفي الشرع: تأديب على ذنب لا حدَّ فيه

ولا قِصاص. وهذه العقوبة تقام على مرتكب أية جريمة من جرائم التعزير أو ما شابهها، وعقوبة هذا النوع غير مقدَّرة شرعًا، وترَك الشارع تقديرها للحاكم حسب ما يراه رادعًا وزاجرًا للفاعل.

وهذا النوع من العقاب (التعزير) يجعل الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وافية بالردْع والعقاب لِمَا يَجِدُّ من حوادث وجرائم، حيث ترك الشارع تقدير العقاب فيها للحاكم حسب الأزمنة والعصور وما يكون منها فسادًا في زمان أشد منه في زمان آخر. فللحاكم حينئذ أن يُقدِّر العقاب الذي يراه رادعًا للمعتدي.

وتُعَدُّ الجريمة من وجْهة النظر القانونية انتهاكًا للقانون الجنائي، وهذا القانون يتعلق بالأفعال التي تُعدُّ مُضِرَّة بالمجتمع. ومن جهة أخرى فإن معظم الأفعال الضارة التي تسبب إصابة لشخص آخر تعد انتهاكًا للقانون المدني.

وفي هذا التصنيف تداخُل دون شك. فمثلًا جرائم القتْل العَمْد والاغتصاب تُرتَكَب ضد الأفراد، ولكن القانون يعدُّها جرائم؛ لأنها تُهدِّد المجتمع، ولهذا السبب فإن الجريمة تُعدُّ في الوقت نفسه جناية ضد الدولة.

ويُعدُّ الفعل جريمة إذا توافر الدليل الكافي الذي يُمكِّن ضابط الشرطة أو المدَّعِي، أو القاضي من الاعتقاد أنه قد حدث انتهاك للقانون الجنائي. لكن القانون لا يعدُّ الأشخاص المتهمين مجرمين إلا إذا وجدهم القاضي أو هيئة المُحَلِّفين -في بعض الدول- مذنبين.

وقد يتم سجْن المجرم أو عقابه بطريقة أخرى حسب قوانين المجتمع الذي ارْتُكِبَتْ فيه الجريمة، أو الذي تمت فيه المحاكمة. والشخص الذي يرتكب أيَّة جريمة يُسمَّى مجرمًا. ولكن اللفظ يُسْتَخْدَم أحيانًا للشخص الذي يرتكب جريمة خطرة فقط مثل: القتل أو النهْب. وفي أحيان كثيرة يُطْلَق اللفظ على المجرمين العاديين.

وتُعْرَف دراسة السلوك الإجرامي باسم علم الجريمة، ويُعْرَف الخبير في هذا المجال باسم عالِم الجريمة. ويَدْرُس علماء الجريمة الجرائم والمجرمين لأسباب عديدة، وربما يحاولون تحديد مكان وزمان وسبب حدوث أنواع مختلفة من الجرائم. كما يبحث علماء

الجريمة العلاقات بين المجرمين والضحايا، وكذلك أنجح السبُل لمَنْع الجريمة.

الجريمة السياسية:

ازداد الاعتقاد في عدِّ الجريمة السياسية نشاطًا إجراميًّا خطرًا. وتشمل الجرائم السياسية الإرهاب ضد الأشخاص المسالمين، والاغتيالات للشخصيات السياسية القيادية في أنحاء العالم.

وخلافًا للكثير من المجرمين الذين يبحثون عن المال أو المنفعة الشخصية من خلال الجريمة، فإن معظم الإرهابيين ومُرْتكبي الاغتيالات يرتكبون الجرائم للتعبير عن مساندتهم لقضية سياسية. ومنذ أوائل سبعينيات القرن العشرين الميلادي، أصبحت الجرائم السياسية مثل: اختطاف الطائرات، والاغتيالات، والتفجيرات، واحتجاز الرهائن أكثر حدوثًا. ونتيجة لذلك: اتخذت الحكومات في كل أنحاء العالم الخطوات اللازمة للحماية ضد الإرهابيين. فمثلًا: تمَّ زيادة إجراءات الأمن في المطارات، والسِّفَارات وغيرها من المواقع المستهدَفة، كما تم تدريب وحدات خاصة من قوى الأمن أو الجيش لمكافحة الإرهاب.

أسباب الجريمة:

يرتكب الناس الجرائم لأسباب عديدة، فكثير من الناس يسرقون أشياء، لأنه ليس بوسْعهم الحصول عليها بطريقة أخرى. وآخرون: مثل مدمني المخدرات يسرقون للحصول على النقود لشراء المخدرات أو الأشياء الأخرى التي يحتاجونها.

وبعضُ سارقي المتاجر يسرقون للمتْعة، ولكن بعضهم يسرق لزيادة ميزانية الأُسْرة. وكثير من سارقي السيارات يأخذون السيارات للتمتع بقيادتها، ولكن بعضهم يقوم بِفَكِّ أجزاء السيارة المسروقة وبيعها.

وكثير من المختلسين يسرقون نُقودًا من مخدميهم لمقابلة ظروف شخصية طارئة، وفي نيتهم إعادة النقود. وتختلف الدوافع أيضًا في جرائم العنف، فالذي يريد أن ينهب

قد يقتل الضحايا لتفادِي متابعته وكشفه. وبعض أفراد العصابات يُعذِّبون ضحاياهم للحصول على الأموال. وقد يضرب رجل زوجته وهو في حالة هِيَاج وغضب أثناء مشاجرة.

التفسيرات البيولوجية والنفْسِية للجريمة:

حاولت دراسات كثيرة تفسير الجريمة. وقارنت بين المجرمين ذوي السوابق وبين الناس الذين لم يرتكبوا جرائم؛ لمحاولة إيجاد فوارق مهمة بين المجموعتين.

فمنذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، قام باحثون مُدرَّبون في علوم الأحياء بالبحث عن فوارق ملموسة. واشتملت تلك الدراسات على الاختلافات في البِنْية الجسدية، وفي طريقة موجات الدماغ، وتكوين المورثات. ولم تُبَرْهن أيٌّ من تلك الدراسات على أن للمجرمين سمات مادية تُميِّزهم عن غيرهم.

وقد ركَّزت الأبحاث التي أجراها العلماء والأطباء النفْسيون على الاختلافات في الشخصية الناتجة عن تجارب الطفولة وما يعقبها. وقد أوضح هذا البحث أن كثيرًا من الناس الذين يصبحون مجرمين قد سبق لهم أن أُهْمِلوا من قِبَل أهليهم، أو قد تمَّ عقابهم بطريقة قاسية أو غير سليمة.

وقد جعلتهم هذه المعاملة يشعرون بعدم الأمان فتسوء علاقاتهم بالآخرين. وقد جعلتهم مطالبهم الخاصة يُهْمِلون احتياجات الآخرين وحقوقهم. لكن الباحثين واجهوا صعوبة في الربْط بين الحاجات العاطفية والجريمة؛ لأن العديد من الأشخاص الذين لديهم مشكلات عاطفية يجدون طرقًا مقبولة لحلها.

الظروف الاجتماعية والجريمة:

أجْرَى علماء الاجتماع دراسات حول الجريمة ركَّزتْ على الجيران والمجتمع بدلًا من الفرد. وبعض هذه الدراسات تعالج الطريقة التي يُصبِح بها الشخص ممتهنًا للجريمة، وبعضها الآخر يُحاول تفسير الاختلافات في معدلات الجريمة.

تَحْدُث أعلى معدَّلات الجريمة في المجتمعات الغَرْبية وفي أكثر الأحياء فَقْرًا في المدن الكبيرة. ففي مثل هذه الأحياء يصعب تدريب الأطفال ليصبحوا مواطنين ملتزمين بالقانون. وبهذه المناطق نسبة عالية من الأسر المُفكَّكة، وحتى في كثير من البيوت- رغم وجود الأبوين- إلا أن المشكلات العاطفية، والصحية والمالية تُؤثِّر على حياة الأُسرة. وتُوجَد في الأحياء الفقيرة مدارس مُهْمَلَة في الغالب ومعدلات بطالة عالية. وإلى جوار هذه توجد المساكن المكتظة والوسائل الترفيهية البائسة.

يجد كثيرون من الشباب في المجتمعات الغربية المقيمين في المدن مُتْعة في التجول في الطرقات، لأنها تُعَدُّ بالنسبة لهم وسيلة للهروب من الملل والمشكلات التي لا تبدو لها أي حلول.

وتُعَدُّ الطرقات أيضًا مجالًا للرذيلة والجريمة مثل: تعاطِي المخدرات، وبيْعها، والقمار، والدعارة، والسُّكْر في الأماكن العامة، وأعمال العُنْف. وتطبيق القانون داخل تلك المدن أمر صعب؛ لأن عدد ضباط الشرطة الذين يجُوبُون المناطق المجاورة قليل، وإضافة إلى ذلك فإن العديد من الناس يتهيَّبون رجال الشرطة ويرفضون التعاون معهم.

ومعظم ساكني الأحياء الفقيرة العالية الجريمة في كثير من المدن الكبيرة وفي المجتمعات الغربية أعضاء في مجموعات الأقليات العِرْقية. ونتيجة لذلك فإن معدل الجريمة في مثل هذه الأقليات أعلى منه في مجموعة الأكثرية.

وإضافة إلى ذلك فإن مجموعة الأقلية غالبًا ما يكونون ضحايا للجرائم. وهذا الاتجاه لا يعني أن الأقليات أكثر إجرامًا، فقد ينشأ هذا نتيجة لأن المجموعات الاجتماعية القليلة الدخْل وغير المميزة اجتماعيًّا التي ينتمون إليها هي التي توجَّه إليها جهود تطبيق القانون في جميع البلاد. وقد يكون هذا ناتجًا عن طريق السُّكر أو أن تواجدهم في الطرقات، بِحُكْم نَمَط حياة هذه المجموعات، يجعلهم دائمًا في احتكاك مع الشرطة.

في كثير من البلاد، يفوق عدد مرتكبي الجرائم من الفتيان والشباب عدد المرتكبين من الرجال. فهم بصفة خاصة أكثر من يحتمل قيامهم بارتكاب السطْو وسرقة السيارات

والنهب. أما النساء فقد أصبحن يرتكبن جرائم كثيرة حاليًا خاصة الجرائم الاقتصادية، وهذا الاتجاه عام في البلاد الغربية. وهو يعكس الحرية الكبيرة التي تحظَى بها النساء اليوم والفُرَص الواسعة التي يجِدْنَها. واليوم يدخل كثير من النساء إلى القُوَى العاملة، وهن أكثر تعرُّضًا للمواقف التي تواجههن بالجريمة.

إن الحدَّ الأدنى لِعُمْر الخارجين على القانون قد تدنَّى كثيرًا. فكثير من الأطفال وصغار السِّنِّ يرتكبون مخالفات خطيرة مقارنة بالسابق. ومعظم بلاد الغرب تُعاني من هذه الظاهرة.

وهناك عدة أسباب تجعل صغار الناس يرتكبون معظم الجرائم. فكلما يتقدَّم العمر بالناس ويستقرُّون في وظائفهم وتربية أطفالهم، فإنهم يحصلون على حِصَّتهم في المجتمع، ولا يخاطرون بفقْدها نتيجة منفعة مُؤقَّتة.

ومن الجهة الأخرى فإن كثيرًا من الصغار لهم فُرَص قليلة من الوظائف. فوظائف العمال غير المَهَرة تبدو ضئيلة مقارنة بالعوائد السريعة والمُغْرية للسرقة. ولصغار العُمر استعداد أكثر للمخاطرة للاعتقال بسبب قلة أنْصِبتهم من الأشياء.

تُرْتَكَب جرائم عنف عديدة بوساطة الناس ذوي المعرفة بضحاياهم. فنسبة عالية من حالات القتل العمد، مثلًا، يكون القاتل والضحية على اتصالٍ ببعضهما. وفي الواقع نجد أن سدس حالات القتل العمد التي ارتُكِبت في الولايات المتحدة، مثلًا: إنها ارتكبها أحد أفراد أسرة الضحية، وفي حالات عديدة، وبسبب أن كثيرًا من القتلة يعرفون ضحاياهم، فإن الشرطة استغرقت وقتًا بسيطًا نِسْبيًّا لتحديد القاتل.

ونتيجة لذلك فإن معدل اعتقال القتَلَة ومحاكمتهم مرتفع. وتعاني الشرطة من تحديد مجْرمي النهْب والسطْو، لأن القليل منهم يعرفون ضحاياهم أو على علاقة بهم.

منْع الجريمة:

عكف القانون الجنائي لمئات من السنين حول فكرة وجوب معاقبة مَنْ يرتكبون

الأخطاء على جرائمهم. ويتمثَّل المبرر الرئيسي للعقوبة في المحافظة على القانون والنظام واحترام السلطة.

ومن وجهة النظر هذه: فإن العقوبة تُؤدِّي إلى شيئين: فهي تدعم القانون، وتمنع الآخرين من التفكير في فعْل الشيء نفسه دون أن يعاقَبوا. إن العقاب مبْنِيٌّ على فكرة أن أُناسًا كثيرين لديهم رغبة مكبوتة للقيام بأفعال ممنوعة. وبمعاقبة أولئك الذين يخرجون على القانون، فإننا نؤكِّد لأنفسنا أننا على حق في ضبْط هذه الرغبة ومراقبتها. وأصبح من المعْتقَد أن العقوبة تؤدي إلى مساندة القانون ودعمه.

ويؤكِّد الكثيرون من خُبَراء الجريمة على ضرورة تحسين أداء هيئات العدالة كالشرطة، والمحاكم والسجون. ويوضِّح خبراء الجريمة أن قُوَى الشرطة المؤهَّلة والمُزَوَّدة بالوسائل والمنسَّقة تكون أكثر فعالية في ضبْط الجريمة.

ويُعدُّ إصلاح معتادي الإجرام وإعادة تأهيلهم من الطرق الرئيسية لتقليل الجرائم. فالمشكلة الأساسية ليست مَنْ يرتكب الجريمة لأول مرة أو مَنْ يسرق الأشياء الصغيرة، بل من اعتاد الإجرام، وأصبح يرتكب جرائم خطيرة بصورة متزايدة. وحسب رأي خُبراء الجريمة، فإن الجريمة ستقِلُّ بطريقة كبيرة إذا أمكن إبعاد هؤلاء المخالفين عن ارتكاب الأفعال الخاطئة. وعلى كُلٍّ فإن السجون قد حققتْ نجاحًا بسيطًا في إصلاح النُّزلاء. ونسبة عالية ممن تمَّ اعتقالهم من الناس لهم سِجِلٌّ سوابق.

ربما يُمْكن تحسين إصلاح المجرمين بدرجة كبيرة، إذا تمكَّن الخُبَراء من تقديم البرامج الصحيحة لإصلاح حال المجرمين. فالمجرمون يختلفون اختلافًا كبيرًا في أنواع الجرائم التي يرتكبونها، وفي مشكلاتهم العاطفية وفي ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية. ولا يمكن مساعدة جميع المجرمين بطريقة واحدة في المعاملة. فكثير من المجرمين يحتاجون إلى مساعدة طبية أو نفسية. وبعضهم الآخر يتجاوب بصورة جيدة مع التعليم والتدريب المِهَني. ولكن كل الأموال المخصَّصة للسجون تقريبًا تُصْرَف على الطعام، والملابس وضبْط السُّجُون.

ومنذ أواخر سبعينيات القرن العشرين الميلادي برز اتجاه نحو العقاب لا الإصلاح في العديد من البلاد. وأصبحت الأحكام بالسجن أطول. وأصبح استخدام عقوبة الإعدام يتزايد في الولايات المتحدة منذ أن قامت المحكمة العليا برفْع الحظْر عليها منذ عام ١٩٧٦م.

وفي بعض الأقطار الإسلامية فإن عقوبة الإعدام والقصاص وقطْع يد السارق اسْتُخْدِمَتْ من قِبَل المحاكم في جرائم غير القتْل وذلك تبَعًا لتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء التي تحْمي البلاد من شرور المجرمين.

وهذا ما نص عليه الدين الإسلامي قرآنًا وسنة، وساعد على التخلص من الجريمة خاصة. وقد وفَّرتْ هذه المجتمعات الإسلامية التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وفُرَص الكسْب الحلال وسبُل صلاح المجتمع، مما انعكس على تراجع مُعدَّلات الجريمة عن الأقطار الغربية التي سادها التفكك الاجتماعي والأسري.

وعلى كل حال فإن منْع الجريمة يجب أن يستهدف منع الناس من أن يكونوا مجرمين في المقام الأول. وهذا الغرض يمكن أن يستفيد من برامج الإصلاح في الأحياء الفقيرة بالمراكز الحضرية. وتُغطِّي هذه البرامج تحسين السكن، والمدارس والترفيه وزيادة فُرَص العمل.

وهناك طرُق أخرى للتقليل من الجريمة. إذ يمكن تعليم الناس أو إقناعهم باتخاذ احتياطات أكثر ضد الجريمة. فيمكن تعليمهم، مثلًا كيفية حماية منازلهم من حوادث السطو. ويمكن أن تقِلَّ سرقة السيارات كثيرًا إذا قام جميع السائقين بأخذ مفاتيحهم وإغلاق سياراتهم عند تركهم لها.

كذلك فإن الإضاءة الأفضل تساعد على منْع خطف حقائب اليد وغيرها من السرقات التي تحْدُث في شوارع المدن وساحاتها. ويعتقد الكثيرون من الخُبَراء أن جعل قوانين ترخيص الأسلحة أكثر صرامة سيُؤدِّي إلى تقليل الجريمة.

عِلْمُ الجريمةِ:

يُعْنَى عِلْم الجريمة بدراسة الجريمة والمجرمين والسلوك الإجرامي والقضاء الجنائي دراسة علمية. ويقوم علماء الجريمة بالبحث في العوامل ذات العلاقة بالجريمة. كما يدرسون الأفراد بُغْية التوصُّل إلى معرفة: كيف ولماذا يُقْدِم بعض الناس على ارتكاب الجرائم. وتشمل معظم البحوث في علْم الجريمة ميادين متعلقة بالجريمة، مثل: علم الاجتماع وعلم النفْس والطب النفْسي.

يساعد عِلْم الجريمة على فهْم طبيعة الجريمة، حيث تُساعد نتائج أبحاثه قادة المجتمعات والمسؤولين عن تطبيق القانون في جهودهم الرامية إلى منْع الجريمة. كما يُساهِم علماء الجريمة في التوصل إلى أفضل السبل لعلاج المخالفين.

يُدَرَّسُ عِلْم الجريمة بصفة عامة في كلية الحقوق أو الطب أو عِلْم الاجتماع، التابعة لأحد المعاهد أو الجامعات. كما أن في بعض الجامعات أقسامًا خاصة بعلْم الجريمة، أو القضاء الجنائي.

وقد أكّدت الدراسات في علم الجريمة على العلاقة بين السمات البيولوجية والسلوك الإجرامي. لكن علْم الجريمة اليوم، يركز كثيرًا على الأسباب الاجتماعية والبيئية التي تدفع الأفراد لارتكاب الجرائم، لذلك تزداد أهمية الدور الذي يضطلع به البحث الاجتماعي في علْم الجريمة.

ماذا يَدْرُس علماء الجريمة:

يُكرِّس علماء الجريمة الكثير من البحث لدراسة العوامل الشخصية أو العوامل الأخرى التي تُؤدي إلى ارتكاب الجرائم، إذ تتناول معظم الأبحاث في علْم الجريمة الأوضاع البيئية التي ترتبط بالجرائم. وتُركِّز بعض الدراسات على العلاقة بين الجريمة والعوامل البيولوجية الأخرى مثل: تركيب الدماغ والاضطرابات الكيميائية. كما تؤكد أبحاث أخرى على الدَّوْر الذي تقوم به عواطف الناس ودوافعهم في السلوك الإجرامي.

تُسْتَخْدَمُ نظريات علم الاجتماع وأساليبه بمثابة المنطلق الأساسي في معظم الدراسات التي تُعنى بالأسباب البيئية التي تقف وراء الجرائم، ويبحث كثير من العلماء في العلاقة بين الجريمة والمشكلات الاجتماعية الأخرى، بما فيها الفقر والمساكن السيئة والاكتظاظ السُّكَّاني. كما يدرس بعضهم كيف يُكتَسَب السلوك الإجرامي من خلال معاشرة الناس، بمن فيهم المجرمون ممن لا يحترمون القانون.

ويدرس علماء الجريمة كذلك عِلْمَ العقاب، وهو علم معاقبة المخالفين وعلاجهم. وخلال العَقْد الأول من القرن العشرين، بدأ علماء العقاب بتأكيد أهمية إعادة تأهيل؛ أي معالجة المجرمين بهدف إعادتهم إلى ممارسة حياتهم المفيدة، إلا أن الدراسات التي أُجْرِيَتْ في السبعينيات أظهرت عدم جدْوَى إعادة التأهيل.

ويُوصِي علماء الجريمة اليوم بأهمية العقاب أكثر من أي وقت مضى، وبسرعة تقديم المتهمين للمحاكمة، وبفرض أحكام عادلة ومتجانسة، وتأمين سجون يُراعَى فيها قدرٌ أكبر من الاعتبارات الإنسانية.

ولا يعتقد معظم علماء الجريمة أن أساليب البحْث الجنائي جزء من علم الجريمة. فالذين يقومون بالبحث عن الأدلة الجنائية وأعمال التحرِّي الأُخرَى التي يقوم بها المخبرون هم عادة أعضاء في قوات الشرطة.

نبذة تاريخية:

بدأ عِلْم الجريمة في الظهور بوصفه مجالًا دِراسيًّا مستقلاً في القرن الثامن عشر الميلادي. ففي عام ١٧٦٤م. قام أحد خبراء الاقتصاد الإيطاليين ويُدْعَى «سيزر بونيسانا مركيز دي بيكاريا» بتأليف كتاب بعنوان: «في الجرائم والعقوبات». وقد أصبح هذا الكتاب أساس المدرسة التقليدية في علم الجريمة.

وقد احتج «بيكاريا» وأتباعه ضد العقوبات الصارمة التي كانت تَنْزِل بالمجرمين عادة في ذلك الوقت. وقالوا إن الهدف الوحيد من العقوبة يجب أن يكون منع ارتكاب الجريمة في المستقبل. وقد افترض «بيكاريا» أن المجرمين يتمتعون بحرية الإرادة، وأن

تصرُّفاتهم تأتي بدافع المُتْعة أو الألَمَ. وكان يعتقد أن من الممكن منع ارتكاب الجريمة عن طريق حتْمية العقاب وسرعة تطبيقه، بدلًا من قسْوته.

ويقول «بيكاريا»: إن كل من انتهك قانونًا معيَّنًا يجب أن ينال العقوبة ذَاتها، بغض النظر عن السِّنِّ والجنْس والثروة، أو المكانة الاجتماعية. وتُعَدُّ مبادئ المدرسة التقليدية بشكلها المُعدَّل أساس القانون الجنائي اليوم في كثير من البلدان.

أما المدرسة الإيجابية في علم الجريمة، التي تُعْرَف بالمدرسة الإيطالية فقد تطورت في أواخر القرن التاسع عشر. وقد نقلت هذه المدرسة التركيز بصفة عامة في علْم الجريمة، من الجريمة ذاتها إلى دراسة المجرمين والأسباب المحتملة وراء تصرفاتهم. ويعتقد الإيجابيون أن السلوك الإجرامي، ينتج عن أوضاع لايمكن للمجرم التحكم فيها.

كان أبرز زعماء المدرسة الإيجابية «سيزر لومبروسو»، وهو طبيب إيطالي وقد درس كثيرًا من المجرمين وتوصل إلى أن بعض الصفات البدنية ميَّزتْ هؤلاء المجرمين عن بقية الناس. إلا أن أفكاره ثبت بطلانها، على الرغم من أن منهجه العلمي في دراسة الجريمة، أرسى ركائز علم الجريمة الحديث.

وفي القرن العشرين الميلادي، اقترح علماء الجريمة أنواعًا شتَّى من النظريات في الجريمة. فقد طور «إدوين سذرلاند» وهو من علماء الجريمة الأمريكيين نظرية المصادقة التفاضلية، التي تنص على أن السلوك الإجرامي بأكمله، يُكْتَسَب من خلال مصادقة المجرمين أو الخارجين على القانون.

ويعتقد آخرون من علماء الجريمة، أن بِنْيَةَ المجتمع تدفع بعض الناس إلى اللجوء إلى أساليب إجرامية، سَعْيًا وراء الحصول على مكاسب كالثروة أو المكانة الاجتماعية. ومع ذلك يقول علماء آخرون إن المجتمع هو الذي يتسبَّب في الجريمة. وهكذا فإنه ليس من الممكن الحد من مُعدَّل الجريمة، أو القضاء عليها، إلا بتغيير نظام المجتمع نفسه [1].

---

١ - نقلا-باختصار وتصرُّف- عن « الموسوعة العربية العالمية» مادتيْ: «الجريمة» و«علم الجريمة».

القتلة المتسلسلون

دائمًا ما تُثِير لفظة «قاتِل مُتَسلْسِل» اهتمام الجميع ونفورهم في ذات الوقت!.. لكنه الاهتمام بِسَبْر أغوار هؤلاء الناس لمعرفة الدافع النفْسي والظاهرة غير الطبيعية التي تُؤدِّي بشخص مَّا ليقتل أكبر عدد من الأبرياء الذين لا ذنبَ لهم..

وسنحاول هنا معرفة الأسباب والدوافع التي تُحرِّك القَتَلة المُتسلْسِلين بعَرْض أشْهَر القتلَة المتسلسلين عبْر التاريخ..

ولكن دعونا أولًا نعرف.. مَن القاتل المتسلسل؟

يصف مكتب إحصائيات القضاء الأمريكي (Bureau of Justice Statistics) القاتل المتسلسل بأنه «الشخص الذي يقتل ثلاث ضحايا فأكثر في أماكن منفصلة بفارق زمَني غير مُحدَّد المُدة»

يعني: أن القاتل المتسلسل هو شخص ذو تاريخ من حوادث القتل المتعددة وغير المُعَدِّ لها مُسَبقًا.. تلك الظاهرة بدأت في النصف الأخير من القرن العشرين إذا استثنينا حالة واحدة مُسجَّلَة في التاريخ للكونتيسة (إليزابيث باثوري) المُتوفَّاة عام ١٦١٤م، والتي دارت الأساطير حول دَمَوِيَّتها وسادِيَّتها وقَتْلاها الذي تحْكِي الأساطير أنهم يقْربون من ستمائة شخص!

ومن أوائل القَتَلة المُتسلْسِلين في سجلات التاريخ الحديث اللندني «جاك السفاح» عام: ١٨٨٨، والألماني «فريتز هارمان» عام ١٩٢٤م.

وتُعَدُّ الولايات المتحدة الأمريكية أكثر البلاد ابتلاء بهذا النوع من القتلَة؛ حيث يتركز فيها نسبة ٧٦ ٪ منهم.. ولا يزالون في ازدياد، طِبْقًا للإحصائيات فقد زادت نسبة القتلَة المتسلسلين في أمريكا بنسبة ٩٤٪ في الثلاثين سنة الأخيرة.. ويتوقع الخبراء إذا استمرت الزيادة على هذا المنوال أنه سيكون هناك ١١ ضحية يوميًّا للقتلة المتسلسلين.

صفات القاتل المتسلسل

على عكس ما يتصور السواد الأعظم من الناس عن القتلة المتسلسلين فإنهم يبدون طبيعيين تمامًا في تعاملهم مع المجتمع، ومن الصعب جِدًّا معرفة أن الجار اللطيف أو مُدرِّس الرياضيات الهادئ هو في الحقيقة قاتل متسلسل.

وأشهر مثال من القتلة المتسلسلين ممن ينطبق عليهم هذا الكلام هو «تيد بندي» الذي سيأتي الحديث عنه بالتفصيل لاحقًا.. إنه رجل وسيم ساحر يملك روحًا مَرِحة ويعيش حياة طبيعية جدًّا.. ولم يشك أحدٌ فيه أو يُصدِّق حتى لحظة القبْض عليه أنه ذلك الوحش.

وغالبا ما يكون القاتل المتسلسل ذَكَرًا أبيض البَشْرة، يتراوح سنه ما بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين، مستوى ذكائه متوسط (أحيانًا أقل من المُعدَّل الطبيعي وأحيانًا أكبر)، لا يشترط انتماؤه لفئة معينة من المجتمع.. يمكن أن يكون من الأغنياء أو الفقراء، أعمار ضحاياه متفاوتة إلى حدٍّ كبير، ليس هناك أي رابط بينه وبين ضحاياه (ليس هناك دوافع كراهية أو انتقامية ضدهم)، يُمثِّل ضحاياه له رمزًا ما في عقْله مما يصنع الرابط الذي يدفعه لقتلهم.

كيف نُحدِّد نوع الجريمة؟

تُصنَّف الجريمة عادة كجرائم للقتْل المتسلْسِل كالآتي:

عندما تُرْتَكَب أكثر من جريمة يكون العامل المشترك بينها ألا يكون هناك أية علاقة تربط القاتل بالضحية.. يكون غالبًا موعد ارتكاب الجريمة ومكانها مختلفين عن الجرائم السابقة، وألا يكون هناك ما سُرِق من الضحية.. أي أن الجريمة ليست لدافع السرقة. وغالبًا ما يكون ضحايا القاتل المتسلسل من المهمَّشين اجتماعيًّا أو من غير القادرين على الدفاع عن أنفسهم لوضاعة شأنهم أو لضعفهم الجسدي (مثل: العاهرات، والمشرَّدين من المهاجرين غير الشرعيين، والشواذ جِنْسيًّا، والأطفال التائهين، أو السيدات المُسِنَّات العوانس).

الفارق بين القاتل المتسلسل والعشْوائي والهَوَسِي.

مصطلح «قاتل مُتَسلْسل» ظهر لأول مرة لوصف «تيد بندي»، القاتل الأمريكي الذي قتل حوالي مائة شخص في فترة زمنية قدْرها خمس سنوات ما بين عامي ١٩٧٤م. و١٩٧٩م. دائمًا ما يترادف مصْطَلَحيْ «قاتل متسلسل» (Serial Killer) و«قاتل عشوائي» (MassMurderer) إلا أن خبراء علم الجريمة لهم رأي آخر!.. فهم يرون فارقًا كبيرًا بين المُصْطلَحيْن.

فالقاتل المتسلسل: هو القاتل الذي يترك فترة زمنية طويلة نِسْبيًّا بين كل ضحية والأخرى.. يكون القاتل عادةً في تلك الفترة بين كل جريمة والأخرى في حالة نفْسية سوية كأي شخص عادي.

أما **القاتل العشوائي**: فهو يقتل عددًا من الأشخاص في نفس الوقت، كمن يقتحم مكانًا ليفرغ مدفعه الرشاش في كل من يعترض طريقه.. وأفضل مثال للقتلة العشوائيين يكون غالبًا في الحروب.. حيث تكثر المذابح والإبادات العِرْقِية وما إلى ذلك.. كما يحدث في فلسطين على سبيل المثال.

وهناك أيضًا نوع آخر من القتلة يُسمَّى «القاتل الهوسي».. وهو كالقاتل المتسلسل يقتل واحدًا أو اثنين في المرة.. لكنه لا يترك وقتًا بين كل جريمة والأخرى.. والفارق بينه وبين القاتل المتسلسل أن القاتل المتسلسل دوافع القتل لديْه تتلخص في استدراج الضحية للموت، أما القاتل الهَوَسي فدافعه هو أن يذهب للصيد..

ومن أشهر الأمثلة للقاتل الهوسي «هوارد أونروا» الأمريكي الذي عاد لبيته في «نيو جيرسي» ليكتشف أن بوابة الحديقة قد تمت سرقتها.. ليدخل لِسحْب سلاحه من البيت ويخرج للشارع ليطلق النار على ٢٦ شخصا مات منهم ١٣ وأُصِيب الآخرون بجروح متفرقة.

دوافع القاتل المتسلسل

القاتل المتسلسل ما هو إلا قاتلا متسلسلا.. أليس كذلك؟

فهناك أنواع للقتلة المتسلسلين حسب الدوافع طِبْقًا لتصنيفات الخُبَراء.

وهناك أربعة تصنيفات أساسية لهم:

١- هُمْ مَنْ قَتَلُوا؟

ويُسمَّى بقاتل الرُّؤَى (Visionary).. هذا النوع غالبًا ما يكون مصابًا بانفصام الشخصية والذِّهان (اضطراب عقلي).. ودائمًا ما يتوهَّم أن (هُمْ) مَنْ دفعوه للقتْل.. و(هُمْ) يوجِّهون حياته عن طريق سماعه لأصواتهم داخل عقله المريض.. وغالبًا لا يُسَلِّم القاتل من هذا النوع نفْسه للشرطة أبدًا.. لأنه لا يؤمن حقيقةً أن (هو) مَنْ ارتكب تلك الجرائم.. (هُمْ) فعلوا.

٢- مهمة من السماء؟

ويُسمَّى بالقاتل المكلَّف بمهمة (Mission–Oriented).. وغالبًا ما يُؤْمِن القاتل من ذلك النوع بأن مهمته هي تخليص العالم من العناصر الفاسدة والتي لا تُحْدِث فارقًا في سيْر الحياة.. وغالبًا ما يمتزج بشعوره أنه المُخَلِّص أو المسيح القادم لينقذ العالم.. وهذا النوع يكون غير واعٍ للعالم من حوله.. منفصل تمامًا عن المجتمع حتى وإنْ أظهر اندماجه فيه.

٣- قَتْل للقتْل؟

يُصْطَلَح على تسميته القاتل بدافع الاستمتاع (Thrill–Oriented).. وذلك النوع يقتل لمتعته الشخصية.. وكلما استمر في القتل كلما زادت لذته.

وهذا النوع من القتلَة مريض غالبًا بالسادية التي هي حب تعذيب الآخرين.

٤ - سادِيّة مُطْلَقة؟

ويُسمَّى بقاتل الشهوة (Lust).. ويقْتُل هذا النوع لإشباع رغبته الجنسية.. وهذا النوع هو أعنف أنواع القتلة المتسلسلين.. فهو يتلذَّذ بتعذيب الضحيَّة والتمثيل بها بعد موتها بأبشع الطرق.

وللأسف فإن القاتل من هذا النوع صعب جدًّا القبض عليه.. فهو يتمتع بالذكاء الاجتماعي الشديد.. ومن المستحيل تقريبًا التفرقة بينه وبين أي شخص عادي لكثرة اختلاطه بالناس وعدم ظهور ساديته على الملأ.

وعمومًا فدوافع القاتل المتسلسل في أغلب الأحيان ناتجة عن دوافع سادية.. وغالبًا ما يُصنَّف بأنه سيكوباتي (كاره للمجتمعات وغير قادر على التعاطف والإحساس بمعاناة الآخرين).. ويقوم بعض القتلة المتسلسلين بتعذيب ضحاياهم قبل القتل أو التمثيل بجثثهم بعد القضاء عليهم.

وعلى الرغم من تفاوت دوافع القتلة المتسلسلين كما سنرَى لاحقًا فإن القاتل المتسلسل لا يتوقف أبدًا عن قتْل ضحاياه إلا إذا تمَّت إعادة تأهيله أو القبض عليه.. أما غير ذلك فإن القاتل سيستمر في إهلاك أرواح ضحاياه حتى لو كان الفارق الزمني بين كل ضحية والأخرى سنواتٍ.. وتلك قاعدة عامة في نفْسية القتلة المُتَسلْسِلين إلا في استثناءات نادرة.

وفي العديد من محاكمات القتلة المتسلسلين يكون الحكم بأن القاتل ليس مذنبًا لدوافع جنونه.. وقليلًا ما صدر الحكم على أحدهم بالإعدام.. وفي معظم الحالات تمرُّ شهور طويلة أو سنوات للقبض على قاتل متسلسل.. على حسب الفترات الزمنية التي يقتل بينها واكتشاف الشرطة للدافع الذي يقْتُل من أجله [١].

---

١ - نقلا عن مقال: (القتلَة المتسلسلين. تقرير مرعب) المنشور على الموقع الإلكتروني: (As well as Mesa) بتاريخ: (١٠/ ٢/ ٢٠٠٨م).

١ غيل دي ريز..

من مارشال فرنسا وبطلها إلى أشهر سفاح في القرون الوسطى!



ما أغربَ الإنسان وما أكثر تناقضاته ومفارَقاته، تراه حِينًا يُمثِّل دُور المُحب المُشْفِق وهو يستبطن الكراهية، وحِينًا تظنُّه غاية في المروءة والشهامة ليفاجئك لاحقا بِمدَى خِسَّته ونذالته، أو تراه يختبأ خلْف قِناع الدين والورع ليصل إلى غايات في منتهى الدناءة والوضاعة. (بالطبع: لا أقصد التعميم).

وبطل قصتنا لهذا اليوم اجتمعت فيه جميع النقائض، فهو شاعر وموسيقي وفنان ومارشال فرنسا وبطلها الشجاع الذي حارب ببسالة من أجل تحريرها، و هو في نفْس الوقت قاتل سفاح كان يعشق اغتصاب الأطفال وقتْلهم والتمثيل بجثثهم بوحشية منقطعة النظير من أجل إشباع نزوات رُوحه الشريرة المريضة.

مَوْلِد السفَّاح

ولد غيل دي ريز (Gilles de Rais) عام ١٤٠٤م. في إحدى القلاع القديمة قُرْب مدينة «نانت» الفرنسية، ومنذ نعومة أظافره تميَّز على أقرانه بالذكاء والوسامة، إضافة إلى نُبْل الأصل وثراء العائلة، لهذا أَوْلاه والده عناية كبيرة فجلب له أفضل المعلِّمين، وأنفق في سبيل ذلك الكثير من الجهد والمال، فنشأ الفتى شاعرًا يقول الشعر بالفرنسية واللاتينية بِطلاقة يحسده عليها الكبار.

وصار كاتبا بارعا أبدع في نَسْخ المخطوطات وزخرفتها، كما أحب الموسيقى وتعلَّم العَزْف على آلاتها، وفوق هذا كله أَبْدَى بسالة وشجاعة في تعلُّم الفروسية وفنون الحرب والقتال، وأمام كل هذه المواهب التي قلما اجتمعت في شخص واحد في ذلك الزمان الذي توقَّع أساتذته أن يكون له شأن كبير في فرنسا في قادِم الأعوام.

لكن الحياة -وكما تعلم عزيزي القارئ- قلما تكون كاملة وخالية من المُنغِّصات، وقد أصابت الصبي الصغير بأول مصائبها في سِنٍّ مبكِّرة، ففي عام ١٤١٥م. توفِّي والِداه فانتقل مع أخيه الأصغر للعيش مع جَدِّه العجوز الذي لم يهتم كثيرا لمواهب الصبي الفذَّة.

ولكن اهتمامه كان مُوجَّها بالدرجة الأولى نحو المال والثروة، لذلك أخذ يعدُّ الخطط من أجل تزويج الصبي «غيل» بفتاة من عائلة أرستقراطية غنِيَّة لكي يَزِيد من ثروة العائلة، وبعد عدة محاولات فاشلة تكلَّلتْ جهود الجدّ العجوز أخيرا بنجاح كبير عندما استطاع تزويج حفيده الشاب من فتاة غنية تُدْعَى «كاثرين دي ثوريز» كان مُقدَّرًا لها أن ترث أموالا طائلة من عائلتها في المستقبل.

في شبابه انخرط «غيل دي ريز» في الحياة العسكرية مثل أغلب الشباب المُتحدِّرين من العوائل النبيلة في ذلك الزمان، وقد ساهم عهده المضطرب والأحداث الجِسام التي عاصرها في إظهار شجاعته وبراعته العسكرية.

مواهب الشيطان!

ففي تلك الفترة كان جزءٌ كبيرٌ من الأراضي الفرنسية مُحْتلًّا من قِبَل الإنجليز فيما يُعْرَف بحرب المائة عام[1]، وقد شارك «غيل دي ريز» في تلك الحرب وأظهر بسالة وشجاعة كبيرة في القتال، وخاض بعض المعارك المصيرية إلى جانب «جان دارك» ضد المحتلِّين الإنجليز.

وفي عام ١٤٢٩م. تمَّ اختياره مع ثلاثة فرسان نُبلاء آخرين لجِلْب العَلَم الفرنسي القديم من إحدى الكنائس إلى حفلة تتويج شارلز السابع ملكا لفرنسا، وقد نجح «غيل دي ريز» وزملاؤه في مهمتهم، فتمَّ تعيينه برُتْبة مارشال وهي أعلى رتبة عسكرية فرنسية.

بعد وفاة جدِّه عام ١٤٣٢م. ابتعد «غيل دي ريز» عن الحياة العسكرية وعاد إلى قلْعته ليمارس هواياته العديدة والتي كان المسْرَح أحدها وأقربها إلى نفسه، إذ ألَّف مسرحية ضخمة تجاوَز عدد شخصياتها الخمسمائة، وأنفق أموالا طائلة في إخراجها؛ إذ لم يكتف «غيل دي ريز» في إغداق الأموال على الممثلين وملابسهم والديكورات.. ولكنه أنفق أيضا مبلغا كبيرا على تقديم الطعام والشراب المجَّاني لمشاهدي مسرحيته.

١- حرب المائة عام (Hundred Years War): هي حرب استمرت لأكثر من قرن (١٣٣٧م - ١٤٥٣م) بين فرنسا و إنكلترا، كان سبب نشوب هذه الحرب هو ادعاء ملوك إنكلترا بأحقِّيتهم في اعتلاء العرش الفرنسي.

وقد تمكَّن الإنكليز في بداية الحرب من إلحاق الهزيمة بالفرنسيين، واحتلوا أجزاء واسعة من التراب الفرنسي، واستمرت هذه الحروب لعقود طويلة تخللها فترات متقطعة من السلام، وأدَّى شعور الفرنسيين بالخزْي والمهانة بسبب الاحتلال الإنكليزي، وإحساسهم بضعْف وتخاذل ملوكهم إلى ظهور مقاومة فرنسية وطنية استلهمت قوتها من فتاة ريفية بسيطة تُدْعَى: «جان دارك» حاربت الإنكليز ببسالة وانتصرت عليهم في عدة معارك حتى سقطت أسيرة عام ١٤٣٠م. فتمت محاكمتها بتهمة الإلحاد و ممارسة السحر، وأُحْرِقتْ حيَّة عام ١٤٣١م. وهي في سن التاسعة عشرة، فتحولَّت في نظر الشعب الفرنسي إلى شهيدة وقديسة. نقلا عن الموقع الشهير (Kingdom of Fear) بتاريخ (٢٦/ ٩/ ٢٠٠٩م).

وقد أدَّى هذا الإسراف والتبذير الغير عقلاني إلى ضياع أغلب ثروته مما اضطره إلى بيْع قِسْم كبير من أراضيه من أجل الحصول على المزيد من المال، كما استدان مبالغ أخرى من عدد من الأشخاص، وقد دفع هذا الإسراف عائلته إلى كتابة رسالة لملك فرنسا مطالبين بالحَجْر عليه قبل أن يُضَيِّع ثروة العائلة كلها.

وقد استجاب الملك فأصدر إرادة مَلَكِية منَعَ بموجبها جميع رعاياه من المواطنين الفرنسيين من الدخول في أي معاملة تُجارية مع «غيل دي ريز»، وأدَّى صدور هذه الإرادة المَلَكية إلى الإفلاس السريع لـ: «غيل دي ريز» إذ سرعان ما تهافت عليه الدائنون مطالبينه بردِّ أموالهم مما اضطره إلى مغادرة مدينة «أورليانز» والالتجاء إلى إحدى قِلاعه القريبة من بلدة «ماكيكول» الفرنسية.

وهناك تعرَّف على شخص غريب الأطوار يُدْعَى «فرانسيسكو بريلاتي» تمكَّن من إقناعه بأنه يمتلك القدرة علَى إرجاع ثروته وأمواله عن طريق السحر والشعْوذة، وأخبره أن الأمر يتطلَّب قتل عدد من الأطفال لتقديمهم كقرابين بشرية إلى جِنِّي أو عفريت يُدْعَى (بارون).

فنُّ الجريمة

وهكذا بدأتْ أول الجرائم التي اقترفها «غيل دي ريز» وكان أول الضحايا صبيًّا في الثانية عشرة من العمر دخل إلى قلعة «غيل دي ريز» ولم يره أحد بعد ذلك أبدًا.

لسنوات طويلة استمر «غيل دي ريز» في ممارسة جرائمه بمساعدة اثنين من خدَمه أحدهما يُدْعَى «هنريت» والثاني اسمه «باتوه»، ومع ازدياد عدد الضحايا ازدادت الأقاويل أيضا عن الأطفال الذين كانوا يتوجهون إلى قلعة غيل دي ريز، عادة من أجل التسوُّل وطلَب الطعام، والذين كانوا يختَفون ولا يُعْثَر لهم على أثر.

كان الضحايا من الجِنْسين مع أن غيل كان يفضل الصبيان، ورغم أن العديد من عوائل الأطفال المفقودين كانوا يتهامسون سِرًّا حول علاقة «غيل دي ريز» باختفاء

أطفالهم إلا أن أحدا منهم لم يجرؤ على توجيه الاتهام له بشكل صريح خوفًا من سطوته ونفوذه و لانتمائه إلى الطبقة النبيلة التي كانت فوق القانون في تلك الأيام.

لكن في عام ١٤٤٠م. وقعت حادثة أدَّت إلى تحول الهمْس والشائعات إلى اتهام علني، ففي تلك السنة تشاجر «غيل دي ريز» مع أحد القساوسة واعتدى عليه وهو الأمر الذي دفع الكنيسة التي كانت هي السلطة العُلْيا في أوربا يوم ذاك إلى فتْح تحقيق حول الإشاعات التي كانت تحوم حول «غيل دي ريز».

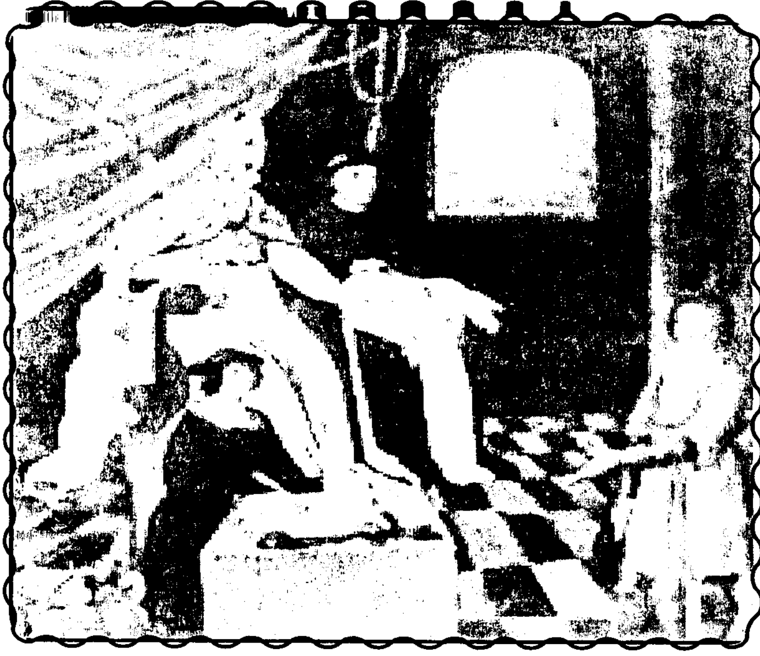
وقد شجَّع هذا التحقيق الكَنَسي آباء الأطفال المفقودين إلى تقديم شكاويهم ضد «غيل» واتهامه بشكل رسْمي باختطاف أطفالهم، وتوَّج هذا التحقيق بتمكُّن أُسْقُف مدينة «نانت» من الحصول على موافقة دُوق مقاطعة «بريتني»[(١)] في إلقاء القبض على «غيل دي ريز» ومساعديه والزَّجِّ بهم في السجن لغرض الحصول على اعترافاتهم.

سقوط السفاح

وفي ذلك الزمان - عزيزي القارئ - أيْ قبل أكثر من ستمائة عام، كان أسلوب التحقيق مع المجرمين في أوربا شبيهًا بالأساليب التي تتْبعها اليوم بعض الحكومات في التحقيق مع مواطنيها، أي بالاعتماد على أسلوب الشتْم و الضرْب وممارسة شتى أنواع التعذيب الوحشي بحقِّ المتهمين من أجل الحصول على اعتراف، ولأن «غيل دي ريز» كان يعلم ما ينتظره في غُرْفة التحقيق، لذلك قرَّر تفادِي العذاب الأليم والاعتراف بجميع جرائمه.

١- بريتني (Brittany): هي مقاطعة تقع إلى الشمال الغربي من فرنسا كانت في السابق دوقية تابعة للعرش الفرنسي، ولعلك تلاحظ عزيزي القارئ التشابه بين اسم المقاطعة و كلمة «بريطانيا» والسبب في ذلك يعود إلى أن المجموعة العِرْقية التي تعيش في هذه المقاطعة واسمها «البريتون» أو البريطون (Breton) ترجع في جذورها إلى قبائل هاجرت من بريطانيا إلى الجزء الشمالي الغربي من فرنسا في القرن الرابع الميلادي.

وللبريتون لغتهم الخاصة التي تتشابه مع لغة سكان «ويلز» و«أيرلندا» والذين يرجعون بأصولهم إلى شعوب الكلت (Celts). نقلا عن الموقع الشهير (Kingdom of Fear) بتاريخ (٢٦/ ٩/ ٢٠٠٩م).



غيل دي ريز أمام المحكمة

وقد سبَّبتْ اعترافاته صدمةً وذُهولا حتى للجلَّادِين الذين كانوا معتادين على قطْع الأعناق البشرية، فلقد كانت جرائمه وحشية وسادية إلى درجة أن قُضاة المحكمة شطبوا قِسْمًا من اعترافاته لفظاعتها.

لقد اعترف «غيل دي ريز» بأنه وبمساعدة بعض خدَمه كان يُغْري الأطفال الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والسادسة عشرة على الدخول إلى القلعة، في البدء كانوا يُلَبِّسون الطفل المسكين ثيابًا نظيفة وجميلة لم يحْلم في عمره بارتداء مثلها (جميع الضحايا كانوا أطفالا فقراء) ثم يُقيمون له حفلة كبيرة و يضعون أمامه ما لذَّ وطاب من المأكولات، وكانوا يحرصون على أن يقدِّموا له مشروبات مُنَبِّهة لكي لا يفْقد وعْيَه في المرحلة الثانية من السهرة التي تبدأ بعد الوليمة.

حيث كانوا يصطحبون الطفلَ إلى غرفة منعزلة في أعلى القلعة، هناك كان الطفل

المسكين يكتشف الوجه الحقيقي المُرْعب لخاطفيه، في البداية كانوا يخلعون عنه ملابسه ثم يربطونه بحبال مُتدلِّية من سَقْف الغرفة لكي لا يقاوِم ولا يصرخ، وبعدها يقوم «غيل دي ريز» بالاعتداء على الصبي.

وكانت هذه العملية الشاذة هي قمة اللذة والمتعة بالنسبة إليه، وبعد أن يفرغ من أفعاله الشاذة يقوم بِفَكِّ الطفل المرعوب من الحِبال ويُقْنعه بأنه كان يمزح معه حتى يتوقف عن البكاء.

كانت هذه العملية أي مفاجأة الأطفال هي من أكثر الأمور المُمْتِعة بالنسبة إلى «غيل دي ريز» فما أن يتوقف الطفل عن البكاء ويعتقد أنه في أمان حتى يتم قتْله بطريقة وحشية على يد «غيل دي ريز» أو أحد مساعديه، حيث كانوا أحيانا يَحُزُّون رقبَته، وأحيانا أخرى يقطعون يديه ورجليه ويتركونه لينزف حتى الموت، وبينما كان الطفل المسكين يلفظ أنفاسه كان «غيل دي ريز» يتمتع بالجلوس على بطنه والتحديق إلى تعابير الألم والخوف المُرْتَسِمة على وجهه!

وبعد أن يموت الطفل كان «غيل دي ريز» يتلذذ بفتح بطنه وإخراج أحشائه بيديه، وتستمر هذه العملية حتى تبْرَد الجثة تماما، وعندها يقوم مساعدوه بِحرْق جثة الطفل وملابسه في الموقِد حتى تتحول إلى رماد.

الإعدام شنْقًا

في التاسعة صباحا من يوم ٢٥ تشرين الأول / أكتوبر ١٤٤٠م. ترجَّل (يعني: نزل) «غيل دي ريز» مع مساعديه «هنريت» و«باتوه» من عربة المحكومين بالموت في إحدى ساحات مدينة «لا دي بيس» الفرنسية حيث تقرر تنفيذ حكم الإعدام بهم.

وقبل تنفيذ الحكم به ألْقَى «غيل دي ريز» خطبة مؤثِّرة بالحشود التي أتت لمشاهدة إعدامه، مُوجِّهًا كلامه بشكل خاص إلى آباء وأمهات ضحاياه مطالبًا إياهم بمسامحته وطلب المغفرة له، ثم ارْتَقى إلى منصة الإعدام حيث تمَّ شنْقه وإشعال النار تحت جثته،

لكنها سُحِبَتْ من النار قبل احتراقها بسبب انتمائه الى الطبقة النبيلة، أما مساعِداه فقد شُنِقوا وأُحْرِقت جثثهم ونَثَروا رمادهم.

كان المارشال «غيل دي ريز» في سن السادسة والثلاثين عند إعدامه، ولم يكن له سوى ابنة واحدة اسمها ماري، أما ثروته فقد صادرها الدوق «بريتني» ووزَّعها بين النبلاء في مقاطعته.

ورغم أن أغلب المؤرخين والباحثين يتفقون على أن «غيل دي ريز» كان مجرما وقاتلا يُعانِي من أمراض واضطرابات نَفْسية خطيرة إلا أن هناك قلة ممن يعتقدون أن التهمة التي وُجِّهَتْ إليه كانت مُلفَّقة من قِبَل الكنيسة لغرض مصادرة أراضيه.

لكن هذا الاعتقاد لا يصمد أمام حقيقة أن الكنيسة كانت تعلم جيدا بأنها لن تحصل على أي شيء من تَرِكة «غيل دي ريز» لأن العُرْف والقانون في ذلك الزمان كان يقضي بتحويل أملاك النبلاء المجرمين إلى الملك أو إلى حاكم المقاطعة، كما أن أوراق المحاكمة وشهادة عوائل الضحايا لا زالت موجودة وموثَّقة.

لذلك فالرأي الراجح هو أن «غيل دي ريز» كان يُعاني من أمراض نفسية خطيرة، فمن ناحية كان نبيلا وفنانًا وبطلا شجاعا ومتديِّنًا وَرِعًا لأغلب فترات حياته، ومن ناحية أخرى كان قاتلا ومجرما ترك بصمةً لا تُنْسَى في ساحة القتلة والمجرمين.

في الختام ينبغي أن نذكر أن عدد ضحايا «غيل دي ريز» لا يُعْرَف على وجْه الدِّقَّة، لكن المؤرخين يعتقدون أن العدد الكُلِّي يتراوح بين ١٠٠ - ٨٠٠ ضحية أغلبهم من الصبْيان قتَلهم على مدَى عشرة أعوام.

إنه رجل أراد استعادة ثروته عن طريق تقديم الأطفال كقرابين للجن والشياطين[١]

١- نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Kingdom of Fear) بتاريخ (٢٦ / ٩ / ٢٠٠٩ م). والموقع العالمي: « Wikipedia. the free encyclopedia ». تحت عنوان (Gilles de Rais). والموقع الأجنبي (Crime Library) تحت عنوان (Gilles de RAIS).

٣ جاك السفاح

باقر البطون



في ظلمات الليل السوداء، شبح لا تعرف هُويَّته، ولا اسمه، ولا أي شيء عنه... بخطوات مخيفة ومفزعة في الشارع تراه يمشي هنا وهناك.

في أجواء لَنْدَنِيَّة ضبابية.. تُثير لوحدها الفزع والرعب، فكيف لو كانت الشوارع مسْرحًا لمجرم ملأ المدينة رُعبًا وفزعًا..

صرخات هلَع، دماء تُرَاق على الرصيف، الأجساد تُمزَّق إلى أشلاء وإلى قِطَع من اللحم متعفِّنة..

إنها مجموعة من الجرائم البشعة حدثت في أواخر القرن التاسع عشر في لندن، وبقيت حتى اليوم لُغْزًا حيَّر الباحثين وأعْيا المحققين. فرغمًا من وجود عدد كبير من المُشْتَبَه بهم، إلا أن التهمة لم تثبت على أحد، وظل المجرم مجهولا حتى هذه الساعة.



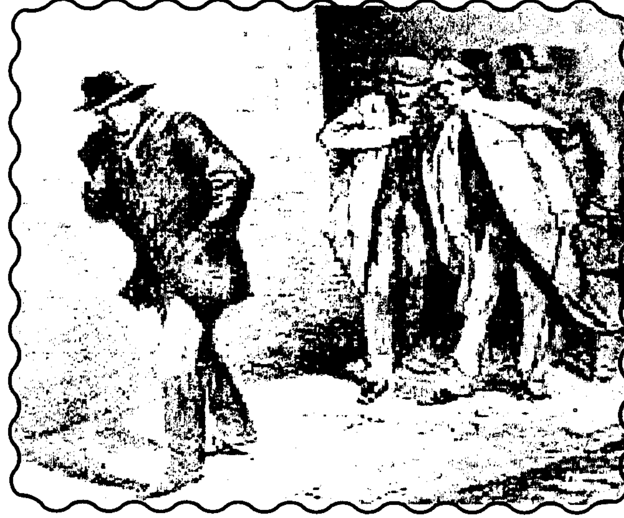
في أوائل شهر نوفمبر عام ١٨٨٨م. شهدت الضاحية الشرقية من لندن مُسلسلا من الجرائم الغامضة والمرعبة، حدثت خمس جرائم راح ضحيتها خمس نساء جميعهن من البغايا والساقطات، وكلهن قد قُتِلْنَ بنفس الطريقة تقريبًا، فقد قُطِعَتْ حناجرهن، واسْتُأصِلَتْ أعضاؤهن التناسلية، وتمَّ التمثيل بجثث أربع منهن بوحشية وقسوة منقطعة النظير.

الضحية الأولى

كانت تُدْعَى «ماري آن نيكولاس» وتُلقَّب بـ: «بولي»، وقد وُجِدَتْ مذبوحة في ٣١ أغسطس ١٨٨٨م، وقد وصفت الصحافة جريمة مقتلها بالبشعة والفظيعة.

الضحية الثانية

كانت تُدْعَى «آني جبمان»، عُثِرَ على جثتها في ٨ سبتمبر ١٨٨٨م. مذبوحة أيضا، وقد مثَّل القاتل بجثتها بوحشية، فشقَّ بطنها واستخرج أحشاءها.



الضحية الثالثة

في نفس الشهر في ٣٠ سبتمبر ١٨٨٨م. عَثَرَ بعضهم علي جسد امرأة بينما كان يقود عرَبَته متوجهًا إلى عمله، وتمَّ التعرُّف عليها، وهي فتاة اسمها «إليزابيث سترايد»، وقد ذُبِحَتْ من الوريد إلى الوريد مثل الأُخْرَيات.

الضحية الرابعة

أما الضحية الرابعة فكانت «كاترين إدويس»، فقد تمَّ قَطْع حنجرتها وتشويه وجهها بفظاعة بحيث وجَدَت الشرطة صعوبة في التعرُّف عليها، كما قام القاتل باستخراج أحشائها ولَفَّ جزءًا من أمعائها حول رقبتها.

الضحية الخامسة

الجريمة الأخيرة كانت الأشد بشاعة والأكثر هَوْلًا، لأن القاتل حصل هذه المرة على فُسْحة كافية من الوقت ليعْبث بجثة ضحيته ويُمزِّقها كيفما شاء، فقد عُثِر على الضحية الخامسة والأخيرة، وتُدْعَى «ماري جين كيلي»، وهي مذبوحة في شقتها في التاسع من نوفمبر عام ١٨٨٨م.

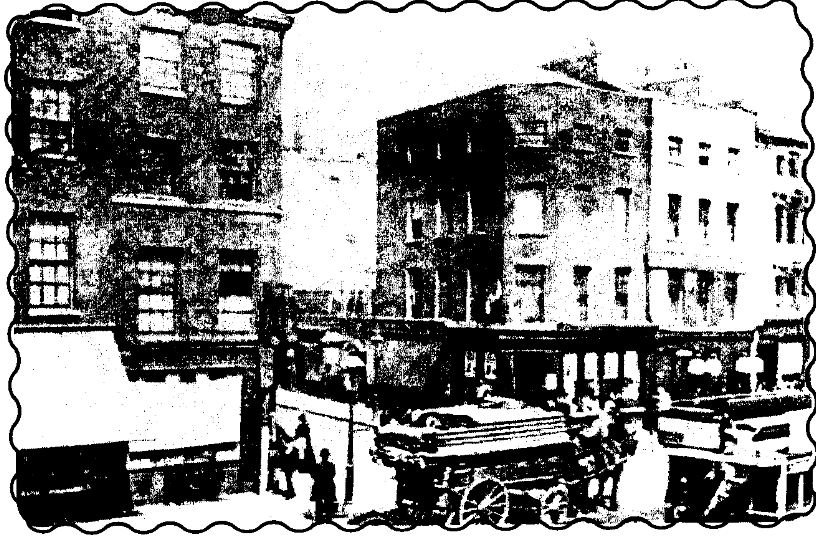


الصور التي نشرتْها صُحُف ذلك الزمان لضحايا جاك السفاح

وهذه المرة لم يكتف القاتل بقطْع حنجرة ضحيته فقط بل قام بفصْل رأسها عن جسدها، ثم بَقَر بطنها واستخرج أحشاءها الداخلية، وقطَع ثَدْييْها وبتر ذراعيها، كما قام بنزْع اللحم عن رجليها ووجهها.. الأمعاء والكُلْيتان اخْتفَتا تماما ولم يعثر رجال الشرطة عليها، في حين وضَع القاتل الكَبِد بين قدميْ الضحية، ووضع ثديَيْها و أنفها على الطاولة.

اللغز الغامض

وبهذه الجريمة البشعة انتهى مسلسل القتل فجأة كما بدأ أول مرة، وبدأت بنهايته فترة طويلة من التحقيق والبحث المحموم والتحرِّي المكثَّف للكشف عن ملابسات القضية التي حيرت المحققين والباحثين لقرنٍ من الزمن.



صورة لبعض ضواحي لندن في أواخر القرن التاسع عشر

لكن برغم كل الجهود الجبارة التي اضطلع بها رجال «اسكتلنديارد» فإن القاتل ظل مجهولا ولم توجَّه تهمة القتل إلى أحد.

لعقود طويلة تراكمت الكثير من الفرْضيات والنظريات حول هويَّة جاك السفاح الحقيقية، لكنها بقيت مجرد احتمالات وتكهُّنات يصعب إثباتها، كان هناك الكثيرون من المُشْتبه بهم.

أشهرهم: «الدوق ألبرت» حفيد الملكة «فيكتوريا» الذي وجِّهتْ له أصابع الاتهام من قِبَل بعض الذين كتبوا عن القضية، والذين افترضوا بأن الدوق أصيب بمرض «الزُّهْرِي» مما دفعه للجنون (الجنون هو من مضاعفات مرض الزهري) فارتكب تلك الجرائم البشعة.

ومنهم: «السير وليم غول» طبيب البلاط الملَكي كان أحد المشتبه بهم أيضا، وقد ظهر في العديد من الروايات والأفلام على أنه الشخص الذي يقف وراء جرائم جاك

السفاح، ولعل السبب الرئيسي في الشكوك التي حامت حول الطبيب تعود إلى حِرْفية جاك السفاح في تقطيع أوصال ضحاياه، فقد كان عمَلُه مُتْقَنًا وليس تمثيلا عشوائيا، مما دفع بالكثيرين إلى الاعتقاد بأن القاتل هو طبيب متمرِّس وخبير في عِلْم التشريح.

وهناك مُشْتبَه به آخر هو «مونتغيو جون دروت»، كان محاميا فاشلا ومضطربا عقليا انتحر بإلقاء نفسه في نهر «التايمز» في ديسمبر ١٨٨٨م. وقد أدَّى تزامن موته مع انتهاء مسلسل القتل إلى جَعْل الشكوك تحُوم حوله.

وهناك أيضا مشتبه به يُدْعَى «روبرت ستيفنسن»، وهو كاتب مُولَع بالشعوذة والسحر الأسود، وقد جعله وَلَعُه هذا محلا للرِّيبة والشكوك، حيث ظن بعض المحققين بأنه اقترف الجرائم كضرْب من الطقوس السحرية، وتزايدت الشكوك حوله بانتظام بعد أن اختفى كليًّا في عام: ١٩٠٤م.

أخيرا وليس آخرا، هناك قاتل يُدْعَى «توماس نيل» حُكِم عليه بالموت في أمريكا، وقد صرخ من فوق منصة الإعدام قائلا.. «أنا جاك الـ.. » قبل أن يقطع حبْلُ المشنقة بقية كلامه!



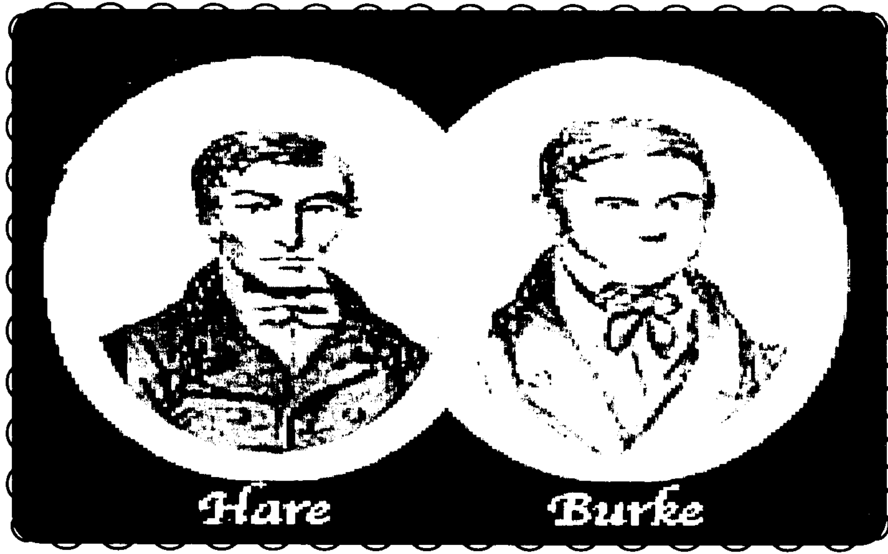
صور لبعض المشتبهين بانتحال شخصية جاك

في الحقيقة هناك الكثيرون من المُشْتبَه بهم في قضية «جاك السفاح» ممن يطُول ذكرهم وتِعْدَادهم، لكنْ وكما أسلفنا سابقا فإن التهمة لم تثبت على أحد بعينه، وظلت القضية لُغْزًا مُحيِّرًا تحوَّل بمرور الأيام وانقضاء السنين إلى أسطورة مُخيفة ألْهبتْ حماس مُحِبِّي قصص الرعب حول العالم[١].

١- نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Nightmare) بتاريخ (١ / ٢ / ٢٠٠٣ م). والموقع العالمي: «Wikipedia, the free encyclopedia». تحت عنوان (Jack the Ripper). والموقع الأجنبي (Chronicles of Crime) تحت عنوان: (Jack the Ripper)

٢ بورك وهير..

صائدا الجثث البشرية



لا ريب في أن التشريح هو مادة أساسية لتعلُّم الطب، ولهذا يوجَد طلب مستمر على الجثث من قِبَل كليات ومراكز البحوث الطبية.. لكن يا تُرَى من أين يحصلون على كل تلك الجثث؟ ربما من مُتبرِّعين.. وهذا صحيح جُزئيًّا، أما الحقيقة الكاملة فهي خافية على أغلب الناس. إذ هناك في الواقع عدة مصادر..

منها العالمي: حيث تُباع وتُشْتَرى جثث الفقراء – خصوصا من جنوب شرق آسيا – ومنها المحَلِّي حيث تُنْبَش أجساد الموتى من المقابر لتُباع كاملة أو خُرْدة لطلاب الطب ومُرِيدي السِّحْر والشعوذة.

وهناك أيضا جثث مجهولة الهُويَّة لأشخاص قُتِلوا من أجل الحصول على أجسادهم

أو أعضائهم كما في قصتنا هذه التي كانت أحداثها مَدْعاة لِبَثِّ الرعب والهَلَع في قلوب سكان العاصمة الاسكتلندية «أدنبره».

- لا زال طريًّا.. أُقْسِم على ذلك.. لقد رحل هذا اليوم يا سيدي.

هكذا قال أحد الرجلين وهو يمسح بيده ويُمَرِّرها على أجزاء ذلك الجسد المُدَّد أمامه كأنه جزَّار يستعد لبيع إحدى نعاجه!.

نظر السيد الأنيق إليهما باحتقار، فقد بدا جَلِيًّا من ملابسهما الرَّثَّة والمتسخة بأنهما ينتميان إلى عالم «أدنبره». السُّفْلِي حيث الجوع والفقر والجريمة، أشاح بصره عنهما متفحِّصًا الجثة بعينيْن خبيرتيْن، صمَتَ لبُرْهة متفكرا ثم قال: إنه رجل عجوز.. لن أدفع فيه أكثر من سبعة جنيهات.

- اجْعلها سبعة جنيهات ونصفًا.. لن تندم على ذلك يا سيدي فالبضاعة جيدة كما ترى. قال الرجل الآخر وهو يهز الجثة بيده ليؤكد وجهة نظره:

- سبعة جنيهات وشِلِنَيْن.. هذا هو عَرْضي النهائي. قال السيد الأنيق وهو ينْحني ليُخْرج النقود من مكتبه ثم قال وهو يناولهما المال: مَدِّداه على الطاوِلَة وتذكَّرا جيدا.. سأدفع لكما مبلغا جيدا مقابل كل جثة جديدة تُحْضِرَانها إلى هنا.

أخذ الرجلان المال وغادرا الغرفة على استعجال، ولم تمضِ سوى لحظات حتى اختفيا كالأشباح في ضَباب أزِقة «أدنبره» المظلمة.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يقصدان فيها مكتب الطبيب «روبرت نوكس» لِيَبيعاه جثة بَشَرية، غير أنها لن تكون المرة الأخيرة، فخلال الأشهر اللاحقة سيتردَّدان على مكتبه مِرارًا وتكرارا، وفي كل مرة سيحملان معهما جثة جديدة، لكل واحدة منها حكاية مختلفة لم يهتم الطبيب نوكس لسماعها أبدا، فقد كان همه الوحيد كان يتمثل في الحصول على المزيد من الجثث من أجل حِصَص التشريح الرائجة والناجحة التي كان يُقدِّمها لطلاب الطب في «أدنبره».



سرعان ما تواريا في أزقة أدنبره.

لكن حكايتنا في الحقيقة لا تبدأ من مكتب الطبيب نوكس، وإنما من مكان آخر يبعد مئات الكيلومترات في أيرلندا الشمالية حيث وِلِد الرجلان وترعْرَعا.

الأول يُدْعَى: وليم بورك، أبصر النور في بلدة صغيرة بالقرب من مدينة «سترابن» الأيرلندية عام: ١٧٩٢م، كان والده مزارعا بسيطا لكن «بورك» لم يشأ أن يكون كوالده، عمل خادما لدى أحد النبلاء، ثم تاجرا صغيرا بالملابس والأحذية المستعملة.

لكن المستقبل في أيرلندا لم يكن واعِدًا، فقرَّر الهجرة حاله حال الآلاف من أبناء بلده، وذلك بحْثًا عن فرص أفضل، فوصل إلى اسكتلندا في عام ١٨١٧م. تاركًا خلْفه زوجة وطفلين.

وما لبث أنْ وجد لنفسه عملا في مشروع ضخم لِشَقِّ قناة مائية، فأرسل إلى عائلته لتلحق به، لكن زوجته أصرَّتْ على البقاء في وطنها، فتَعرَّف «بورك» على امرأة أخرى تُدْعَى «هيلين مكدوغال» وعاشا معا بالقُرْب من «أدنبره». كزوج وزوجة.

بطل قصتنا الآخر يُدْعَى وليم هير، وهناك لغَط حول مكان وزمان ولادته، غير أنه كان مهاجرا أيرلنديا ينتمي إلى ذات البلد التي هاجر منها زميله بورك، وهو أيضا عمل في مشروع حفر القناة في اسكتلندا.

ثم تعرَّف في «أدنبره» على رجل يُدْعَى لوج كان يُدير نُزُلًا (يعني: بنسيون) حقيرًا يُؤجِّر غُرَفَه للفقراء، وحين مات لوج هذا في عام ١٨٢٦م. تزوج «هير» من أرملته مارغريت التي استمرت بإدارة المنزل فيما استمر «هير» في العمل في القناة.

في عام ١٨٢٧م، انتقل بورك وزوجته للعيش في الحي الجنوبي من «أدنبره»، وهناك تعرَّفا على مارغريت وزوجها، ثم سرعان ما توطدت العلاقة بين بورك وهير فصارا صديقين مُقرَّبين قلَّما يفترقان.

سوق الجثث البشرية.. نبذة تاريخية

منذ منتصف القرن الثامن عشر شهدت أوربا بواكير نهضة شاملة على جميع المستويات، كان الجانب العِلْمي والأكاديمي من أبرز وجوهها، حيث أُنْشِئت العديد من الجامعات وازداد عدد الطلَبة بها، وترَافَق ذلك كله مع تطوُّر أسلوب التعليم التي بدأ ينسلخ تدريجيا عن التفكير الخُرافي الذي كان سائدا في العصور الوسطى، وراح يقترب شيئا فشيئا من المنهج العلمي الحديث القائم على التجربة والبرهان.

وبالطبع فإن لكل نهضة علْمية مستلزماتها واحتياجاتها الخاصة، فجامعات الطب مثلا كانت بحاجة ماسَّة ومتزايدة للجثث البشرية لغايات التشريح، والمصدر الوحيد لتلك الجثث آنذاك كان يتمثَّل في أجساد القتَلة والمجرمين الذين كانوا يُشْنَقون في الساحات والميادين العامة ثم تُنْقَل جُثثهم إلى المعاهد والكليات الطبية للاستفادة منها في دروس التشريح.

لكن أعداد المعدُومين لم تكن تُلَبِّي الطلَبَ المتزايد على الجثث، ففي إنجلترا في القرن

التاسع عشر مثلا كان يُعْدَم حوالي ٥٥ شخصًا سنويا، بينما كانت الحاجة الفِعْلية من الجثث للغايات الطبِّيَّة تزيد على الخمسمائة.

وقد ساهم هذا النقص في ظهور تجارة سِريَّة قائمة على بيْع وشراء جثث الموتى. فكانت الأجساد تُنْبَش وتُسْرَق من المقابر لتُباع بمبالغ كبيرة لكليات الطب في لندن و«أدنبره». وغيرها من المدن الأوربية، حتى وصل الأمر حدًّا أجْبَرَ معه سكان تلك المدن على الانخراط في حراسة مقابرهم وموتاهم.

الطريق إلى مكتب الطبيب نوكس

السجلات التاريخية تُخْبرنا بأن بَطلَا قصتنا لم يكونا من المجرمين أرباب السوابِق، فلم يكن لديهما سِجِلٌّ جنائي وكانا يَكِدَّان لِكسْب لُقمة العيش. ولعل الصدفة وحدها هي التي قادتهما ليكونا من أشقى السفاحين، أو بالأحرى هي التي كشفت عن معْدَنِهما السيئ.

الأمر برُمَّته بدأ في يوم ما من عام ١٨٢٨م. حين مات أحد النُّزَلاء في المنزل الذي كانت «مارغريت» زوجة «هير» تُدِيره، الراحل كان ضابطا متقاعدا فارق الحياة لأسباب طبيعية، لكنه رحل إلى العالم الآخر من دون أن يُسَدد الجنيهات الأربعة التي كان يَدِين بها لمارغريت، ولم يكن له ورَثة يُسدِّدون عنه دَيْنَه.

فخطَرتْ لبورك وصديقه فكرة جُهنَّمية، إذ كانا قد سمعا قَبلًا عن تجارة الجثث الرائجة في المدينة، وكانا يعْلَمان جيدا بأنه كلما كانت الجثة حديثة كلما ارتفع سعرها، لذلك اشتريا تابوتا خشبيًّا رخيصا ووضعا داخله قِشْر شجرة ثم شيَّعَاه إلى الكنيسة ودفَناه أمام الناس وهما يذرفان دموع التماسيح[1] حُزْنًا على الفقيد.

أما الجثة الحقيقية فقد تعاونا على نقلها تحت جُنْح الظلام إلى جامعة «أدنبره» وعرَضَا

١- دموع التماسيح: كِنَايَة عَن النِّفَاق وَالْخداع؛ لأن التّماسيح تسيل دموعها وهي تلتهم فريستها. انظر: «المعجم الوسيط» [٢/ ٨٦٨]. طبعة دار الدعوة.

بيعها على أول شخص لاقياه هناك والذي كان طالبا للطِّبِّ أرشدهما مباشرة إلى مكتب الطبيب «نوكس» الذي اشترى الجثة من أجل سبعة جنيهات وشِلِنَيْن كما أسلفنا.

سهولة العملية وحلاوة المبلغ الذي حصلا عليه - سبعة جنيهات إسترلينية لم تكن مبلغا قليلا آنذاك - دفعت الرجلين إلى التفكير طويلا للحصول على المزيد من الجثث.. لكن كيف السبيل إلى ذلك؟.

وهنا أيضا لعبَت الصدفة دوْرًا كبيرا في مجريات الأمور، فأَحَد النُّزَلاء كان رجلا مريضا يُدْعَى جوزيف الطحان، كان وحيدا وبالكاد يستطيع دَفْع الإيجار، لذلك فكَّر «بورك» و«هير» في التخلص منه، تظاهُرًا بالاهتمام لأمره، وفي إحدى الليالي سَقَياه خمرا حتى سَكَر ثم قتلاه بطريقة مميزة ستصبح علامة فارقة لجرائمهما القادمة، حيث يقوم أحدهما بإمساك وتثْبيت الضحية فيما يُكَمِّم الآخر أنْفه وفمه بكِلْتا يديْه، ويضغط بقوة حتى يَختنق ويلْفظ أنفاسه.

كانت طريقة مُرَوِّعة للقتْل، فلك أن تتخيَّل عزيزي القارئ حجْم العذاب والألم والرعب الذي كان يهزُّ كِيان الضحية لدقائق قبل أن تغادر الروح جسده. جثة جوزيف الطحان بِيعَتْ للطبيب نوكس بثمانية جنيهات.



يخنقان الضحية حتى الموت

جريمة قتْل جوزيف الطحَّان فتحت شهيَّة القاتليْن لمزيد من الجرائم، نذكر منها:

- امرأة تُدْعَى: «آبيغال سمبسون» استدرجها الصديقان إلى المنزل وسقياها خمرًا حتى أسكراها ثم قاما بخنْقها وباعا جُثتها بعشرة جنيهات.
- امرأة استدرجتها «مارغريت» إلى المنزل، واحتالت عليها بنفْس الطريقة، أي بسَقْيها الخمر، ثم استدعت زوجها وبورك ليقتلاها.
- بنتُ ليْل تُدْعَى «ماري باتيرسون» التقطها «بورك» من أحد أحياء «أدنبره» الشعبية ودعاها لتناول الإفطار في منزله ثم قتلها بمساعدة زوجته.
- مُتَسوِّلَة تُدْعَى «إيفي» حصل القاتلان على ١٠ جنيهات ثمنًا لجثتها.
- فتاة متشردة أنقذها «بورك» من الاعتقال على يد الشرطة بعد أن زعم بأنه يعرفها ثم اصطحبها إلى المنزل لينتهي بها المطاف بعد ساعات قليلة جثة هامدة على طاولة التشريح في مكتب الطبيب نوكس.
- عجوز فقيرة مع حفيدها الأعمى، احتال القاتلان عليهما بوعد كاذب في تقديم الطعام لهما، قاما بقتْل العجوز أولا بالسُّمِّ، ثم أمسك «هير» بعنُق الطفل وكسَره. الطبيب نوكس اشترى جثة العجوز وحفيدها مقابل ١٦ جنيهًا.
- امرأة أيرلندية من أقارب بورك.
- امرأة أيرلندية من أقارب هيلين زوجة بورك.
- سيدة قادها حظها السيئ للمبيت في منزل مارغريت، لم يكتفوا بقتلها بل قتلوا ابنتها أيضا حين أتت تسأل عن أمها بعد عدة أشهر.
- مُعاق ذِهْنِي اسمه «جيمز ويلسون» ويُلقَّب بـ «جيمي المجنون»، كان شخصية مُحبَّبة ومعروفة ومميزًا بمشْيَته العرْجاء، استدرجه القاتلان ظَنًّا منهم بأنه صيْد سهل، لكنَّ الفتى ذا الثمانية عشر عاما قاومهما بشراسة أذهلتهما ولم يتمكنا من قتْله إلا بصعوبة بالغة.

ولاحقا تسبَّبتْ جثة «جيمي» بحرج كبير للطبيب نوكس، فعندما كَشف الغطاء عن طاولة التشريح في مساء اليوم التالي ارتفع اللَّغط في أرجاء القاعة وصرخ بعض الطلبة قائلين بأن الجثة تعود لـ «جيمي المجنون» وطالبوا بإخبار والدته المسكينة التي كانت تجُوب شوارع «أدنبره» بحثًا عنه، الطبيب نوكس رفض ذلك وقال: بأن الجثة تعود لِمُعاق ذهني آخر، لكن الاضطراب بدا واضحا عليه، وعلى غير عادته، ابتدأ حصة ذلك اليوم بقطْع الرأس وتشويه الوجه.

الجريمة الأخيرة

في صبيحة يوم «الهالووين» [1] ٣١ تشرين الأول / أكتوبر عام ١٨٢٨م، جلس بورك يحْتسي الخمر في إحدى الحانات حين تناهَى إلى سمْعه صوتُ امرأة تتحدث بلغة أجنبية، بورك عرَف في الحال بأنها أيرلندية فاقترب منها وبدأ يُجاذبها أطراف الحديث، أخبرتْه بأن اسمها هو «مارجوري دوشيرتي» وأنها قادمة من بلدة صغيرة في شمال أيرلندا، فتظاهر بورك بالدهشة وزعم كاذبا بأن أمه تنتمي إلى عائلة دوشيرتي أيضا، وأن أصولها ترجع إلى نفس تلك البلدة. والآن وقد تبين بأنهما أقارب فقد أصَرَّ بورك على أن يستضيف السيدة «دوشيرتي» في منزله، وقد انْطَلَتْ الحيلة على المرأة الساذجة بسهولة.

هيلين زوجة بورك استقبلت السيدة دوشيرتي بحفاوة بالغة وأصرَّتْ على أن تبيت ليلتها عندهم، الزوجان المخادِعان أحْكَما نَسْج فَخِّهما المُميت لكنهما اصطدما بمشكلة واحدة، ففي ذلك الوقت كان «بورك» قد أجَّر إحدى غُرَف منزله لزوجين هما «آن» و«جيمس غراي»، وقد انخرط هؤلاء في الحديث مع السيدة دوشيرتي مما عرْقَل خِطط بورك للاستفراد بها.

١- الهالووين أو هالووين (بالإنجليزية: Halloween) أو عيد القدِّيسين: هو احتفال يقام في ليلة ٣١ أكتوبر تشرين الأول من كل عام. ويعد هذا اليوم عطلة سنوية وبشكل خاص في الولايات المتحدة كندا آيرلندا وبريطانيا وأجزاء أخرى من العالم. نقلا عن الموقع العالمي: «Wikipedia. the free encyclopedia». تحت عنوان (Halloween).

لذا أخيرا وبعد أن طفح كَيْلُه، طلب بورك من الزوجين مغادرة المنزل والذهاب لقضاء الليلة في مكان آخر. وما أنْ غادرا حتى أرسل في طلب «هير» وقاما سويًّا بالإجهاز على المرأة.

حين عاد الزوجان «غراي» في صباح اليوم التالي ارتابا للاختفاء المفاجئ للسيدة دوشيرتي، وازدادت شكوكهما حين منَعهما بورك من دخول الغرفة التي كانا يجلسان فيها ليلة البارحة حيث نَسَت السيدة غراي جواربها. لكن الزوجين استغلَّا فرصة مغادرة بورك للمنزل فتسللا إلى الغرفة ليَعْثُرا على جثة السيدة دوشيرتي مخبَّأة تحت السرير. الزوجان عزما على إخبار الشرطة، لكنهما اصطدما عند الباب بـــ «هيلين» التي لاحظت ارتباكهما فعلمت بأنهما شاهدا الجثة وعرضت عليهما مبلغ ١٠ جنيهات أسبوعيا لقاء صَمْتهما، لكنهما رفضا العرْض وأصَرَّا على إبلاغ الشرطة.

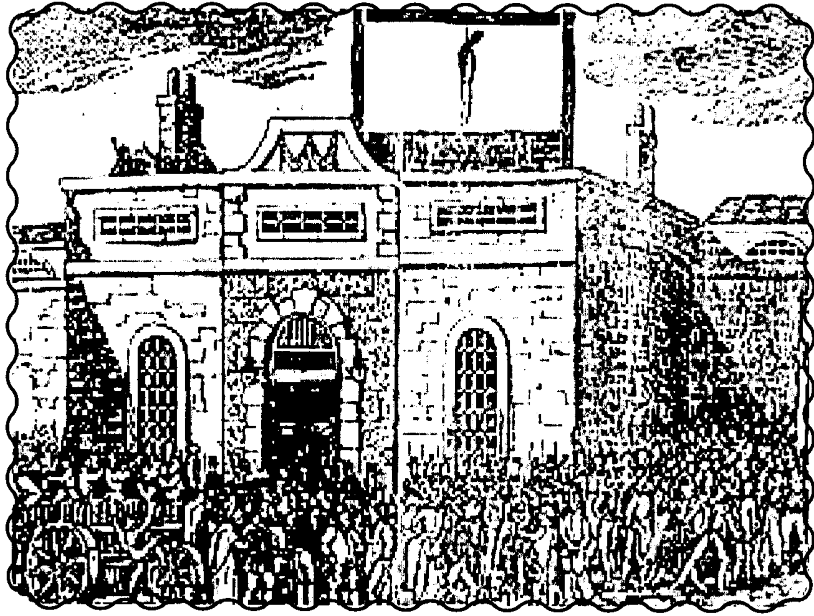
في هذه الأثناء أسرع «بورك» و«هير» في رفْع الجثة والذهاب بها إلى مكتب الطبيب نوكس. وحين وصلت الشرطة عند الظهيرة كانت الجثة قد اختفت من المنزل. لكن الجيران قالوا للشرطة: بأنهم سمعوا صراخ امرأة صادر عن منزل بورك الليلة الفائتة، كما لاحظ المحققون تناقضا في أقوال الزوجين، فــ «بورك» زعم بأن السيدة دوشيرتي غادرت المنزل عند الصباح، بينما قالت زوجته بأنها غادرت مساء البارحة.

الشرطة ارتابت في الأمر فاصطحبت الزوجين إلى القسم، وهناك تقدم شخص مجهول الهُوِيَّة بمعلومات مهمة قادت الشرطة إلى مكتب الطبيب نوكس حيث تم العثور على جثة السيدة دوشيرتي التي كانت قد شُرِّحَتْ جُزْئيًّا، لكن جيمس غراي تمكن من التعرف عليها فقامت الشرطة بإلقاء القبض رسميًّا على كل من «بورك» و«هير» وزوجتيهما بتهمة قتلها.

المحاكمة والإعدام

رغم العثور على جثة السيدة دوشيرتي إلا إن أدلة الشرطة ضد القاتلَيْنِ لم تكن كافية

لأدانتهما، لكن بما أن الجريمة الأخيرة حدثت في منزل «بورك» لذلك رأى المحققون بأنهم يمتلكون فرصة أكبر لإدانته، وذلك بنظرهم كان أفضل من أنْ يفْلِت كِلَا القاتلين بجريمته، لذلك عرضوا البراءة على «هير» مقابل شهادته ضد بورك، وبالطبع وافق «هير» على العرض في الحال.



امتلأتْ ساحة الإعدام بالناس

المحاكمة لم تدُم طويلا، فشهادة «هير» المفصَّلة عن الجرائم أحْكمتْ لفَّ حبْل المشنقة حول رقبة بورك، أما زوجته «هيلين مكدوغال» فقد برئتْ ساحتها لعدم كفاية الأدلة، وكذلك برئت ساحة كل من هير وزوجته، وبالنسبة للطبيب نوكس فلم يُوَجَّه له أي اتهام؛ لأنه أنكر علمه بمصدر الجثث، لكنَّ الكثيرين اعتبروه شريكا في الجريمة.

عملية إعدام وليم بورك كانت من الأحداث التاريخية التي قلما شهدت «أدنبره»

مثيلا لها، إذ يقال بأن حوالي الأربعين ألف إنسان اجتمعوا لمشاهدة هذا الحدَث، بعضهم سهر ليلته بالقُرْب من مَنصَّة الإعدام ليَحْظَى برؤية أفضل رغم برودة الجو والمطر، وكانت الساحة التي اخْتِيرَتْ لتنفيذ الحُكْم تمتلئ بالناس من جميع المشارب والأجناس، لم تسعْهم الأرض فامتلأت بهم نوافذ وسطوح المنازل المحيطة، حتى سيدات الطبقة النبيلة اللواتي قلَّما يشاهدهن العامة حضرْنَ لمشاهدة الإعدام.

وفي صبيحة يوم ٢٨ كانون الثاني / يناير عام ١٨٢٨م. اسْتلَّت المشنقة روح «وليم بورك» تُصاحبها لعَنات الجماهير الغاضبة التي طالبت بتسليمها الجثة لتُمزِّقَها إِرَبًا إربا، لكن جسد بورك أُنْزِل من المشنقة وحُمِل تحت حراسة مشددة إلى جامعة «أدنبره» لينتهي به المطاف عند نفْس طاولة التشريح التي طالما تمدَّدتْ فوقها جثث ضحاياه!.



الهيكل العظمي الحقيقي لبورك.

ماذا حدث بعد ذلك؟

الجماهير الغاضبة أحاطت بجامعة «أدنبره» في مساء يوم الإعدام مطالبة بتسليمها جثة وليم بورك، ولتهدئة الحشود قامت الشرطة بعرض جثة بورك لفترة قصيرة عند بوابة الجامعة. كانت الجثة مُشرَّحة وفي حالة يُرْثَى لها، ولاحقا تمَّ قطْع رأس بورك ليوضع في متحف الجامعة، كما يقال بأن بعض الطلبة قاموا بِسلْخ ودَبْغ أجزاء من جِلْد بورك ثم غلَّفوا بها أحد الكتب المحفوظة في مكتبة الجامعة حتى اليوم!.



قناع من الجَصِّ مأخوذ عن وجْه بورك قبل وبعد الإعدام - قناع الموت -

أما «هيلين ماكدوغال» فقد أطلقوا سراحها ثم فرَّت من منزلها بعد أن هاجمتْه الحشود الغاضبة، ويقال: بأنها هاجرت إلى استراليا.

وأما وليم هير فقد أطلقوا سراحه في إحدى ليالي شباط / فبراير عام ١٨٢٩م، الشرطة تركتْه عند إحدى بوابات المدينة في ساعة متأخرة من الليل وذلك خشية أن تقوم الجماهير بقتْله، وتلك كانت المرَّة الأخيرة التي شُوهِد فيها الرجل، يقال بأنه فرَّ إلى لندن

وانتهى به المطاف مُتَسوِّلا في شوارعها. أما زوجته مارغريت فقد فرَّتْ هي الأخرى بعد أن هاجم الناس الغاضبون منزلها، ويقال بأنها رجعتْ عائدة إلى بلدتها في أيرلندا.

أما الطبيب روبرت نوكس فقد نال انتقادا لاذعا لتعامله مع القتَلَة، فالرجل وبرغم إصراره على عدم علْمه بمصدر الجثث إلا أن سُمْعته وشهرته العلِمية والاجتماعية تعرَّضت لضربة قاصمة، لذلك ترك «أدنبره» وانتقل إلى لندن حيث مات هناك عام ١٨٦٢م.

في عام ١٨٣٢م. أصدر برلمان المملكة المتحدة تشريع التشريح الذي يُنظِّم عمليات حصول الجامعات والمؤسسات الطبِّية على الجثث البشرية لأغراض التشريح.

وقد تناولت السينما قصة بورك وهير في عدة أفلام كان آخرها الفلم الكوميدي البريطاني (Burke and Hare) من إنتاج عام ٢٠١٠م [١].

١- نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Nightmare) بتاريخ (٣ / ١ / ٢٠١١م.)، والموقع العالمي: « Wikipedia. the free encyclopedia ». تحت عنوان (Burke and Hare murders). والموقع الأجنبي (Thugs) تحت عنوان (William and Harry. William Burke).

٤ الدكتور أج.أج. هولمز

وقلعته الدموية



هل لك عزيزي القارئ أن تتخيل فُندقًا بمئة غرفة، شبابيكها مغطاة بصفائح معدنية ولا تُفْتَح أبوابها إلا من الخارج، فندق يحتوي على الكثير من المتاهات والممرات السرية القاتلة، فندق حوَّله صاحبه إلى مصيدة؛ لالتقاط ضحاياه والتلذذ بتعذيبهم وقتلهم.

بينما كان «جاك السفاح» ينشر الرعب في مدينة الضباب «لندن»، كان هناك قاتل آخر لا يقل قسوة عنه يحصد أرواح ضحاياه في الطرف الآخر من المحيط الأطلسي، فلْنقرأ معاً قصة القلعة الدموية الرهيبة التي بناها الدكتور أج.أج.هولمز وحوَّلها إلى مَسْلَخ بشَري مرعب.

بداية الرعب

في عام ١٨٨٧م. مشَى شاب وسيم الطلْعة وفارع القامة إلى داخل إحدى الصيدليات الواقعة في ضاحية «إنجلوود» في جنوب مدينة «شيكاغو» تقدم هذا الشاب نحو صاحبة الصيدلية وسألها إن كانت تبحث عن شخص يمكنه أن يساعدها في إدارة العمل في الصيدلية، كان التعب والإرهاق باديًا على وجه السيدة والتي كانت تُدير الصيدلية لوحدها بسبب إصابة زوجها الدكتور «أ.إس.هولدن» بمرض السرطان.

فوافقت السيدة على الفور خاصة عندما علمت أن الشاب الواقف أمامها واسمه أج.أج.هولمز هو طبيب، وربما كان لوسامته أيضا الدور الأكبر في حصوله على الوظيفة. كان هولمز شعلة من النشاط في عمله، وكانت لوسامته ومزاحه وملاطفته للزبائن (خصوصا السيدات) الأثر الكبير في الزيادة الكبيرة في مَبيعات الصيدلية، الأمر الذي جعل إعجاب وثقة السيدة «هولدن» تزداد بِمُساعدها الجديد.

وشيئًا فشيئًا تركتْ له الصيدلية وأصبح هو المدير الفعلي لها، كانت طموحات هولمز لا حدود لها، وكان ينتظر الفرصة المناسبة لتحقيق ما يحلم به ، وقد واتَتْه هذه الفرصة عندما توفِّي الدكتور «هولدن» المالك الفِعْلِي للصيدلية، فتمكَّن هولمز من إقناع أرملته ببيع الصيدلية له، وقد وافقت السيدة هولدن بشرط أن يسمح لها بالبقاء في السكن في الشقة الواقعة في الطابق العلْوي من الصيدلية.

وقد وافق هولمز على ذلك، إلا أن السيدة هولدن اختفت فجأة بعد فترة قصيرة، وقد أخبر هولمز الجميع بأن السيدة هولدن قد انتقلت إلى «كاليفورنيا» لتعيش مع أقاربها، ولم يرها أحد بعد ذلك أبدا، وفي الحقيقة لم يكن مُتوقَّعًا أن يراها أحد؛ لأن هولمز كان قد قتلها.

مَنْ هو أج.أج.هولمز؟

اسمه الحقيقي «هيرمن وبستر ميدغيت» ولِد فـي مدينة «غلامنتون نيوهمشاير»

عام ١٨٦٠م. في عائلة متوسطة الحال ترجع أصولها إلى أوائل المستوطِنين الأوربِّيين في تلك المنطقة.

كان والِده مُدمنًا على الكحول إلا أنه كان يحْظَى باحترام السكان، وكان مديرًا لمكتب البريد في المدينة. وفي فترة مبكرة من حياته أبدل «هيرمن» اسمه إلى «أج.أج.هولمز» وهو الاسم الذي سيُعْرَف به لبقية حياته، وسيرتكب به جميع جرائمه الدموية فيما بعد.

كان طفلا مشاكسا دائم الوقوع في المشاكل، كما كان قاسيا، يتلذَّذ بإيذاء الحيوانات والأطفال الصغار، إلا أن الحسنة الوحيدة التي تُحْسَب له هي أنه كان دومًا طالبا متفوقًا في دراسته. فقد أكمل الثانوية في سن السادسة عشرة، وبعدها بسنتين في عام ١٨٧٨م. تزوج من «كلارا.أ.لافرينج».

ثم تقدم للدراسة في كلية الطب في شيكاغو وقام بِدَفْع أقساط الدراسة عن طريق زوجته «كلارا» التي ورثت بعض المال من عائلتها، مُبكِّرًا أثناء دراسته ابتكر هولمز وسيلة لجمْع المال، فقد وجد طريقة لسرقة الجثث من مُخْتَبر الكُلِّية، حيث يقوم بتشويهها بشكل يُوحِي بأنها تعرَّضتْ إلى جريمة قتل، ثم يقوم بدفنها في أماكن مختلفة من المدينة، وعند اكتشافها يقوم بجمع مبالغ التأمين على الحياة والتي قام هو بسحْبها على الأشخاص الذين قام بسرقة جثثهم مُدَّعيًا بأنهم من أفراد عائلته.

في عام ١٨٧٩م. ترك «نيو هامشاير» مسافرًا تاركا خلْفَه زوجته «كلارا» التي لن تراه مرة أخرى في حياتها! فتنقَّل هولمز لمدة ست سنوات في الكثير من المدن الأمريكية، وقد كانت هذه الفترة من حياته غامضة نوعًا ما حيث لم يستطع المحققون أن يعرفوا على وجه الدِّقَّة ماذا فعل هولمز خلالها، ولكن الناس (كالعادة) ألَّفوا الكثير من القصص والأساطير حول هذه الفترة الغامضة من حياته.

وفي عام ١٨٨٥م. انتقل إلى مدينة شيكاغو وتزوج من فتاة من عائلة مُوسِرة اسمها «مارتا بلكنب» والتي عن طريق أموال عائلتها قام بفتْح مكتب للطباعة، إلا أن الأعمال لم تجرِ بصورة جيدة مما اضطره إلى تركْه وإلى هجْر زوجته، ليظهر مرة أخرى في جزء

آخر من مدينة شيكاغو، حيث يعمل مساعدًا في صيدلية الدكتور «هولدن» والتي تمكن بالتدريج من الاستيلاء عليها كما شرحنا سابقا.

القلعة الدموية

قام هولمز مع مرور الوقت بشراء المحلات و الأراضي المجاورة للصيدلية حيث قام فيما بعدُ بتشييد بناء ضخم من ثلاثة طوابق سماه الجيران بـ «القلعة» لضخامته وشكله الغريب.

كانت القلعة من تصميم هولمز نفسه، وقد تعمد أثناء البناء إلى تغيير العمال عدة مرات بحجة أن عملهم غير مُتْقَن؛ لكي لا يتمكن أحد من معرفة أسرار البناء والإحاطة بأقسامه سواه.

كانت «القلعة» بِناية عجيبة حقا، فالطابق السُّفْلِي منها كان يحتوي على عدة متاجر فخمة بالإضافة إلى صيدلية هولمز، أما الطوابق العُلْيا فكانت تضم مكتب هولمز إضافة إلى مئة غرفة صمَّاء نوافذها مغلقة بصفائح معدنية، وأبوابها لا تُفْتَح إلا من الخارج!! وكانت تحتوي على العديد من المتاهات والممرات السِّرِّية.

فبعض السلالِم كانت تُفْضي إلى أبواب تفتح على مكان عالٍ شاهق، ولا يُوجَد خلفها سوى فضاء المكان الخالي وراء القلعة، والكثير من الأبواب كانت تُفْتَح على جدران مُغلقة، وكانت أغلب الغُرَف مُزوَّدة بنظام إنذار معيَّن يستطيع عن طريقه هولمز معرفة إنْ كان أحد النُّزَلاء يريد الفِرار من القلعة.

كانت هناك أنابيب لنقْل الغاز تمتد إلى جميع الغُرَف ولكن فتْحها وغَلْقها لا يُمْكن التحكُّم به إلا من مكتب هولمز، وإضافة إلى ذلك كان هناك سرداب كبير أسفل القلعة يحتوي على براميل من الأحماض الكيمياوية وبجانبها أفْران لحرق الجثث.

اكتمل البناء نهاية عام: ١٨٩١م. وقام هولمز بافتتاحه كفندق استعدادًا للاحتفالات الضخمة التي كان يجري التهيؤ لها في شيكاغو بمناسبة مرور أربع مئة عام على اكتشاف كولمبوس للقارة الأمريكية والتي تصادف عام ١٨٩٣م.



القلعة الدموية التي بناها دكتور هولمز

لمدة ثلاث سنوات قام هولمز باستخدام البناية لتعذيب وقتل ضحاياه الذين كان هولمز يختارهم من الفتيات الموظفات عنده في المتاجر الموجودة في الطابق السُّفْلي للقلعة، حيث كانت إحدى شروط الوظيفة هو القيام بسحب بوليصة تأمين على الحياة يدفع هولمز أقساطها ويكون هو في نفس الوقت المستفيد الوحيد منها.

وكذلك كان هولمز يستمتع بتعذيب وقتْل بعض العُشاق الذين يجدون في فندقه مكانا مناسبا للاختباء عن عيون الرُّقَباء، إضافة إلى بعض النُّزَلاء من المسافرين الذين يقذفهم حظهم التَّعِس لقضاء الليلة في فندق هولمز، وفي بعض الأحيان كان يقتُل نُزَلاء فُنْدقه بكل سهولة بأن يفتح أنابيب الغاز الموصولة إلى غرفة المجني عليه، ولم يستطع أي شخص من اكتشاف ما يقوم به هولمز؛ لأنه لم يكن يُبْقي على أي شخص يعمل كمُنظِّف أو عامل في القلعة لأكثر من أسبوعين، يقوم بعدها بإيجاد حجة لفصْلِهم من العمل، ولا يقوم بدفع أُجورهم، لأنه حسب قوانين ذلك الزمان فإن العامل لا يستحق

أُجْرته ما لم يُكْمل شهرا كاملا في وظيفته؛ لذلك يعتقد الكثير من المحققين بأن هولمز لم يدفع بِنْسًا واحدا كأجور للمستخدمين خلال السنوات التي قضاها في القلعة.

ضحايا الدكتور هولمز

أغلب ضحاياه كُنَّ من النساء وخاصة الفتيات الشابات اللواتي كان يصطادهن بوضْع إعلانات في الجرائد لطلب موظفات ليعملن في مَتاجِره، وأحيانا كان يضع إعلانات للزواج مُسْتغِلًّا وسَامته في الإيقاع بضحاياه اللواتي كان يختارهن بعناية، حيث كان يُفضِّل أن لا يكون لديهن عائلة، حتى لا يبحث عنهن أحد عندما يختفين.

كما كان يحرص أن لا يُخْبِرن أحدًا على مكان عملهن الجديد، وأن يجلبن معهن جميع ما يملكن من مدَّخرات بحجة تشغيلها وإعطائهن فوائد وأرباحاً على أصل المبلغ. وما أن تتطأ قدمَا الضحية أرضية الطوابق العُلْيا للقلعة حتى تتحول إلى سجينة بِيَدِ هولمز، كان يتلذذ باغتصابهن وتعذيبهن.

وكان يُبْقِي على بعضهن لعدة أسابيع حتى يسأم منهن فيقوم بقتلهن، ثم يقوم بإحراق جُثَثهن أو إذابتها في براميل الحِمْض، وكانت له طرق مبتكرة في استخراج الهياكل العظمية لبعضهن، ثم بَيْعها كموديل تعليمي للمؤسسات الطبية. لكن هولمز لم يقتل دومًا النساء اللواتي كن يقعن في قبضته، وإنما استخدم بعضهن كمساعدات له في تنفيذ جرائمه والإيقاع بضحاياه، وكانت إحداهن هي «جولي» التي جاءت مع زوجها وابنتها إلى شيكاغو، حيث عمل زوجها كموظف في مَتْجَر الجواهر الذي كان يُدِيره هولمز في الطابق الأسفل للقلعة.

وسَرْعان ما وقعت «جولي» في حب هولمز وأصبحت عشيقته، وقد هجرها زوجها وترك العمل لدَى هولمز بعد أن بدأت شكوكه تزداد حول علاقتها معه، فبقت هي وابنتها للعيش مع هولمز في القلعة.

ويعتقد المحققون بأن «جولي» كانت على علْم بالجرائم التي يقوم بها هولمز، وأنها ساعدتْه في بعضها، لكن أيامها مع هولمز انتهت سريعا، فأثناء اعترافاته أقرَّ هولمز بقتْله

لـ: «جولي» خلال عملية إجهاض كان يقوم بإجرائها لها بنفسه، وأنه قتل ابنتها الطفلة «بيرل» بالسُّمِّ لتنتهي جثتها بعد ذلك مع أمها في براميل الحِمْض في السرداب. ثم قام ببيع هيكل «جولي» العَظْمِي إلى احدى المؤسسات الطبية في شيكاغو.

وقال هولمز: إن السبب الرئيسي لقتلها هو أنها أصبحت تتصرف بطيْش وغباء بسبب غَيْرتها المتزايدة عليه: «لقد كان عليَّ التخلُّص منها في كل الأحوال، لقد أصبحتُ ضَجِرًا منها» هكذا أخبر هولمز الشرطة.

ومن ضحايا هولمز البارزات: «إميلين ساكرند» وهي فتاة رائعة الجمال أغواها هولمز بالعمل لديه مقابل راتب كبير، ولكنها انتهت في إحدى غُرَف القلعة التي لا يخترقها الصوتُ.

وقد اعترف هولمز فيما بعدُ للمحققين بأنه كان مغرمًا بالفتاة، وأنه أبقاها حيَّة لمدة شهر كامل اغتصبها خلاله مرارا، ثم قام بقتلها بعد أن ملَّ منها، وبعد ذلك بفترة أتى خطيبها «رالف» للبحث عنها لكنه لم يغادر القلعة مرة أخرى! وقد اعترف هولمز بأنه قتل «رالف» خلال إحدى تجاربه العلمية التي كان يُجريها على ضحاياه، والتي كانت إحداها هي قياس مَدَى تَحمُّل جسم الإنسان للتعذيب، فقد قام هولمز بِصُنْع طاولة لتشريح ضحاياه، تتمدَّد بشكل يَجُرُّ معه الجسد المربوط عليها حتى يصل إلى مرحلة التمزُّق.

بداية السقوط

بعد انتهاء احتفالات معرض «كولومبوس» العالمي في شيكاغو، حدث رُكود اقتصادي في المدينة، لذلك تركها هولمز وسافر إلى «تكساس» حيث قام بالاستيلاء على ميراث «ميني ويليامز»، وهي فتاة من عائلة غنية في تكساس، والتي أصبحت عشيقة هولمز وشريكته في جرائمه لمدة عام.

ميني ويليامز لم تكن تَقِلُّ دناءة عن هولمز، وقد قامت بقتْل شقيقتها بنفسها والاستيلاء على ميراثها، لكن هولمز الذي لم يكن يُفضِّل الإبقاء على شاهد -ولو واحدًا- على جرائمه

قتلها فيما بعد وقام بالاستيلاء على ثروتها.

وأراد هولمز بناء قلعة جديدة في تكساس مثل قلعته في شيكاغو، ولكنه سريعا ما تراجع عن فكرته هذه؛ لأن القانون في تكساس كان قويًّا وغير متساهل مع الجريمة.

سقوط هولمز بِيَدِ العدالة كان بسبب آخر عملية احتيال قام بها هو وشريكه القديم «بنيامين بيتزل»، حيث أقنعه هولمز بتزوير موته حتى تحصل زوجته مناصفة مع هولمز على مبلغ ١٠٠٠٠ دولار.

وقد وافق بيتزل الذي كانت أوضاعه المالية صعبة وكان مدمنا على الكحول وأب لخمسة أطفال.

لكن هولمز قام بقتل «بيتزل» فعلا، وتقدم للحصول على مبلغ التأمين، ثم قام بخداع زوجة بيتزل التي كانت تُعانِي من ظروف مالية صعبة للغاية، وأقنعها بأن تُبْقِي على ثلاثة من أطفالها بعُهْدته، وأن تذهب لتعيش مع والديها حتى يتم استحصال مبلغ التأمين وحصولها على حصتها.

ثم قام هولمز بالتنقل مع الأطفال عَبْرَ عدة ولايات أمريكية في الشمال حيث كان ينْوِي الفرار إلى كندا، وقام هولمز بقتْل أطفال «بيتزل الثلاثة» في محطات مختلفة أثناء رحلة الفرار التي استمرت حتى أُلْقِيَ القبض عليه في بوسطن أواخر عام: ١٨٩٤م.

والطريف في الأمر: أن هولمز لم يُلْقَ القبض عليه بتهمة القتل، وإنما بتهمة سرقة حصان في تكساس! وهي تهمة لم يعرها هولمز أي اهتمام، وكان يُخطِّط للخروج من السجن، والهروب مع زوجته الثالثة جورجينا.

من سوء حظ هولمز أن الشرطة قامت بإجراء تحقيقات عنه أثناء مدة احتجازه، وقد قام حُرَّاس قلعته الدموية في شيكاغو بإخبار الشرطة بأن هولمز لم يكن يسمح لهم أبدا بتنظيف الطوابق العُلْيا من القلعة، مما أثار شكوك الشرطة ولذلك قرروا تفتيش الطوابق العليا.

دخلت الشرطة إلى القلعة ليلا، لم يكن المحققون يتخيَّلون حتى في أحلامهم ما سوف يجدونه في داخل قلعة الرعب، كان الصمت والسكون المُوحِش يحيط بكل شيء، وعلى الأضواء الباهتة لقناديل الشرطة لم تكن لترى عزيزي القارئ سوى نظرة الخوف والترقُّب المُرْتَسِمة على وجوه المحققين، وتسمع صوت دقَّات قلوبهم التي كانت تتزايد باضطراد مُزْعج وهم يكتشفون في أحد الأفران الموجودة في مكتب هولمز أجزاء من جسد امرأة، إضافة إلى خُصْلات طويلة من شعرها.

وفي السرداب وجدوا برميلا خشَبيًّا ضخمًا يحتوي على سائل غليظ أو كما أسْمُوه فيما بعد: «شُورْبَة الموتَى»! وكان يمكن تمييز جثة طفلة صغيرة لم تَذُب تماما يعتقد المحققون بأنها تعود إلى «بيرل» ابنة «جولي» عشيقة هولمز السابقة.

اسم بعد الآخر، بدأت تتكشَّف أسماء الضحايا الذين اختفت آثارهم في قلعة الرعب، منهم: «كاتي» التي كانت تُدِير مطعما في القلعة، وأختها «ليز» وكذلك ابنتها «آن» كلهم اختفوا ولم يُعْثَر لهم على أثر.

وهناك أيضا: «ويلفرد كول» أحد الأشخاص الذي دخل مرة إلى قلعة هولمز، اختفى بعدها إلى الأبد. ومنهم: «هاري ووكر» الذي عمل سكرتيرا لهولمز لأيام معدودة لم يره شخص بعدَها.

ومضت القائمة تطول يوما بعد الآخر وتُضاف أسماء جديدة لأشخاص اختفوا وتبعثرت أشلاؤهم في «شوربة الموتى» وبراميل العِظام التي كان هولمز يحتفظ بها في السرداب، ويصنع منها هياكله العظمية التي يبيعها للمؤسسات والكليات الطِّبِّية. لقد قدَّرت الشرطة عدد الضحايا بين: ١٠٠ إلى ٢٠٠ ضحية، لكن بعض المحققين يظنون أن العدد الحقيقي لا يقل عن ٢٣٠ ضحية، بسبب كثرة المفقودين في شيكاغو أثناء الاحتفالات بمعرض «كولمبوس» العالمي، والذين لم تعثر الشرطة على أثر لهم.

لكن الرقم الذي تمت محاكمة هولمز على أساسه هو ٢٧ جريمة قتْل فقط من ضِمْنهم «بيتزل» وأطفاله الثلاثة، وذلك على الرغم من أن الشرطة عثرت على الكثير من الجثث

في السرداب، إلا أنها كانت مُشوَّهة ومتداخلة بشكل كبير، بحيث لم تستطع الشرطة تمييز أغلبها، فمعظم ضحايا هولمز كُنَّ من النساء، ولكن كانت هناك جثث لبعض الرجال والأطفال.

هولمز نفسه اعترف في البداية بـ ٢٧ جريمة فقط، ولكنه عاد و ادعى البراءة، ثم صرَّح بعد ذلك بأنه ليس هو المُذْنب الحقيقي في عمليات القتل؛ لأن جسده مسكون من الشيطان! وبسبب هذه الادعاءات والأكاذيب المتناقضة وجد المحققون صعوبة في توثيق اعترافاته، ولا زالت جرائمه تحيطها الكثير من الغموض حتى يومنا هذا.

نهاية الوحش

في ٧ أيار / مايو عام: ١٨٩٦م. تمَّ شَنْق هولمز في «فلادفيا» وقد حِيكَتْ الكثير من الأساطير حول عملية إعدامه، ولكنْ طِبْقا لمراسِل جريدة «النيويورك تايمز» الذي كان متواجدا في غرفة الإعدام فإن هولمز كان هادئا، و لم يُظْهِر أثرًا للخوف أو القلق، كما أنه لم يمُتْ بسرعة، وإنما ظل يتلوَّى لمدة لا تقل عن العشر دقائق، واحتاج خمس عشرة دقيقة لكي يتأكد الشانق من موته!!

ولكن الأساطير لم تنتهِ بعد إعدامه، فما زال الكثيرون يُصرِّون بأن روحه الغاضبة لا زالت تتجوَّل في شوارع شيكاغو، وأن هناك الكثير من الحوادث العجيبة التي حدثت بعد وفاته منها، احتراق قلعته الدموية في حادث غامض.

أغرب شيء هو قبر هولمز، فقد طَلَب -وِفْقًا- لوصيته بأن يُدْفَن على عُمْق عشرة أقدام تحت الأرض، وأن يصبوا الأسمنت المُسلَّح على تابوته حتى أعلى القبر! ولا أحد يعرف لماذا طلب ذلك بالضبط، فالبعض يظن بأنه كان يخاف أن تُسْتَخْرَج جثته بعد موته ويتم العبَث بها، كما فعل هو دَوْمًا مع جثث ضحاياه.

لسنوات عديدة ظلت القلعة الدموية قائمة في ضاحية «إنجلوود» لم يجرؤ أحد على السكن فيها أو حتى الدخول إليها، وظلت مهجورة حتى عام: ١٩٣٨م، حيث قامت

الحكومة بهدمها وبناء مكتب للبريد محلّها.

لقد ذهب هولمز إلى الأبد، ولكن الرعب الذي سبَّبه بقَى يُلْقِي بظلاله على الوجوه عندما يُذْكَر اسمه، وبقتْ كلماته الأخيرة تتردَّد مع صوت الريح التي تعصف بشوارع شيكاغو في ضاحية «إنجلوود» حيث كانت تشهد يومًا كلمات هولمز الشهيرة: «لقد وُلِدْتُ والشيطان يعيش في داخلي، أنا لا أستطيع أن أُخْبِركم بأني قاتل، كما لا يستطيع الشِّعْر وحدَه أن يُلْهِمَ أغنية... لقد ولِدْتُ والشر يقف إلى جانب سريري كالمرشِد، وانطلقتُ معه إلى العالم، ولقد كان معي منذ ذلك الحين...أج.أج.هولمز».(١)

١ - نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Kingdom of Fear) بتاريخ (٩ / ٢ / ٢٠٠٨ م). والموقع العالمي: « Wikipedia, the free encyclopedia ». تحت عنوان (Gilles de Rais). وموقع الصحيفة الأمريكية الشهيرة: (نيويورك تايمز/ The New York Times.) تحت عنوان: (Holmes Cool to the End).

٥ السفاح الألماني

فريدريش كارل هاينريش

سفاح هانوفر.. مصَّاص دماء تلذَّذ بشرب دماء ضحاياه



العديد من الناس يتساءلون عن حقيقة شخصية «مصاص الدماء» وفيما إذا كان لها وجود حقيقي؟

والجواب غالبا ما يكون نفْيًا مصحوبا بالسخرية، فالبعض يردُّون على الفَوْر قائلين: بأن «مصاص الدماء» هو شخصية أسطورية اخترعها الناس البسطاء والسُّذَّج في العصور الوسْطَى للتنفيس عن مخاوفهم وآلامهم.

لكن ما لا يعلمه أغلب الناس هو أنه هناك في عِلْم الطب مرض حقيقي اسمه

(Renfield's syndrome). والمصاب بهذا المرض العقلي يشعر برغبة لا تُقاوَم لمصِّ وشُرْب الدماء.

ورغم نُدْرَة الإصابات وكذلك الدراسات والأبحاث، إلا إن هناك حالات موثَّقة لسفاحين وقتَلَة مُتسلْسِلين كانوا مصابين بهذا المرض، وكانوا يتلذَّذون حقا بِشُرْب دماء ضحاياهم، وأحدهم هو بطل قصتنا في هذا الكتاب.


Fritz Haarmann .. Vampire Of Hanover

أصل الحكاية

كان الصِّبْيَة يلعبون ويمرحون بالقُرْب من ضفاف نهر «لاينه» في مدينة «هانوفر» بألمانيا حين ظهرت فجأة عن أحد زملائهم صرخةُ رعب، كان الصبي يشير بيده المرتجفة إلى كَوْمة داكنة من الطَّمْي والأوساخ على ضفاف النهر تعلوها جمجمة بشرية.

وكعادة الصبيان حين يذعرون فقد أطلقوا للريح سيقانَهم ولاذوا بالفرار لا ينظرون خلفهم، ليخبروا أهليهم بما شاهدوا. ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهر رجال الشرطة في ذات المكان واكتشف المحققون عظامًا بشرية بدا جليًّا أنها مع الجمجمة تعود إلى شخص واحد.

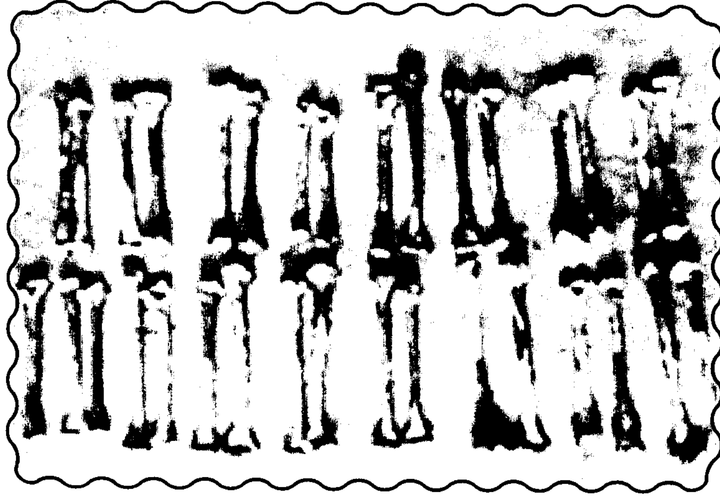
وفي الأيام التالية قذف نهر «لاينه» بالمزيد من العظام على ضفافه. وقد أظهرت

الفحوص الجنائية أن تلك العظام تعود إلى ذُكور تتراوح أعمارهم بين ١٧ - ٢٠ عاما فُصِلَتْ جماجمهم عن أجسادهم، ونُزِعَ اللحم عن عظامهم بواسطة أداة حادَّة قبل إلقائهم في النهر.

في بادئ الأمر ظنت الشرطة أن البقايا البشرية مصدرها أحد المختبرات الطِّبِّية أو بعض نبَّاشِي القبور. لكن العثور على المزيد من العظام على ضفاف النهر وكذلك التقاط حقيبة جِلْدية تحتوي على أحشاء بَشَرية في أحد المستنقعات القريبة من النهر جعلتْ محققي الشرطة يرتابون في أن تكون للقضية خلْفية جنائية.

ومع ازدياد هياكل نهر «لاينه» أخذت الصحافة تكتب عن الموضوع، وأخذ الرعب يملأ المدينة التي صار سكانها يتحدثون بوحي من تراثهم عن ظهور «مُسْتئذِب» آكل للحوم البَشر في مدينتهم.

وازداد خوف الناس بازدياد البلاغات التي تصل الشرطة من عائلات اختفى أبناؤها. كل هذا دفع شرطة مدينة «هانوفر» وبمساعدة مئات المتطوِّعين إلى القيام بحمْلة تفتيش كبرى بحثًا عن دليل يمكن أن يفك لغز البقايا البشرية.



صور حقيقية لبعض العظام التي عُثِرَ عليها في النهر

فتشوا كل مكان.. الغابات.. المستنقعات.. الضواحي.. المقابر والأماكن المهجورة. وأخيرا حجزوا مياه النهر وفتشوا مجْراه فعثروا هناك على كمية كبيرة من العظام البشرية تبيَّن لاحقا أنها تعود إلى قرابة ٢٢ شخصا جميعهم من الذكور التي تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٢٠ عاما.

وبعض هذه العظام كانت ترقد في قاع النهر منذ مدة طويلة فيما بدت مجموعة أخرى حديثة العهد، وأغلبها تمَّ نزْعُ اللحم عنها قبل أن تُرْمَى في النهر.

شنَّتْ شرطة هانوفر حملة واسعة من الاعتقالات تم خلالها استجواب أرباب السوابِق، كما بثَّتْ عشرات المُخْبِرين في أرجاء المدينة لمراقبة كل من يُشْتَبَه بصلته بشبكات الإجرام.

لكن جميع الجهود باءت بالفشل ولم يتم التوصل إلى أي شيء يمكن أن يساهم في حل القضية.

محطة القطار

في يوم ٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٢٤م. انتبه المسافرون في محطة قطار «هانوفر» إلى صراخ ونقاش حادٍّ ارتفع من أحد الأركان بين فتى مراهق ورجل في الأربعين من عمره، أحد رجال الشرطة تقدم إليهما وتساءل عن سبب جدالهما؟

فأشار الرجل الأربعيني إلى الفتى وقال مخاطبا الشرطي: «اقبض على هذا الفتى أيها الشرطي لأنه يسافر بأوراق مزورة».

ما قاله الرجل أغضب الفتى بشدة فصرخ قائلا: «ياله من كاذب!.. لا تُصدِّقه أيها الشرطي.. لقد احتجزني هذا الرجل في منزله عدة أيام وحاول قتلي».

بدا الارتباك جليا على وجه الرجل الأربعيني فأجاب متلعثما: «هل تُصدِّق هذا الفتى المخادع!.. إنه هارب من عائلته ويسافر بأوراق مزوَّرَة.. أااا.. أانا رجل شريف.. و.. وو.. أنا أعمل مع الشرطة أيضا!».

نظر الشرطي إلى الرجل والفتَى أمامه بعين الرِّيبة وتذكر جيدا الأوامر التي كرَّرها

عليه رئيسه عدة مرات في الانتباه لكل أمر يحدث أمامه حتى لو بدا تافهًا وغير مهم، لذلك أمر الشرطي كُلًّا من الرجل والفتى أن يأتيا معه إلى القِسْم وبدون مناقشة.

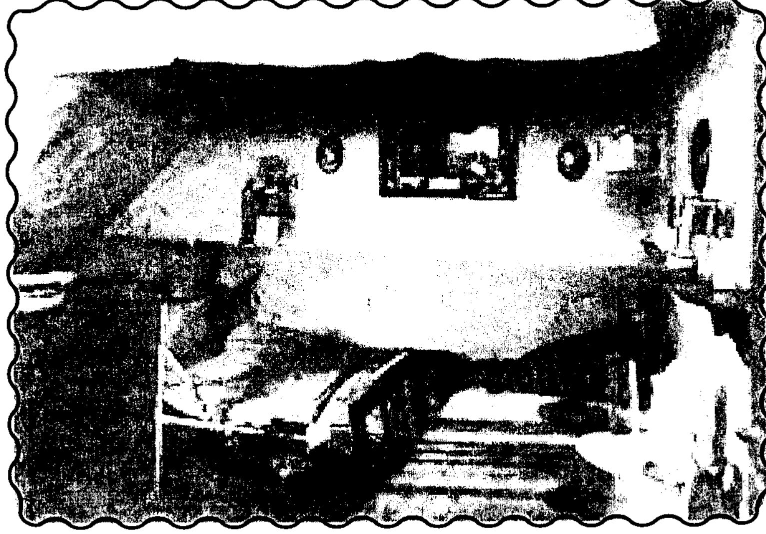
وفي القِسْم تعرَّف المأمور على الرجل الأربعيني على الفور، إنه فريتز هارمن (Fritz Haarmann) من أرباب السوابق يعمل مع الشرطة أحيانا كمُخْبِر، وله سِجِلٌّ حافل بجرائم التحرُّش بالفِتيان المراهقين.

أما الفتى المراهق فكان يُدْعَى «كارل فروم»، في الخامسة عشرة من العمر. قال بأنه قابل «هارمن» في محطة القطار قبل عدة أيام، فعرض عليه هذا الأخير مساعدته في إيجاد عمل ومأوى، واصطحبه معه إلى شقَّته، وهناك تحرش به جنسيا واعتدى عليه. وفي اليوم الأخير من إقامته القصيرة استيقظ الفتى صباحا ليجد «هارمن» ممسكا بسكين كبيرة ويتفحص جسده كأنه جزَّارٌ يختبر خروفا قبل الذبْح!

ثم التفت نحو الفتى وسأله: «هل تخاف الموت؟» فتملَّك الفتى رعبٌ شديد حتى عجز عن الرد، فانفجر «هارمن» ضاحكا وابتعد قائلا بأنه يمزح.

لكن الفتى قرر الهرب إثْر هذه المِزْحة السمجة، فلحقه «هارمن» إلى محطة القطار وانتهى بهما المطاف إلى قسم الشرطة.





شقة فريتز هارمن من الداخل.

الصدفة أوقعت الوحش

ومن غرائب الصُّدَف أنه بينما كان هارمن في قسم الشرطة، كانت والدة أحد الفتيان المفقودين ويُدْعَى «روبرت فيتزل» تنتظر من أجل لقاء المأمور أمَلًا في معرفة أي شيء حول مصير ابنها.

وحين جلبوا هارمن للتحقيق أخذت السيدة «فيتزل» ترمقه بنظرات حادة، كانت تنظر إلى شيء محدد في جسده، إنها سُتْرَة كان «فيتزل» يرتديها، ثم فجأة ارتمتْ عليه وأخذت تصرخ: «إنها سترة روبرت!.. إنها سترة روبرت!.

حال رجال الشرطة بين السيدة «فيتزل» وبين « فريتز هارمن » وسألوها عن سبب صراخها؟ فأخبرتهم بأنها واثقة بأن السُّتْرة التي يرتديها «هارمن» هي نفسها سُتْرة ابنها «روبرت» التي كان يلبسها في ليلة اختفائه، وللتأكد من ذلك طلبتْ منهم أن يقوموا بفحص بِطانَتِها؛ لأن اسم «فيتزل» مكتوب عليها.



صورة لَمَدْخَل شقة فيتزل» من الخارج.

وبالفعـل عثـروا على الاسم مكتوبا داخل البِطانـة. لكن «هارمن» أنكر معرفته بـ: «روبرت» وزعم بأنه اشترى السُّترة من أحد باعة الملابس المستعْمَلَة.

كان روبرت فيتزل في الثامنة عشرة حينما اختفى فجأة في إحدى الليالي أثناء عودته من أحد عُرُوض السيرك، وقد شُوهِد للمرة الأخيرة وهو يمشي برفقة رجل زعم بأنه شُرطي.

أخذَتِ الشكوك تحوم حول «هارمن» فقامت الشرطة بتفتيش شقته وعثرت داخلها على كمية كبيرة من الملابس المستعملة التي تبين بأن قِسْمًا كبيرا منها يعود لبعض الفِتْيَة المفقودين، كما لاحظ المحققون أن جدران الشقة كانت مغطاة بِبُقَع دماء يابسة كأنها جدران «مَجْزر» أو محل «جزار».

زعم هارمن أنه اشترى الملابس المستعملة في منزله من الباعة المتجولين، وأنه لا يعلم مصدرها الحقيقي، أما بُقَع الدم على جدران شقته فزعم أنها دماء حيوانية؛ لأنه كان يتاجر باللحوم أحيانا.

لكنَّ حُجَج هارمن لم تَقنع الشرطة، فقد كانت تعرف أن هارمن كان شاذًّا جِنسيًّا، ولديه سوابق عديدة في التحرش والاعتداء على الأطفال والمراهقين، كما أن العثور على ملابس العديد من الفِتْيان المفقودين في شقته يدل على علاقته المباشرة باختفائهم.

لأيام عديدة حاصر المحققون بالمباحث الألمانية هارمن بالأسئلة، وواجهوه بالأدلة الدامغة، وأنهكوه بالتعنيف والضرب حتى حصلوا منه في النهاية على اعترافات ستَهزُّ ألمانيا لبشاعتها ووحشيتها.

من هو فريتز هارمن؟

ولد فريتز هارمن في هانوفر عام ١٨٧٩م، وكان الطفل السادس لأبوين فقيرين. كان والده قاسيا وعنيفا، أما أمه فقد أوْلَتْه محبة وعطفا كبيرَيْن.

لكنَّ الشيء المميز في طفولة هارمن هو عدم ممارسته لألعاب ونشاطات الأطفال الذكور، وعِوَضًا عن ذلك كان يقضي جُلَّ وقته يلعب بالدُّمَى والعرائس مع شقيقته.

وفي المدرسة لم يكن هارمن طفلا متفوقا أو مميَّزا، لكنه كان يعشق إفزاع وتخويف الآخرين منه إلى حَدِّ الهَوَس.



اقتياد هارمن إلى المحاكمة

وفي سن السادسة عشرة وبسبب علاقته السيئة بوالده قرر الفتى الالتحاق بالجيش، أحب هارمن الحياة العسكرية فأبْلَى بلاءً حسنا في معسكرات التدريب، وربما لو استمرت حياته في الجيش لَتَغيَّر مستقبله كليا.

لكن بعد عام على التحاقه بدأ هارمن يُعاني من نَوْبات صرَع سقط في إحداها من مكان مرتفع فأُصيبَ رأسُه وأُغْشِيَ عليه.

وقد أجمع زملاؤه على أن شخصيته وسلوكه قد تغيَّرا بشكل كبير بمجرد إفاقته من الغيبوبة، لقد تحول إلى شخص آخر لا يَمُتُّ بصلة إلى هارمن الطموح والمُثابِر. وهناك من يعتقد بأن هذه السقْطة كان لها الدور الرئيس في تكوين شخصية هارمن المجرم، ففي عالم الطب تُوجد نظرية قديمة تعتقد أن القتلة المُتسلْسِلين تعرَّضوا في مرحلة ما من حياتهم إلى حادث عنيف غيَّر سلوكهم كُلِّيًا وأثَّر في سلامة عقولهم.

خرج هارمن من الجيش بسبب مرضه، وعاد إلى منزل عائلته في «هانوفر» ليعمل في مصنع للسجائر.

وفي عام ١٨٩٨م. أُلقِيَ القبض على هارمن للمرة الأولى بتهمة التحرش الجنسي بطفل، فتمَّتْ محاكمته، إلا أنه لم يُسْجَن؛ لأن الأطباء الذين فحصوه قالوا بأنه يُعاني من مشاكل عقلية، وتمَّ تحويله إلى مصحَّة عقلية. وقد أمضى هارمن ٦ أشهر في المصحة قبل أن يفر منها إلى سويسرا.

وفي عام ١٩٠٢ عاد هارمن إلى ألمانيا والتحق بالجيش مرة ثانية تحت اسم مُستعار، وهذه المرة أيضا تمَّ خروجه لأسباب مرَضِيَّة لكن بِمَعاش تَقاعُدِي كامل.

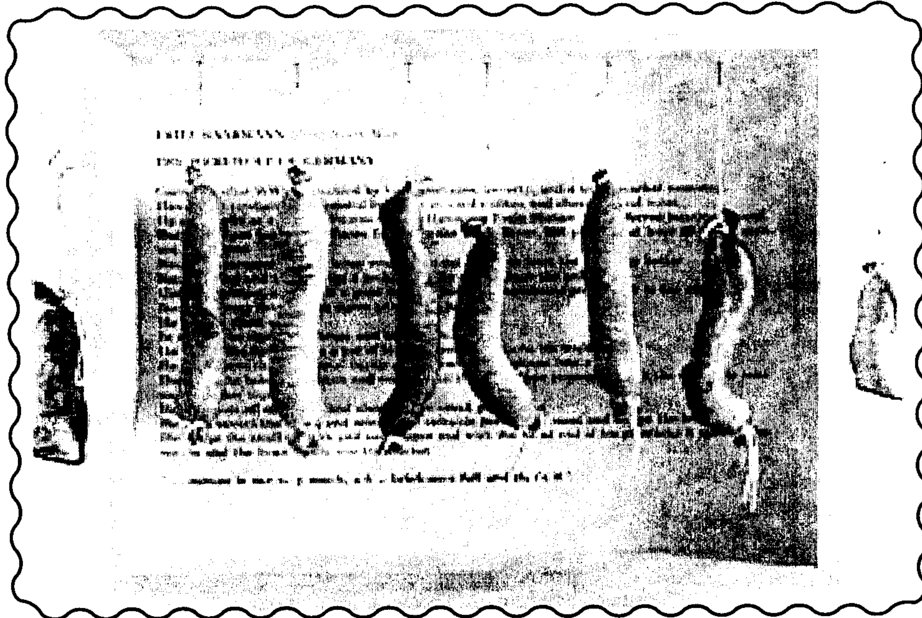
مرة أخرى عاد هارمن إلى هانوفر وحاول أن يبدأ عملا خاصا فاستأجر دُكَّانًا صغيرا، لكنه سرعان ما أفلس وخسر كل أمواله، فقرر ترْكَ الأعمال الشريفة نهائيا وانغمس كُلِّيًا في عالم الجريمة والسرقة.

ولكثرة ممارسة هارمن لجرائم اللصوصية والاحتيال، فقد أُلْقِيَ القبض عليه عدة

مرات حتى أصبح وجْهًا مألوفا في الأقسام والسجون إلى درجة أنه أخذ يعمل مع الشرطة أحيانا كمُخبر.

لكن في عام ١٩١٤م. أُلْقِيَ القبض عليه مُتلَبِّسًا بسرقة كبيرة، وحُكِمَ عليه بالسجن لأربع سنوات.

حين خرج هارمن من السجن عام ١٩١٨م صدمه وضْعُ ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كان الاقتصاد مُدَمَّرًا والبلاد تعاني من تقلُّبات سياسية واجتماعية كبيرة نتيجة الهزيمة. لذلك لم يجد هارمن بُدًّا من العودة لحياة الإجرام والتي بدا أنها انتعشت كثيرا بسبب ظروف البلاد.



كان يحول ضحاياه إلى لحم مُجَفَّف ويتلذَّذ بتناول شرائحَ منها. (صورة حقيقية)

أعوام الرعب

أول ضحايا هارمن كان فتى في السابعة عشرة من العمر اسمه «فريدل روث» اختفى في أيلول / سبتمبر عام ١٩١٨م، ولأنه كان قد شُوهِد للمرة الأخيرة برفقة هارمن لذلك قامت الشرطة بمداهمة مسكن هذا الأخير، لكنْ عوضا عن العثور على الفتى المفقود عثرت الشرطة على هارمن في الفراش مع فتى أخر نصف عارٍ، فأُلْقِيَ القبض عليه بتهمة التحرش الجنسي، وحُكِمَ عليه بالسجن لتسعة أشهر.

والطريف أن الشرطة لو كانت قد فتشت الشقة آنذاك لعثرت على رأس «فريدل روث» ملفوفًا في جريدة خلف الموقِد في غرفة هارمن.

وفي عام ١٩٢٠ خرج هارمن من السجن، فأخذ يتودد إلى الشرطة ويمدهم بالأخبار، وخلال هذه الفترة أيضا تعرَّف على فتى مُشرَّد يُدْعَى «هانز غرانز» مارس التحرُّش معه مقابل المال، ثم توطَّدتْ علاقتهما وأصبح يعيش معه ولا يفارقه.

ورغم أن «هانز» لم يشارك في قتل أي من ضحايا هارمن إلا أنه كان على علمٍ بالجرائم، وكان يحتفظ لنفسه أحيانا بملابس الضحايا وأغراضهم الشخصية أو يقوم ببيعها في سوق الملابس المستعملة، كما كان له دور رئيسي في دفْع هارمن إلى اقتراف جريمتَيْ قتْل لمجرد أن ملابس الضحايا أعجبتْه فأراد الاستيلاء عليها.

جميع الضحايا كانوا من الذكور. وقد اعترف هارمن للمحققين بأنه شاذ جنسيا. فلذلك كان يلتقط ضحاياه من محطة القطار، وفي الغالب كانوا فتيان هاربين من أهليهم أو فقراء باحثين عن عمل أو بعض مَنْ كانوا يعرضون أجسادهم مقابل المال، كان هارمن يَعِدُهم بإيجاد عمل أو يُغْرِيهم بمأوَى دافِئ ووجْبة حارة، وأحيانا كان يوهمهم بأنه رجل شرطة يعمل مُتخفِّيًا فيعتقلهم بحجج مختلفة، ويصطحبهم إلى شقته حيث يعتدي عليهم جنسيا ويقتلهم.

في الحقيقة أن الجانب المرعب في جرائم هارمن لا يتمثل في عدد ضحاياه، ولكن

في الطريقة التي كان يقتلهم بها، إنها طريقة شيطانية مرعبة لا تخطر على بال أي إنسان استحق هارمن بسببها لقب «مصاص الدماء».

الطريقة الوحشية في قَتْل ضحاياه

في لحظة ما أثناء الاعتداء كان هارمن يُثَبِّت ضحيَّته جيدا بيديه وقدميه، ثم يُطْبِق بأسنانه على منطقة العنق، كان يُطْبق فَكَّيْه بكل قوة حتى تخترق أنيابُه الجلد وتنفذ إلى القصبة الهوائية للضحية، ثم يستمر بالضغط حتى يقضم ويقتلع «تفَّاحة آدم»[1] بأسنانه. عَمَليًّا كانت الطريقة تُشْبه طريقة قتل الحيوانات المفترسة لفرائسها، فقَطْعُ القَصَبة الهوائية يُؤدي إلى النزيف والاختناق والموت.

كان هارمن يبلغ أقصى درجات النشوة أثناء تدفُّق دماء ضحاياه الحارَّة إلى فمِه أثناء تمزيقه لقصباتهم الهوائية، كان يتلذذ بشرب الدم ويَكْرَع منه حتى يفارق الضحية الحياة.

وبعد موت الضحية كان هارمن يبدأ بتقطيع الجثة، باستخدام عملية بشعة وصفها هارمن للمحققين كالآتي:

«كنتُ أُمَدِّد الجثة على الأرض ثم أضع قطعة قماش على الوجه لكي لا تنظر عيون الضحية إليَّ أثناء تقطيع الجسد. ثم أقوم بعد ذلك بفتْح البطنِ فأستخرج جميع الأحشاء وأضعها في الدلْو.

ثم أقوم بوضْع مَنْشَفة في تجويف البطن أجْمَع الدماء بواسطتها حتى آخر قطْرة. ثم أعمل ثلاثة جروح في صدر الجثة من جهة الأضلاع حتى الكتِف، وأشُدُّ الأضلاع بقوة حتى تنكسر العظام حول الكتف. ثم أقوم بمزيد من القطْع في هذه المنطقة حتى أستطيع

---

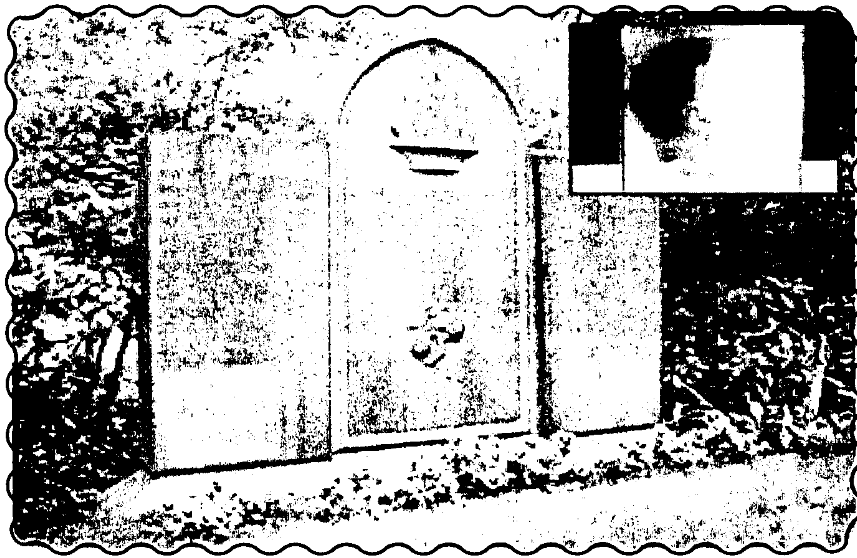
١ - تُفّاحَةُ آدَم: هو اسم يُطْلَق على جزء بارز يظهر في الجزء الأمامي للرقبة، نتيجة لبروز الغضروف الدرَقي المحيط بالحنجرة، ويعتبر أكبر وأبرز غضروف فيها. نقلا عن مقالة «هل للمرأة تفاحة آدم»؟ للكاتبة ريما سليم البطل. وهي منشورة في جريدة «النور السورية» بتاريخ (١٤/ ٨/ ٢٠٠٧م).

الوصول إلى القلْب والرِّئة والكُلَى، فأقوم بإخراجها وأضعُها في الدلْو.

وبعدها أفْصِل الأرجل والأيدي وأقوم بنَزْعِ اللحم عن العِظام وأضعه في الحقيبة على حِدَة. وفي العادة يستغرق التخلُّص من الأشلاء خمس رحلات إلى النهر.

وبعد تنظيفي لتجويف البطن أقوم بِقصِّ العضو الذكري وأقطعه إلى أجزاء صغيرة جدا. وأنا أكره دائما القيام بهذه العملية لكنني لا أستطيع أن أقاوم الرغبة التي تدفعني للقتل، والتي هي أقوى بكثير من الاشمئزاز الذي أشعر به أثناء تقطيع الجثث.

وآخر جزء في الجثة أتخلَّص منه هو الرأس، أقوم بِمَسْكه والوجْه نحو الأسفل حتى لا تراني العيون، ثم أضع بعض خِرَق القُماش في الأُذُن حتى لا يسمع الضحية صوت الضربات التي أُوجِّهها إلى مؤخرة الجمجمة، فأكسرها وأستخرج الدماغ الذي ينتهي به المطاف مع بقية الأحشاء في الدلْو».



قبر جماعي لضحايا هارمن، وإلى الأعلى صورة صغيرة لرأسه المقطوع والمحفوظ في إحدى المدارس الطِّبِّية.

حقًّا كان هارمن مُخْتلًّا عقليا، فقد كان يُغَطِّي أَعْيُن الجثث حتى لا تراه؟! ويضع خِرَقًا في أُذُنها حتى لا تسمعه؟!.

بل كان أحيانا كان يذهب لمقابلة عائلات ضحاياه! زاعما بأن لديه معلومات عنهم طمَعًا بجائزة مالية، وعند عودته كان يروي لصديقه «هانز» كيف أنه كان يكتم ضحكاته وهو يستمع إلى تضرعات والِديْ الضحية وتوسُّلاتهما لمعرفة أي شيء عن ابنهما المفقود.

والمصيبة أن مجنونا كهذا كان يعمل مُخْبِرا لدى الشرطة! وكان يستدرج العديد من ضحاياه بِزعْم أنه شرطي، أحدهم كان صبيا في الثالثة عشرة من العمر خرج ليشتري خُبْزًا فانتهى به المطاف في شقة هارمن، ثم جثة مُمزَّقة في قعر نهر «لاينه».

كم هو عدد ضحايا فريتز هارمن؟

لقد تمَّت محاكمة هارمن بسبع وعشرين جريمة قتل، وأُدِين بأربع وعشرين منها، لكن هناك من يعتقد بأن عدد ضحاياه يفوق العدد المعْلَن بكثير.

فالشرطة ضبطت كمية كبيرة من الملابس والأغراض الشخصية في شقة هارمن، لكنها لم تستطع تحديد هُوِيَّة أصحاب هذه الأغراض إلا بنسبة الرُّبْع فقط، أما الباقي فلا يُعْلَم مَنْ هم أصحابها وما هو مصيرهم، لذلك هناك من يعتقد بأن عدد الضحايا الحقيقي لا يقل عن ٧٠ شخصًا.

كان كارمن يتمتع بإفزاع الآخرين، وهي صفة رافقتْه منذ طفولته، حتى في أثناء التحقيق معه كان يجد متعة كبيرة في وصْف طريقة قتْله لضحاياه وتمزيق أجسادهم.

وكان يتمتع بنظرات الفزع والخوف والصدمة البادية على وجوه محققي الشرطة الذين لم يسمعوا طوال حياتهم بإجرام وجنون كهذا الذي كان هارمن يصفه.



السفاح هارمن في طريقه إلى المحكمة.

فأحيانا كان كارمن يقتل ضحيتين معا، كان يقتل أحدهما ويتلذذ بملامح الرعب والخوف التي تَطْغَى على وجه الضحية الثانية والذي بات يعلم نوعية المصير الأسود الذي ينتظره، كان كارمن يجد متعة كبرى في توسُّل وبكاء ضحاياه؛ لأنه يُشْعِره بأنه لا يُقْهَر، وبأنه أعلى مرتبة من البَشر العاديين.

وهكذا يومًا بعد آخر كانت شهوته للدماء تزداد للحصول على ضحايا جُدُدٍ، حتى أنه في الأشهر الأخيرة التي سبقتْ اعتقاله صار يقتل بمعدَّل ضحية لكل أسبوع.

والوحيد الذي لم يقتله هارمن ولسبب مجهول هو «كارل فروم» الفتى الأخير والوحيد الذي خرج من شقته حيًّا.

كيف كان يفعل بلحم ضحاياه

لكن ماذا كان «فريتز هارمن» يفعل بلحم ضحاياه؟ فالرجل كان يتاجر باللحم. وكان يبيع لحما رخيصا أثناء الأزمة الاقتصادية التي ألَمَّتْ بألمانيا بعد الحرب، وكان له العديد من الزبائن.

وكان حينا يزعم بأن شرائحه الدَّسِمة هي لحم خنزير، وتارة يقول إنها لحْم خروف. والغريب أن بعض الزبائن كانوا راضين تماما عن بضاعة هارمن، وقالوا: بأن لحومه كانت لذيذة وسريعة الطبْخ!

فيما كان رأي البعض الآخر مُغايرًا تماما، حيث قالوا بأنهم أُصِيبوا بِعُسْر هضْم بعد تناول اللحم الغريب الطعم الذي كان هارمن يبيعهم إياه.

وكان هارمن نفسه يتلذذ أحيانا بتناول شرائح من لحم ضحاياه، وقد عثرت الشرطة في منزله على لحْم بَشَري مُجَفَّف.



صورة مُلْصَق لأحد الأفلام السينمائية عام ١٩٣١م.
و التي جُسِّدَتْ فيها قصة السفاح فريتز هارمن.

نهاية هارمن السفاح:

وأخيرًا نال هارمن وشريكه «هانز» حُكمًا بالإعدام بالمقصلة [١] ولكنَّ الحُكم خُفِّفَ على هانز لاحقا إلى السجن ١٢ عاما؛ لأنه لم يثبت أنه شارك في أيٍّ من الجرائم رغم عِلْمه بها.

والطريف هو أن هارمن طلب أن يتم إعدامه في أعياد الكريسماس، وذلك لكي تذهب روحه إلى الجنة فيحتفل بالعيد هناك مع أمه!!

وفي ٢٥ نيسان / أبريل عام ١٩٢٥م. قُطِعتْ رأس «فريتز هارمن» بالمِقْصَلَة، وقد احتفظ العلماء برأسه لكي يقوموا بدراسة دماغه، وهي محفوظة اليوم في مدرسة غوتنغن الطبية بألمانيا [٢].

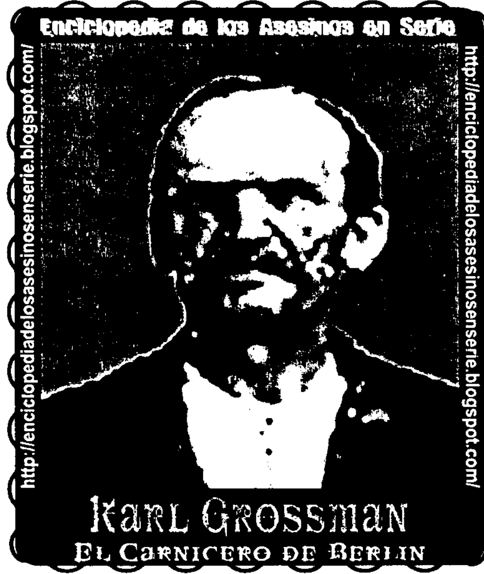
١- المِقْصَلَة: اسم آلة حادَّة كانوا يقطعون بها رقاب المحكوم عليهم بالقتل، وقد حَلَّتِ المشنقة محلها الآن. وقد شاع استعمالها في الثورة الفرنسية من سنة ١٧٨٩م. وجمعها: مقاصل. انظر: «المعجم الوسيط» [٢/ ٣٩٧]. طبعة دار الدعوة.
وقال الأستاذ عبد الغني أبو العزم في كتابه « معجم الغني»: « المِقْصَلَة: آلَةُ إِعْدَام، فِي أَعْلاَهَا شَفْرَةٌ عَرِيضَةٌ حَادَّةٌ تَنْزَلِقُ بَيْنَ دِعَامَتَيْنِ عَمُودِيَّتَيْنِ، وَتَسْقُطُ عَلَى رَأْسِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ بِالإِعْدَامِ فَتَقْطَعُهُ. وَقَدْ أُلْغِيتِ المِقْصَلَةُ وَحُكْمُ الإِعْدَامِ فِي فَرَنْسَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ».

٢- هذه القصة نُشرت لأول مرة بالعربية في موقع «مملكة الخوف» بتاريخ (٢٥ / ٥ / ٢٠١٠م). وقد نقلناها هنا ببعض التصرُّف والزيادات. وانظر أيضًا: الموقع الإنجيلزي «Journal of incest». والموقع العالمي: « Wikipedia. the free encyclopedia ». تحت عنوان (Fritz Haarmann) وصحيفة «ديلي تايمز/ Daily Times » في عددها الصادر بتاريخ: (١٥/ إبريل/ عام ١٩٢٥م). تحت عنوان: (فريتز المستدرِج للشباب يموت على المقصلة / Fritz Inveigler for young people die on the guillotine). ومقال « فريتز جزار هانوفر/ Fritz Butcher of Hanover » للكاتب: الكسندر جيلبرت. المنشور على الموقع الأجنبي: (Crime Library).

٦ السفاح الألماني

كارل جروسمان

جزَّار برلين، أو بائع لحوم النساء!



هـو السفاح الألمـانـي الشهـير «كارل فيلهلم جروسمـان». (١٣ ديسمـبر ١٨٦٣م/ ٥ يوليو ١٩٢٢م). وكان يُلقَّب بـ «جزار برلين» في ألمانيا.

من هو كارل جروسمان

المعلومات عن هذا السفاح تكاد تكون شحيحة للغاية. نحن نعرف أنه ولِد في عام ١٨٦٣م. وكان يعمل جزَّارًا في الفترة ما بين عام ١٨٧٩م. و عام ١٨٩٥م.

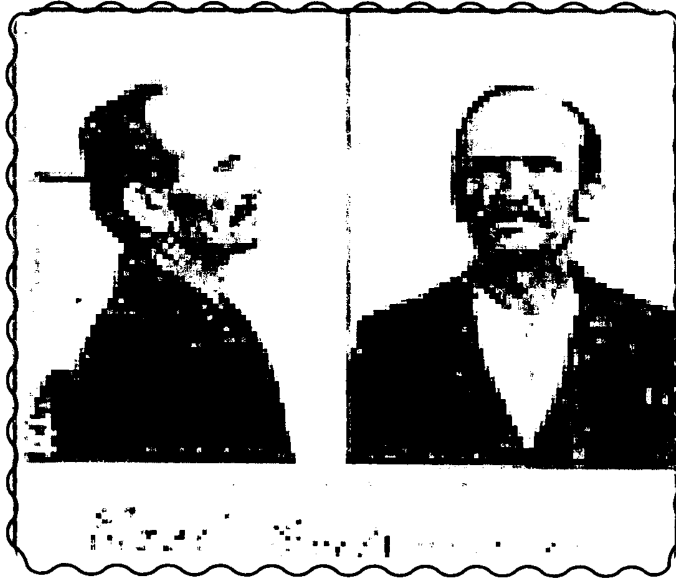
عاش كارل في برلين ممارسًا مسيرته الإجرامية التي تغلَّبتْ عليه في تلك الفترة. لا نعرف

الكثير عن حياته المبكرة، إلا أنه كان يمارس السادية[1] الجنسية مع ضحاياه، وكان قد اتُّهِم بتهمة التحرش الجنسي بصبي صغير في ٢١ آب(أغسطس) عام ١٩٢١م.

وحشية كارل وجرائمه

كان كارل سفاحًا فاتكًا، شارك في الحرب العالمية الأولى، وكان يعمل في السابق جزارًا، ثم مارس جرائم القتْل وبَيْع لحْم البَشَر.

وقد ذكروا عنه أنه كان يجلب البغايا إلى مسكنه ثم يشرب الخمر مع الواحدة منهن، ثم يقتلها ويقطعها ويبيع لحمها على عربة يسوقها بيده، زاعمًا أنه لحم بقر أو خنـزير.



الصورة الوحيدة للسفاح كارل

---

١ - السادية: مذهب فِكْري يقوم على تحقيق اللّذة بتعذيب الآخرين.

أو هو شذوذ جنسيّ قائم على التّلذُّذ بإحداث الألم لدى الآخر طلبًا للتهيُّج الجنسيّ أو لإشباعه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» [ص/ ١٤٥٣] للأستاذ أحمد مختار عمر.



برلين عام ١٨٨٨م.

كان كارل يختار معظم ضحاياه من النساء والبغايا ويقتادهن إلى منزله. وكان يصطحب بعضهن من القادمات من محطة «سيليزيا» بالعاصمة برلين.

لقد فاقت وحشيته كل المقاييس، فقد كانت له متعة غريبة في ذبح ضحاياه من النساء، ثم تقطيع أجسادهن بوحشية متناهية، ثم يصنع منها النقانق واللحم المقَدَّد، ثم يحمله في عربة يدوية، ويطوف به أرجاء المدينة يبيعه للناس على أنه لحم خنزير أو غيره!

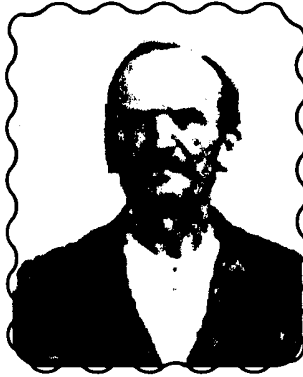
وقد ذكروا أنه كان يتخلص من عظام ضحايا وما لا يصلح للأكل من أجسادهن بإلقائها في نهر كان قريبًا من منزله بالعاصمة!

وذات يوم في أغسطس عام ١٩٢١ سمع مالك العَقَار الذي يسكن فيه "جروسمان" وبعض الجيران صوت شِجَار وصراخ واستغاثة داخل شقته؛ فقاموا بإبلاغ الشرطة فلما اقتحمت الشقة وجدتْ فتاة مذبوحة ممتدة على سرير على وشْك أن تُقَطَّع! ووجدتْ أيضا بقايا ثلاث جثث أخريات ؛ فقُبِضَ عليه وحُكِم عليه بالإعدام، ولَمَّا علم كارل بالحكم جعل يضحك!

ولم يُدْلِي للشرطة بأي اعترافات على جرائمه، بل أصرَّ على الضحك، وقد ظلت دوافعه إلى تلك الأفعال الإجرامية غير معروفة إلى حد كبير.

وقد عثرت الشرطة في منزل كارل على بُقَع من الدم في أماكن متفرقة، بما قد أشار إلى أنه قام ذبح ما لا يقل عن ثلاثة أشخاص آخرين في الأسابيع الأخيرة.

وقد قدَّرتْ المباحث الألمانية أن عدد النساء اللاتي عُثِرَ على آثارهن في منزل كارل قد تجاوز ٥٠ امرأة شابة كلهن قد اقتادهن كارل إلى شقته، وانتهى بهن المطاف إلى قتْلهن وتقطيع أوصالهن.



نهايته

في ٥ من شهر يوليو ١٩٢٢م. أُدِينَ كارل جروسمان بتهمة القتل عمدًا، وحُكِم عليه بالإعدام. وقبل أن يتم الحكم عليه، بادر كارل بشنْق نفسِه في سجنه، ووجدوه معلَّقًا من رقبته في زنزانته!

ويبقى كارل جروسمان أو «جزار برلين» للأجيال القادمة كشخصية مظلمة وقاتمة. وقد أكَّد الذين حضروا جلسات الاستماع بالمحكمة التي قضَتْ بإعدامه، أنهم ما كانوا يشعرون أنهم أمام رجل، بقدْر ما كانوا يرونه ذئبًا خلْف القُضْبان الحديدية! (١)

---

١ - نقلا عن الموقع العالمي: « Wikipedia, the free encyclopedia ». تحت عنوان (Carl Großmann) والموقع الإنجليزي « Journal of incest ». تحت عنوان (KARL GROSSMAN). والموقع الأجنبي (Horror site) تحت عنوان (ARL Grossman). والموقع الأجنبي (The mysterious world of news) تحت عنوان (Karl Denke - cannibal; allegedly killed 30 people). ومُدوَّنات أجنبية أخرى.

٧ أيد جين. جزار بلينفيلد

قصة أشهر سفاح في تاريخ أمريكا



هو أسوأ سفاح في تاريخ أمريكا - برأي البعض - وصاحب أشهر «سلخانة» للنساء في بلاد العم سام، القاتل الذي حوَّل أجساد ضحاياه إلى قِطَع أثاث في منزله، وخاط لنفسه ثوبًا من جلودهن !!

وها نحن نتناول القلم ونَشْحذ الهمم لنكتب عن ذلك المُزَارِع المغمور الذي غدا بين ليلة وضحاها حديث الإذاعات والجرائد في طول الولايات المتحدة وعرْضِها. ذلك الرجل الذي تَصوَّره الناس كوحش كاسِر لا يعرف الرحمة، بينما كان هو في الحقيقة ضحية لجنون وتطرُّف الآخرين.

كانت الشمس تتأهب للمغادرة وراء الأفق حين توقف المأمور «آرثر شلي» وبضعة من رجاله أمام منزل آل جين، خلع الرجل قُبَّعته ووقف يتأمَّل المنزل الخشبي ذا الطابقين في عتمة الغروب، عادت به الذاكرة سنوات عديدة إلى الوراء فتذكر سيدة المنزل، «أوجستا جين».



منزل أيد جين في بلينفيلد

تلك المرأة غريبة الأطوار التي اعتزلت الناس في هذه المزرعة الموحشة ومنعت أولادها من مخالطة الآخرين في البلدة، كان منزلها كئيبا على الدوام، لكن منذ موتها قبل عقد من الزمان، غدا المنزل أكثر كآبة من أي وقت مضى.

وقد زاد من سوداوية الصورة وبؤس المنظر انقطاع التيار الكهربائي عن المنزل منذ سنين طويلة بسبب الامتناع عن دفع الفواتير. لذا حين استفاق المأمور «شيلي» من ذكرياته أخيرا كان كل شيء حوله قد غرق في عتمة حالكة، فتناول الرجل فانوسًا من يد أحد مساعديه ثم سار متمهِّلا نحو المنزل وهو يريد الدخول إليه.

داخل المنزل لم يكن أفضل حالًا من خارجه، كان الظلام دامسًا والهواء ثقيلا تنبعث منه رائحة كريهة لا تُطاق، فتوقف المأمور عند الباب يغالب شعوره بالاشمئزاز، وراح يُلوِّح بفانوسه يمينًا ويسارًا محاولا استكشاف أرجاء المكان.

كانت هناك أكوام من النفَايات في كل مكان، وفي طرف المنزل كان هناك شيء معلق إلى السقف، وقد ظهر كأنه جسد غزال أو حيوان ما، لكنَّ المأمور لم يستطع أن يعرف ماذا يكون هذا الشيء الغامض؟

اقترب المأمور منه حتى توقف على بُعْد خطوات قليلة منه، واندهش المأمور وارتجفت أعضاؤه وتغير لون وجه، فما ظنه جثة غزال، لم يكن في الحقيقة سوى جسَد بشَري مُعلَّق إلى السقف بواسطة الحبال وبعض الخطاطيف، كان الرأس مقطوعًا والبطن مبقورة والأعضاء التناسلية منزوعة بالكامل. وبدا واضحا أن ذلك الجسد إنما هو جثة امرأة.

وقد ارتاب المأمور في كونها جثة السيدة التي جاءوا يبحثون عنها، فجعل هو ورجاله يفتشون بقية أرجاء المنزل أملا في العثور على رأس الجثة للتأكد من هُويَّة صاحبة الجثة، ولم يَدُم بحثهم طويلا، فقد عثروا على الرأس في المطبخ داخل كيس من القماش.

وقد صدَق ظن المأمور، لأنه كان فعلا رأس السيدة «بيرنيس واردن» التي اختفت من متجرها بصورة غامضة مساء اليوم السابق. لكن ذلك الرأس الدامي لم يكن الشيء الوحيد الذي عثرت عليه الشرطة داخل منزل الرعب في تلك الليلة، فقائمة الموجودات الطويلة اشتملت أيضا على ثلاجة مليئة بالأحشاء واللحوم البشرية مع عشرة رؤوس مبعثرة في أرجاء المنزل كلها لنساء تمَّ نزْعُ القِسْم العُلْوي من جَماجِمهن لتحويله إلى أوعية للطعام!

وهناك أيضا تسعة أقنعة صُنِعَتْ من وجوه بشرية مسلوخة، كما هناك ثوب طويل مصنوع من الجلد البَشَري، كما احتوى المنزل على قِطَع أثاث ومصابيح ووِسادات تمَّ صُنْعَها أو تطعيمها بالعِظام والأوصال البَشرية، إضافة إلى جملة من الكراسي تمَّ حشْو بِطانتها بالجلد البشري.

أما أغرب الموجودات وأكثرها إثارة للاشمئزاز فقد تمثَّلتْ في صندوق أحْذية يحتوي على تسعة أعضاء جنسية أنثوية منزوعة بالكامل ومدبوغة بعناية كبيرة! مع أربعة أنوف مقطوعة وجملة من الشِّفاه مبتورة قد عُلِّقتْ جميعها بالخيوط كزِينة للنوافذ! وكان هناك أيضا حِزام جلدي مصنوع من حَلمات أثْداء النساء!!

أخيرا حين انتهى المأمور «شلي» ورجاله من التفتيش، كان الجميع في حالة من الصدمة والذهول، فلم يتخيَّلوا أبدا حتى في أسوأ كوابِيسهم رؤية مناظر بشعة كتلك

التي شاهدوها داخل منزل «أيد جين». كان أمرا لا يُصدَّق، خصوصا في بلدة صغيرة وهادئة مثل «بلينفيلد»، لا عَهْد لها بالجرائم الدموية.

ويقال بأن تلك المناظر المُرْعبة، إضافة للاعترافات المُروِّعة التي صرَّح بها «أيد جين» بعد ذلك، كانت سببا رئيسيا في تدهور صحة المأمور «شلي» خلال السنوات القليلة التالية، فقد ظلت كوابيس الرؤوس المقطوعة والجثث المسلوخة تطارد الرجل وتُنغِّص عليه مضجعه حتى قضتْ عليه في النهاية.

أما سُكَّان بلدة بلينفيلد فقد شعروا بمزيج من المرارة والحيرة والخوف، فلم يستطع معظمهم استيعاب حقيقة أن «أيد جين»، ذلك الشخص الخجول الذي عرفوه لسنوات طويلة، هو في الحقيقة سفاح مجنون يتلذذ بتقطيع أوصال النساء وتشويههن، لا بل إن البعض منهم كاد أن يُغْشَى عليه من هَوْل الصدمة، خصوصا أولئك الذين اعتادوا تركه كجليس لأطفالهم خلال تواجدهم خارج المنزل.

أخبار منزل الرعب في بلينفيلد سرعان ما انتشرت بسرعة البرق في طول البلاد وعرضها، فتدفَّق الصحفيون من أنحاء الولايات المتحدة إلى شوارع البلدة الهادئة وجميعهم يسألون سؤالا واحدا لا غير.. مَنْ هو أيد جين؟

طفولة مضطربة

اسمه الحقيقي هو «إدوارد ثيودور جين» (Edward Theodore Gein)، ولِد في مدينة «لاكروسي» في ولاية «وسيكنسن» الأمريكية في ٢٧ آب / أغسطس عام ١٩٠٦م.

كان والِدُه «جورج» مُدْمِنًا على الكحول وزوجًا ضعيفا مهزوز الشخصية خاضعًا بالكامل لسيطرة زوجته «أوجستا» التي كانت هي المُدبِّرة لشؤون العائلة الصغيرة المكوَّنة من الزوجين وطفليهما «أيد جين» الصغير وأخوه الأكبر هنري.

كانت «أوجستا» امرأة قوية وحازمة، شديدة التديُّن، متطرِّفة في معتقداتها، كانت ترى الناس في نظرها عبارة مجموعة من المُذْنبين الذين يجب هجرهم والابتعاد عنهم، خصوصا النساء، فجميع نساء العالم لم يكُنَّ بنظرها سوى أدوات شيطانية لإغواء البشر.. مجرد عاهرات وساقطات.. باستثنائها هي طبعا!

وقد تحوَّل توجُّسها من الناس وخوفها من الوقوع في الخطيئة إلى نوع من الهوَس والوسواس القهْري، فباعت منزل العائلة ومَتْجَر البقالة الصغير الذي كانت تُدِيره في «لاكروسي» واشترت بثمنهما مزرعة كبيرة في ضواحي بلدة «بلينفيلد»، وحوَّلتْ تلك المزرعة إلى ما يُشْبه السجن أو المعتقل، منعت الغرباء من الاقتراب منه وحرَمتْ أطفالها من مخالطة الآخرين، وهكذا أصبحت آراؤها الدينية المتشددة ونظْرتها المقيتة للحياة هي الطاغية والمهيمنة على تفكير وسلوك ابْنَيْها، فنجحت في تشويه وتدمير تلك الروحيْن الطاهرتيْن البريئتيْن.

حتى عندما دخل الطفلان المدرسة، حرصتْ «أوجستا» أشد الحِرص على منْعهما من اللعب والتواصل مع زملائهما وعاقبتهما بقسوة كلما حاولا التعرُّف على أصدقاء لهما، وقد تجلَّى تأثير «أوجستا» السيئ والمُدمِّر بصورة أوضح على «أيد جين»، الابن الأصغر والأشد تعلُّقًا بأمه.

فنشأ المسكين طفلا خجولا مضطربا مذعورًا، وقد وجد فيه زملاءه فريسة سهلة للسخرية والضحك، وهكذا تحوَّلت المدرسة للأسف من فرصة ذهبية لتحسين وتطوير سلوكه الاجتماعي إلى عامل إضافي ساهم في تعزيز اضطرابه، لكن قد تكون الحسنة الوحيدة للمدرسة في حياة «أيد جين» هي التعليم بحد ذاته، فمع أنه لم يكن طالبا لامعا أو بارزا في دراسته، إلا أنه كان متفوقا بالقراءة ومهتمًا بشكل خاص بمطالعة المجلات والجرائد.

أيدي وهنري قضيا معظم فترة الطفولة والصبا والشباب معا، لم يكن لديهما أي أصدقاء، قاما بجميع أعمال المزرعة واجتهدا لإرضاء أمهما، لكنها نادرا ما أسمعتْهما كلاما جميلا أو شكرتْهما، بالعكس.. غالبا ما تعرَّضا للإهانة والتعنيف منها لسبب ومن دون سبب.

موت هنري الغامض

في عام ١٩٤٠م. مات الأب السِّكِّير أخيرا، رحل «جورج جين» إثْر إصابتْه بنوبة

قلْبية، وبموته تغيرتْ حياة الأخويْن بشكل جذري، فمع أن والدهما لم يكن له دور في حياتهما، وكان عاطلا عن العمل لأغلب فترات حياته، إلا أن الأعمال المؤقَّتة والمتفرقة التي كان يشتغل بها من حين لآخر في البلدة كانت تُسْهِم في توفير بعض النقود للعائلة.

وبموته اضطرت «أوجستا» للسماح لولديْها بالعمل في البلدة من أجل المعاش، ومثل أبيهما اشتغل الولدان في وظائف مؤقتة تعتمد على الجهد البَدني ولا تتطلب أيَّة مهارة أو خِبْرة، كأعمال الحَمْل والنقْل والبناء والزراعة، كما اشتغل «أيد جين» أيضا كجليس للأطفال في منازل الجيران والمعارف، وقد عشق هذا العمل بصورة خاصة لأنه كان يشعر براحة وعفَوَيَّة كبيرة عند تعامله مع الأطفال.

بمرور الزمن، ومع اندماج الأخوين أكثر فأكثر في حياة البلدة، بدأ هنري يتمرَّد تدريجيا على قيود وقوانين أمه، راح ينتقد طريقتها في الحياة حتى بلغتْ به الجراءة إلى حدِّ مجادلتها صراحة بشأن تأثيرها السيئ والمُدمِّر على حياة وشخصية شقيقه الأصغر. وقد تسببتْ هذه الانتقادات بمرارة كبيرة لـ «أيد جين» الذي كان خاضعًا بالكامل لسيطرة أمه.



صورة مطبخ أيد جين

الوضع المتأزِّم بين هنري وأمه لم يدُم طويلا، ففي يوم ١٦ أيار / مايو عام ١٩٤٤م. وقعت حادثة مروعة في مزرعة آل جين غيَّرتْ مجرَى الأحداث بالكامل وأعادت الأمور إلى وضْعِها المعتاد.

في ذلك اليوم قرَّر هنري حرق بعض الحشائش والأحراش في أطراف المزرعة، لكن النيران خرجت عن سيطرة الأخويْن فطلبا مساعدة دائرة المطافئ في البلدة، وبحلول المساء تمكَّن رجال الإطفاء من إخماد الحريق، لكن هنري كان مفقودا، اختفى أثناء الحريق، مما حَدا بالشرطة إلى القيام بحمْلة تمشيط واسعة خلال الليل بحثًا عنه، وقد عثروا عليه بعد عدة ساعات مُمدَّدًا على الأرض وقد فارق الحياة في بُقْعة بعيدة نِسْبِيًّا عن مكان الحريق، ولم يجدوا بجسده أيَّة آثار لحروق أو جروح.

كان موت هنري مُريبًا وغامضًا بحق، لكن الشرطة اعتبرتْه أمرًا طبيعيًّا، ورجَّحتْ إصابتْه بنوبة قلبية مبسبب الذُّعْر من الحريق، إلا أن الشكوك المحيطة بظروف موته قد طفتْ على السطح مرة أخرى بعد اكتشاف جرائم «أيد جين» عام ١٩٥٧م.

حيث بدأ المُحققون يرتابون في تورُّطه بمقتل شقيقه هنري بسبب انتقادات هنري لأمه وتمرُّده عليها، لكن تلك الشكوك لم تَرْق إلى مستوى الاتهام، وظلت ظروف مقتل هنري لُغْزا يُحيط به الكثير من الغموض.

وِحْدَةٌ وأوهام

في عام ١٩٤٥م. ماتت «أوجستا » إثر نوبة قلبية، وقد شكَّل موتها صدمة كبيرة وخسارة فادحة لــ «أيد جين»، فأمه هي كانت تعْنِي كل شيء بالنسبة له، وبموتها انهارت حياته تماما.

وقد ظل «أيد جين» وحيدا في المزرعة، أقْفل أبواب معظم غُرَف المنزل وحرص على بقائها على حالها، أيْ كما كانت في حياة أمه واكتفى هو بالعيش وحيدا في حُجْرة صغيرة مجاورة للمطبخ، كما استمر في العمل من حين لآخر في البلدة في أشغال مؤقتة كالعادة،

أما أوقات فراغه الطويلة فقد أمضاها في قراءة المجلات ومطالعة الكتب، خصوصا تلك التي تتحدَّث عن الموت والقتل والسادية والتعذيب.

وقد أُعْجِب «أيد جين» إعجابًا شديدًا بقصص معسكرات الأسْر النازية، فاستهوتْه بشكل خاص تجارب النازيِّين الوحشية على البَشر، ومن شدة إعجابه بتلك القصص راح يقتني كتب التشريح ليتعلم منها أصول تقطيع وتمزيق الأجساد البشرية!.

ومن ناحية أخرى فإن موت «أوجستا» قد أطلق العَنَان لغرائزه المكبوتة، فشعر برغبة عارمة لممارسة الجنس، تلك الممارسة التي كانت أمه تعدُّها خطيئة وقذارة، لكن خجله الشديد من النساء حال دون تحقيق رغبته، فطفق يبحث عن وسيلة أخرى للتنفيس عن مكنونات نفسه.

وفي يوم ما، بينما كان جالسا في منزله يطالع الجرائد المحلية، وقعت عيناه فجأة على خبر فيه نَعْيُ إحدى السيدات التي توفيت حديثا في البلدة، وأثناء قراءته لتفاصيل الخبر، لَمحتْ في عقله فكرة غريبة وشاذة إلى درجة أنها قد لا تخطر إلا على عقول المجانين!



حفَّار القبور

السيدة التي نقلت الجريدة خبر موتها كانت في الخمسينيات من عمرها، امرأة في خريف العمر، إنها صِنْفٌ من النساء عشقه «أيد جين» بشدة لأنه رأى فيها صورة أمه، فراح يراقب جنازتها من بعيد، حتى إذا ما دُفِنتْ وانصرف ذووها والمعزِّين، تسلَّل تحت جُنْح الظلام إلى المقبرة وجعل يحفر في تربة القبر الذي لم تمضِ سوى ساعات قليلة على إغلاقه، أزاح التراب وأخرج الجثة من التابوت ساحبًا إياها إلى سيارة الشحْن القديمة التي ورثها عن أخيه، ثم عاد إلى القبر ثانية فسوَّاه بعناية كبيرة لئلا يشك أحد بتعرُّضه للنبْش.

في تلك الليلة عاد «أيد جين» إلى المنزل يحمل أُولَى غنائمه البشرية، إنها امرأة حقيقية من لحم ودم.. صحيح أنها ميتة، لكنها أفضل بالطبع من خيالاته وأوهامه الفارغة، امرأة يستطيع أن يفعل بها ما يشاء من دون أن تطارده عيناها بنظرات لاسعة تستفزُّ طبْعه الخجول.



صنع لنفسه ثوبا من جلود البشر.. صورة غير حقيقية مأخوذة عن فلم رعب.

تذكر عزيزي القارئ بأننا لا نتحدث هنا عن إنسان سَوِيٍّ عاقل، بل عن رجل مُخْتَل مضطرب، فحتى الجنس عنده لم يكن كما هو عند الناس الطبيعيين، ولاحقا حين سأله المحققون عما إذا كان قد مارس الجنس مع الجثث أنكر «أيد جين» قيامه بذلك لأنها حسب قوله: «كانت رائحتها فظيعة»، لكنه مع هذا احتفظ بجميع الأعضاء الجنسية لجثث النساء التي حملها إلى منزله، انتزعها من أجسادهن العفنة وخبأها في صندوق خشبي للأحذية، ربما لكي يُضيفها لاحقًا إلى ذلك الثوب المُخيف الذي صنعه من الجلود المنزوعة من بطونهن وأوراكهن وأفخاذهن، ذلك الثوب الذي ارتداه ورقص به على أنغام خيالاته المجنونة في ظُلمة ذلك المنزل المَوْبُوء برائحة الموت والعفَن، وهو ثوب أراده تجسيدا لصورة أمه التي سيطرت على جسده وروحه وأفكاره، تلك المرأة التي أخضعتْه لسلطانها حتى تحولت في نظره إلى رمز القوة المُطْلقة في هذا العالم.

وهكذا فإن خوف «أيد جين» وكُرْهه الباطني لتلك السلطة الغاشمة والدكتاتورية القاسية التي مارستْها عليه تحول بالتدريج إلى رغبة لا تُقاوم في أن يتحول هو نفسه إلى امرأة.. إلى مخلوق قوي ومسيطر.

هناك بعض المصادر الأمريكية تُشير إلى إن أيدي نبش قبر أمه أيضا وعبَث بجثتها، وأُخرى تحدثت عن أكله للحوم البشر؛ طبعا لا يوجد ما يثبت قيامه بتلك الأمور، وفي نفس الوقت لا يستبعد قيامه بذلك، فثلاَّجته الخاصة بمنزله كانت مليئة بالأحشاء واللحوم البشرية، وكان هناك قلْب بشري داخل مَقلاة على المُوقِد. وبغض النظر عن الأقاويل والقصص الكثيرة التي تداولها الناس عن «أيد جين».

فالشيء المؤكد هو أنه كان عبقريا في تعامله مع الجثث، كان يعلِّقها إلى السقف ثم يقف يتأملها وهو يحمل سكينًا، تماما يفعل كفنَّان موهوب يستعد لرسم لوحة جميلة، بعدها كان يباشر عمله مُحوِّلا تلك الأجساد إلى تُحَف غريبة، كأنْ يصنع وِعاءً من الجمجمة، أو مَزْهرية من ثَدْي، أو يُبْدِع أثاثا من الأيدي والأقدام، ويخلق أقنعة من الجلود المسلوخة.. كان فنانا موهوبا بحق!!

جرائم القتل

لسنوات طويلة استمر «أيد جين» في زيارة مقابر بلدة «بلينفيلد» تحت جُنْح الظلام، نبَش خلالها العديد من القبور، أحيانا كان يتكاسل عن حَمْل الجثة بأكملها إلى منزله فيكتفي بتقطيع الأجزاء التي يحتاجها منها!

لكن رغم نجاحه الباهر في جميع غزواته وغاراته الليليّة، ورغم أن أحدا لم ينتبه إلى كل تلك القبور المنبوشة والجثث المنهوبة، إلا أن الملل بدأ يتسلل إلى قلب «أيد جين» بالتدريج، أصابه الملل مثل جميع الناس، تماما كما يخْفِتُ لهيب الحب والغرام في قلوب العاشقين بعد سنين من الزواج، وكما يملُّ الشخص من سيارته الجديدة بمرور الوقت وتكرار استعمالها.. الخ..



صور من البقايا البشرية التي تم العثور عليها في منزل «أيد جين»

وهكذا فإن «أيد جين» أيضا مَلَّ من الجثث المتآكِلة التي كانت مقابر «بلينفيلد» تمتلئ بها، لقد صار يتطلَّع إلى شيء جديد.. بالتأكيد هو لم يَرِد تجربة العلاقة مع امرأة حية، امرأة يمكنها أن تسخر من خجَله وضعْف شخصيته، لكنه تطلَّع إلى جثة طريَّة وطازجة، أراد احتضان امرأة ميتة لا تفوح منها رائحة العفن ولم يبدأ جسدها بالتحلل بعد، وللحصول على جثث به تلك المواصفات لم يكن أمامه سوى خيار واحد.. هو القتل.

لا أحد يعلم على وجه الدقة متى ارتكب «أيد جين» أُولى جرائمه، ولا العدد الحقيقي لضحاياه، فبلدة «بلينفيلد» شهدت اختفاء العديد من النساء والرجال والأطفال خلال الفترة التي قضاها «أيد جين» وحيدا في المزرعة، أي منذ موت أمه عام ١٩٤٥م. وحتى إلقاء القبض عليه عام ١٩٥٧م.

لكن جميع تلك القضايا قُيِّدَتْ ضد مجهول، ولم تُنْسَب لـــ «أيد جين» سوى جريمتين فقط، الأولى هي جريمة قتْل ماري هوغان عام ١٩٥٤م. التي كانت تُدير نزلا وحانة في «بلينفيلد»، والثانية جريمة قتل «بيرنيس واردن» عام ١٩٥٧ م. التي كانت تُدير متجرا للعدد والأدوات في بلينفيلد أيضا، وهي الجريمة الوحيدة التي أدين بها أيدي لاحقا.

وفي كِلْتا الجريمتين اعتمد «أيد جين» أُسلوبا واحدا، دخل إلى موقع الجريمة عند خُلُوِّ المكان، واستغل معرفة الضحية به واطمئنانها إليه، وحين أدارت له ظهرها فاجئها بإطلاقه النار عليها من مسدسه في رأسها فأسقطها قتيلة في الحال، أخيرا سحَبَها إلى سيارة الشحْن التي يمتلكها، ونقلها إلى منزله حيث قام بتقطيعها والعبث بجسدها.

والأمر الذي سهَّل على «أيد جين» ارتكاب جريمته هو ثقة سُكان البلدة به، فقد عرفوه شخصا خجولا مسالِمًا كثيرا ما أضحكتْهم جُمَلُه وعباراته الطريفة، والعديد منهم فتحوا له أبواب منازلهم فكان صديقا لهم ولأطفالهم. الطريف أنه كان يحدثهم أحيانا بصراحة عن الجثث والرؤوس البشرية التي تملأ منزله، لكن أحدًا لم يُصدقه.

وفي إحدى المرات اصطحب معه إلى المنزل أحد أصدقائه من شباب البلدة وأراه رأسًا بشريًّا كان قد قام بقطْعه وتحنيطه، وحين عاد الفتى إلى منزله أخبر والديْه عما رآه، فضحكا منه ولم يأخذا كلامه على محْمَل الجَدّ. لا بل والأدْهى من ذلك أنه خلال البحث عن «ماري هوغان» التي قتلها «أيد جين» كما ذكرنا سابقًا، سأله أحد الرجال عما إذا كان قد رآها، فأجابه «أيد جين» بأنها موجودة في منزله، لكن الرجل ظنه يمزح!

وفي اليوم الذي تم إلقاء القبض على «أيد جين» حدثت الصدفة، فابن السيدة «واردن» كان يعمل في مكتب المأمور، وقد تذكَّر بأن «أيد جين» كان كثير التردد على مَتْجَر والدته في الأسابيع الأخيرة، وتذكر أيضا أنه أخبره في الليلة السابقة لاختفاء أمه بأنه سيعود في الصباح ليشتري من المتجر عُبُوَّة من سائل مانع التجمُّد.

وقد شهد أحد جيران السيدة «واردن» بأنه رأى «أيد جين» وهو يقف بشاحنته أمام المتجر صباح اليوم التالي، كما أن السيدة «واردن» نفسها كانت قد سجَّلَتْ بَيْع لِتْر من سائل مانع التجمد كآخر فقرة في دفتر مبيعاتها في ذلك اليوم.

وهكذا فقد قرَّر المأمور «شلي» زيارة «أيد جين» في منزله لسؤاله عن سبب تواجده في مَتْجَر السيدة «واردن» صباح يوم الجريمة فأفضتْ تلك الزيارة إلى اكتشاف الجثث في منزل «أيد جين» كما أسلفنا.

الوحش يعترف

في اليوم الأول لاعتقاله بقِيَ «أيد جين» صامتا ورفض تماما التحدث إلى الشرطة، لكنه بدأ يتكلم في اليوم التالي، أخذ يروي تفاصيل جرائمه بإسهاب وحماس منقطع النظير، بدا وكأنه يستمتع بإخبار الشرطة عن التفاصيل، حتى المحققين ذوي الباع الطويل في التعامل مع عُتاة المجرمين شعروا بالاشمئزاز والغَثيان من اعترافاته، لم يُصدِّقوا بأن إنسانا يمكنه اقتراف كل هذه الشرور لسنوات طويلة من دون أن يكتشف الناس أمره، وأيقنوا في النهاية بأنهم أمام إنسان مجنون بالكامل.



إلقاء القبض على «أيد جين».

«أيد جين» أخبر المحققين بأن معظم الجثث التي عثروا عليها في منزله هي لنساء مَيِّتات أصلا، وحين رفضوا تصديقه قادهم بنفسه إلى القبور التي قام بنبْشها، وللتأكد قاموا بفتْح اثنين من تلك القبور، وبالفعل كان التابوت فارغا.

وقد تم العثور على جثث وبقايا خمسة عشر شخصا في منزل أيد جين، كلها لنساء، لكن لم يتم اتهام «أيد جين» سوى بجريمة واحدة، وهي قتْل السيدة «بيريس واردن».

منزل المزرعة تعرض للحرق بعد إلقاء القبض على «أيد جين»، تحوَّل إلى كومة رُكام، وحين أخبروه عن شعوره باحتراق منزله أجاب «أيد جين» بهدوء: «كأحسن ما يكون». والأرجح أن سكان بلدة بلينفيلد هم من قاموا بحرق المنزل خِلْسة لكي لا يتحوَّل إلى مَعْلَم من معالِم بلدتهم.

خلال محاكمته الأولى عام ١٩٥٧م. قرر القاضي بأن «أيد جين» غير مؤهل من الناحية العقلية للمثول أمام المحكمة، لذا تم تحويله إلى إحدى المصحَّات العقلية حيث مكث هناك ١١ عاما حتى اطمأن الأطباء لقدرته على المثول أمام المحكمة مرة أخرى، وهكذا حُوكِم ثانية عام ١٩٦٨م.

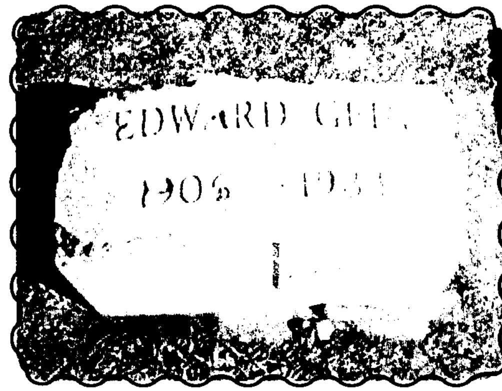
وتمَّتْ إدانته بجريمة قتْل واحدة، لكن بسبب مشاكله النفْسية تم تحويله إلى المصحة العقلية مرة أخرى ليقضي بقية حياته هناك. الأطباء في المصحة قالوا بأن «أيد جين» كان أفضل مرضاهم. و«أيد جين» نفسه كان في غاية السعادة وقضى أروع سنوات حياته هناك، فالرجل في النهاية كان مُختلًّا عقْليًّا بحاجة إلى الرعاية والتفهُّم والحنان.

وفي ٢٦ تموز / يوليو ١٩٨٤م. فارق «أيد جين» الحياة في أحد المستشفيات بسبب مضاعفات أصابتْه بالسرطان، والغريب أنهم قاموا بدفْنه في المقبرة التي طالما اعتاد نبْش قبورها خلال حياته.. إنها «مقبرة بلينفيلد»!!

رحل «أيد جين» أخيرا.. ولم يتبقَّ من ذِكراه سوى قبرٍ مُحطَّم وحكاية تُرْوَى وعِبْرة لكل أب وأم حريصيْن على مستقبل أطفالهما، فهو لم يكن وحشًا كاسرًا كما صوَّره الإعلام، بل كان هو الضحية.

نعم: إنه طفل مسكين جنَتْ عليه تربية خاطئة مُعْوَجَّة حطَّمتْ روحه المُتوثِّبة للحياة وأصابتْها بالشلل، فالروح عزيزي القارئ مثل الجسد، تمرض أحيانا، وقد تبقَى عليلة وكسِيحة لِمَا تبقَّى من حياتها.

وكم في هذه الدنيا من أمثال «أيد جين»، رجال ونساء قد تُبْهِرُك هيئتهم، ويُسْحِرك كلامهم، لكن لو أُتِيحتْ لك فرصة النظر إلى دواخلهم.. لفررت منهم ورعبت .. لأنك لن ترى سوى روحٍ مريضة مُشوَّهة تعُجُّ بالآلام والأوهام..



قبر أيد جين

أيد جين في السينما

هناك العديد من الأفلام التي تناولت قصة «أيد جين» أو اقتبست بعضًا من جوانبها وشخوصها، كـ«القاتل المخْتلّ» و«الأم المستبدة» و«القناع المصنوع من الجلد» و«المنزل النائي المنعزل» وغيرها من الأمور التي لم تخلُ من مبالغة وتضخيم لغرض إسباغ المزيد من الإثارة والرعب على تلك الأحداث الدموية [1].



١ - نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Nightmare) بتاريخ (16/ 10/ 2012)، ومصادره من المواقع والمقالات الأجنبية مثل: (About.com) و (Ed Gein: Real American Psycho) و (trutv.com) و (Ed Gein: The Butcher of Plainfield) والموقع العالمي: «Wikipedia, the free encyclopedia». تحت عنوان (Ed Gein).

٨ جوزيف مينغلي

ملاك الموت



شَرٌّ مُطْلَقٌ تجسَّد في صورة رجل يتلذذ ويستمتع بإجراء تجاربه العِلْمية والمُخْتبرية على أجساد سجنائه، لا يستثني من ذلك حتى الأطفال، بل بالعكس، كان يجد متعة خاصة في تعذيبهم.

طبيب كان من المفترض أن يعالج الناس ويُخفِّف آلامهم، ولكنه تحول إلى وحش كاسر لا يضجر ولا يمل من الدم، إنه جوزيف مينغلي « Josef Mengele» المعروف باسم ملاك الموت، وهو اسم على مُسمًّى.

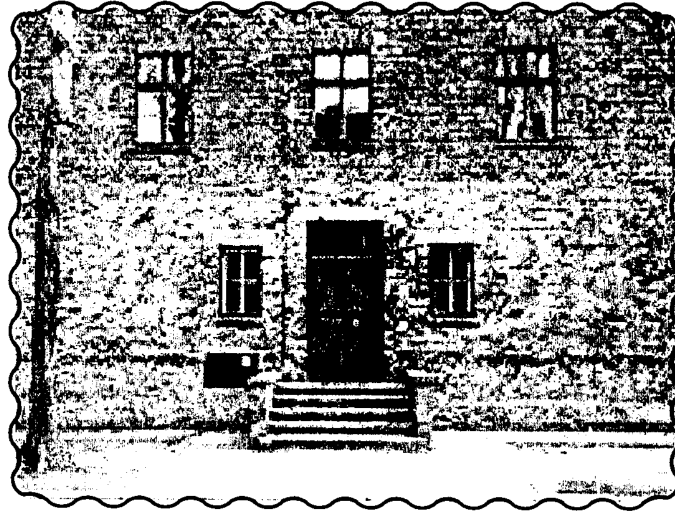
كان يحتفظ بالأطفال كفئران بشرية لإجْراء التجارب عليهم.

مينغلي.. عزرائيل معسكرات الموت النازية

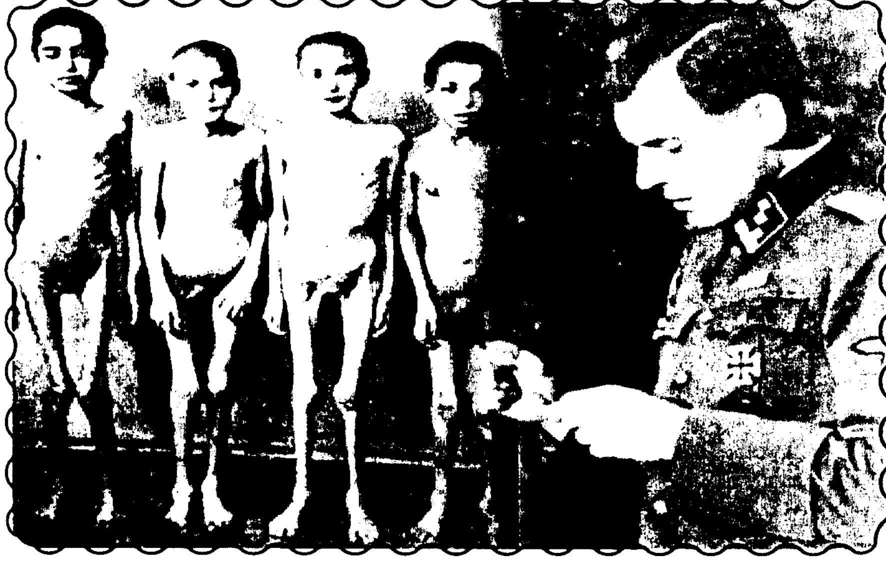
ولد في مدينة «بافاريا» في ألمانيا عام ١٩١١م، وكان الولد البِكْر من بين ثلاثة أبناء لــ «كارل مينغلي»، درَس الطب وعِلْمَ الإنسان في جامعة «ميونيخ» وحاز على شهادة الدكتوراه منها عام ١٩٣٥م.

كان مؤمنًا بشدة بالأفكار والأيدولوجية النازيَّة، وانتمى للحزب النازي عام ١٩٣٧م. ثم انضم إلى وحدات النُّخْبة الألمانية الـــ «س س» عام ١٩٣٨م. وشارك في الحرب العالمية الثانية على الجبهة الروسية حيث أُصِيبَ بجروح خلال إحدى المعارك جعلتْه غير صالح للقتال، ولذلك تمَّ ترْقيتُه إلى رُتْبة عقيد وتعيينه عام ١٩٤٣م. كطبيب في أحد معسكرات الإبادة النازية الخاص بإبادة الغَجَر.

ومِنْ هناك ذاع صيته باسم «ملاك الموت» حيث كان يستقبل وجَبات السجناء الجُدُد عند قدومهم إلى معسكر «Auschwitz» وكان يُقرِّر مَنْ منهم يبقى للعمل الإجباري ومن يذهب إلى غُرَف الغاز لكي يُعْدَم مباشرة.



صورة معمل التجارب الذي كان مينغلي يعبث فيه بأجساد ضحاياه



إلى اليمين صورة للدكتور جوزيف مينغلي بزِيِّه العسكري، وإلى اليسار صورة لبعض أطفال معسكرات الموت النازية التي كان مينغلي مسؤولًا عن أحدها

فكان الموت إلى اليسار والحياة إلى اليمين، هكذا بكل بساطة تحدَّد مصير مئات الآلاف من الأرواح بحركة مِنْ يد «منغلي»، فقد كان له طرق غريبة أخرى لتحديد مصير البَشَر في معسكرات الموت الرهيبة.

كانت إحدى طرقه هي أن يرسم خَطًّا أُفُقيًّا على الحائط ويأمر السجناء كي يقفوا تحته، ومَنْ لا تصل قامته إلى الخط يُرسَل إلى المَحْرقة مباشرة !!

وفي إحدى المرات أخبروه بانتشار القمْل في أحد عنابر النساء السجينات، ولكي يحلَّ المشكلة أمر بكل بساطة بقتلهن جميعا، وكان عددهن ٧٥٠ امرأة!!

اشتهر منغلي بصورة خاصة بتجاربه واختباراته على البَشر، فكان مهتمًّا بصورة خاصة بالأطفال التوائم، واحتفظ بمجموعة كبيرة منهم في أكواخ خاصة؛ لكي يقوم بتجاربه الغريبة عليهم.



ضحايا الإعدامات الجماعية في غُرَف الغاز، يُجْمَعون فوق بعضهم البعض انتظارًا لدفنهم في قبور جماعية.

كانت الغاية من تجاربه هي إثبات العقيدة النازية، فكان يبحث عن سِرِّ الوِراثة، فقد كان مستقبل الأيدلوجية النازية كان متوقفا على عِلْم الوِراثة بَنَظره، ماذا لو تمكَّن من إيجاد طريقة لضمان أنْ تُنْجِب المرأة الآرية[1] الأصيلة تَوْأمًا بِشَعْر أصْفر وعيون زَرْقاء، سيكون مستقبل النازية مضمونًا حينها !!

---

١ - الآريون: جماعة من الناس استقرت في إيران والهند الشمالية حوالي عام ١٥٠٠ قبل الميلاد. وتسمى لغتهم أيضًا الآرية. وفي بعض اللغات الهندية القديمة تعني كلمة آري: النبلاء.

وقد أطلق الدكتاتور النازي أدولف هتلر، الذي حكم ألمانيا في الفترة من عام ١٩٣٣م وحتى ١٩٤٥م، اسم الآريين على الألمان وبعض الشعوب الأخرى في أوروبا الشمالية. وادعى هتلر أن الألمان آريون خُلَّص، ومنْ ثَمَّ فإنهم متفوقون على جميع الشعوب.

ويذهب الكثير من أصحاب هذا النزْعة العنصرية إلى أن الجنس الآري متفوق على الجنس السامي، عقليًا ونَفْسيًا، وهذه النظرة العنصرية التي تنطلق مِن تَفوُّق العَرق أو العُنْصر الآري، وهي نفسها التي كان ينظر بها هتلر والنازية الألمانية في سلوكهم العُنْصري المتعالي على البشر، وهي ذاتها التي كان ينظر بها الفرس إلى كل من: العرب والروم. انظر: (الموسوعة العربية العالمية). ومقال (أزمة الخليج الرابعة هل تعيد الصراع بين الفرس والروم..؟!) المنشور في مجلة (البيان) العدد ٢٢٦ - جمادى الآخرة - ١٤٢٧ هـ. وهو لـــــ: د. عبد العزيز كامل.



صورة الْتُقِطَتْ لمينغلي عام ١٩٥٦م.

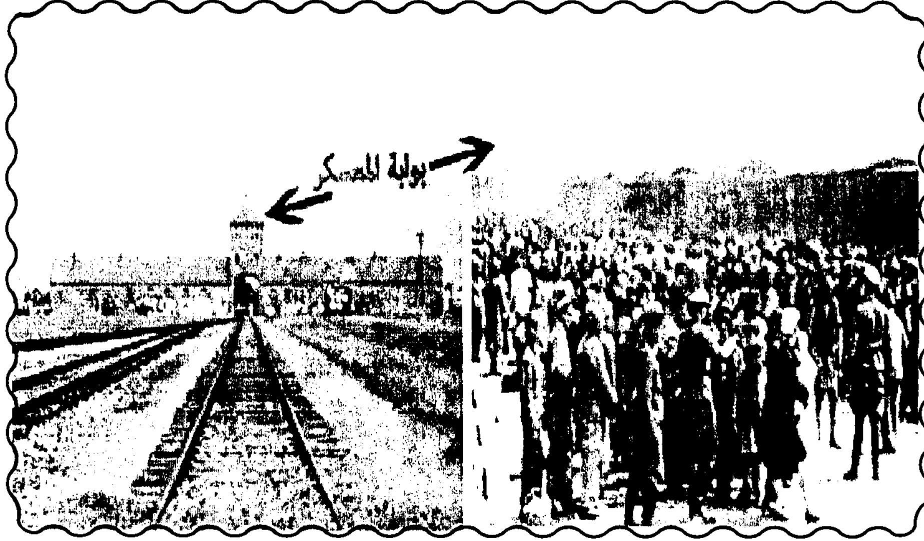
كان مينغلي يريد أن يُثْبِت أن أغلب الأمراض منشأها الأعراق التي هي أدْنَى مرتبة من العِرْق الألماني حسب التقسيم النازي العنصري للأجناس والأعراق البشرية.

قطار الموت وتوائم مينغلي

عندما كان قطار السجناء الجُدُد يصل إلى المعسكر حاملا المئات والآلاف من العوائل معه من يهود وغَجَر ومِثْلِيين وأسرى الحرب.

كان جنود وحدات النخبة الألمانية يدورون كالكلاب المسعورة بين الطوابير بحثًا عن التوائم من أجل تقديمها إلى منغلي، وأحيانا تقوم بعض الأمهات بتسليم توائمهن بأنفسهن، أو يَشِي أحد أقاربهن بهن!

وأحيانا أخرى تنجح الأم في إخفاء توأمها الذي غالبا ما يصحبها إلى غُرَف الغاز لكي يُعْدَم ويموت معها ! كان الخيار صعبًا للغاية، فهل تُسلِّم الأم توأمها لكي يُصْبِحا حقْلَ تجارب ويَبْقَيا على قيْد الحياة ولو إلى حين؟ أَمْ تصحبهما معها للموت السريع؟



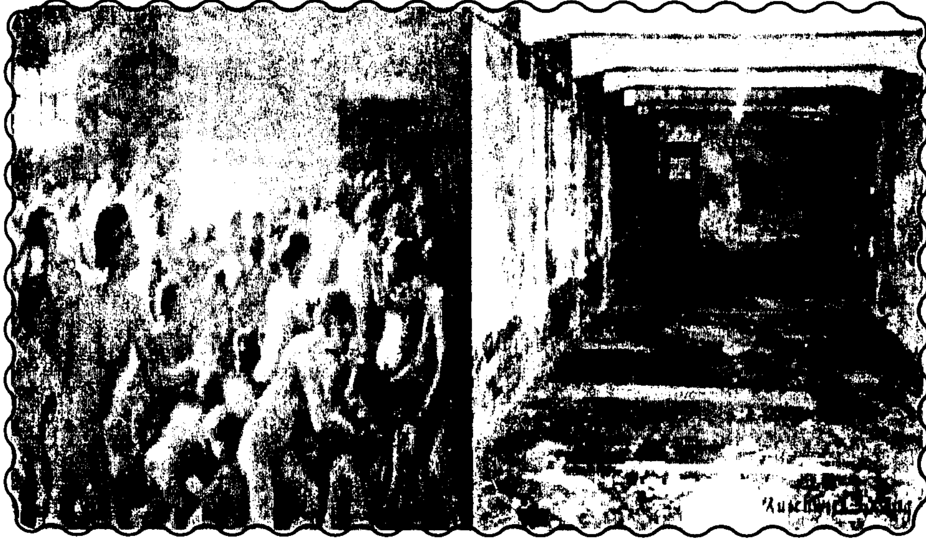
أحد معسكرات الموت النازية، الصورة إلى اليمين تُصوِّر السُّجَناء لَحْظة وصولهم إلى المعسكر بواسطة القطار حيث يجري تقسيمهم، فإلى اليسار يعني إعدام، وإلى اليمين يعني عمَل إجباري. والصورة إلى اليسار تُصوِّر نفْس المعسكر بعد ستين عامًا حيث أصبح مَعْلَمًا سياحيًّا لاستذكار ضحايا معسكرات الموت.

ماذا ستفعلين عزيزتي القارئة لو كنتِ مكان تلك الأم المسكينة !؟

إحدى التوائم تستذكر ذلك اليوم الذي فصلوها هي وأختها عن أمهم قائلة: «ما إنْ عرف حُرَّاس الـــ «س س» بأننا توأم حتى قاموا بأَخْذِي مع أختي «مريم» من أُمِّنا بدون أيِّ مقدمات أو شرح، صُراخُنا وبكاؤنا كان بدون جدْوَى فقد وقع على آذانٍ صُمٍّ.

أتذكَّر بأني الْتفتُّ إلى الخلْف فرأيت أمي تمدُّ ذراعيها نحونا بأسًى، بينما كنا نُقَاد بعيدًا وكانت تلك آخر مرة رأيتها فيها... ».

وبعد أن يفصلوا التوائم عن أمهاتهم كانوا يأخذونهم إلى الحمَّامات لغسلهم، ومِنْ ثَمَّ يقومون بِمَلء استمارات تحوي معلومات أولية عنهم، وبعد ذلك يُوشَمُون ويُعلِّمونهم بعلامة، ويعطون رقمًا خاصا لكل توأم.



إلى اليسار لوحة تُصوِّر حالة الرعب داخل غُرَف الغاز الجماعية، حيث تمَّ فتْحُ الغاز إلى داخل الغرفة، وأسرع السجناء بيأس نحو الباب طلبا للنجاة بدون فائدة! وإلى اليمين صورة حقيقة لإحدى غُرَف الغاز في أحد المعسكرات النازية السابقة، واليوم لا تُغْلَق باب الغرفة أبدًا؛ احترامًا لأرواح الضحايا.

وكانوا يعاملونهم بصورة خاصة تختلف عن بقية السجناء فهم (أطفال مينغلي) وخزينتُه من الفئران البشرية لإجْراء تجاربه، فكانوا لا يقصُّون شعرهم، ويسمحون لهم بالاحتفاظ بملابسهم، ثم يعرضونهم على «مينغلي» الذي كان يُدقِّق النظر فيهم للبحث عن علامات وِراثِية مُعيَّنة من أجل تجاربه، ثم يرسلونهم بعدها إلى الثكنات المُعدَّة لسكنهم.

كان يوم التوأم يبدأ في الساعة السادسة صباحا، وكان عليهم -وبِغضِّ النظر عن طبيعة الجوِّ - أنْ يصْطفُّوا يوميًّا خارج الثكنات من أجل التعداد، وكان يسحب منهم كمية من الدم يوميا ولا يستثنى من ذلك حتى الصغار جدًّا!

حيث يتم سحْب الدم من رِقابهم لأن أيديهم صغيرة، وبعدها يُقدِّمون لهم إفطاراً

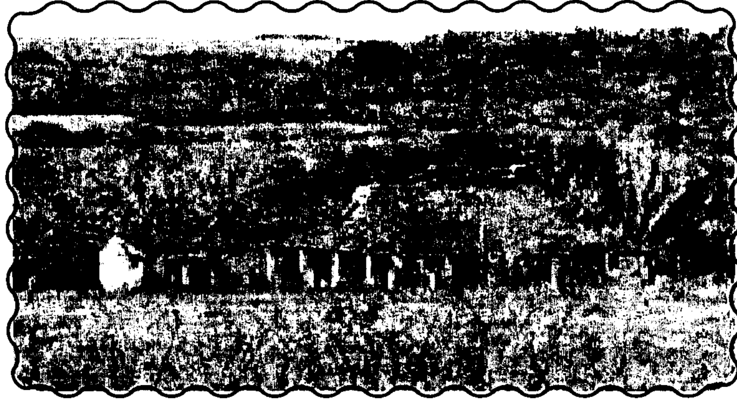
بسيطاً، ثُم يحضر مينغلي من أجل المعاينة اليومية التي كان يحرص على الظهور فيها بجيوب مليئة بالحلويات.

فكان يمسح على رؤوس الأطفال، ويتحدث معهم، بل وحتى يلعب معهم أحيانا، والطريف أن بعض الأطفال الصغار جدًّا والأبرياء جدًّا كانوا ينادونه بـ«العم مينغلي».

كانت ظروف توائم «مينغلي» جيدة بالقياس إلى بقية السجناء، فباستثناء عملية سحْب الدم اليومية كانوا يسمحون لهم باللعب أحيانا، وكانوا يستثنونهم من العمل الشاق مثل بقية السجناء ويُكلِّفونهم عادة بأعمال بسيطة مثل: أنْ ينقلوا الرسائل بين الثكنات، كما كانوا يستثنونهم من العقاب ومن الحمَلات الدورية لإرسال السجناء إلى غُرَف الغاز لكي يُعْدموا.

فكان وضْعُ التوائم هوالأفضل في معسكر مينغلي، ولكن هذه الأفضلية تنتهي في اليوم الذي تأتي به شاحنة التجارب لتأخذهم إلى مختبرات مينغلي.

كانت تجري عليهم اختبارات طِبِّية غريبة، فكانوا يجبرونهم على خلْع ملابسهم والاصْطفاف لكي يتم فحص العلامات الجسدية، ورصْدِ المتشابه والشاذ منها، وكانت العملية تستمر لساعات.



صورة منزل مينغلي

وكان مينغلي لا يتردد في تشريح أيٍّ منهم فورًا في حالٍ وجد فيه علامات غير طبيعية، كما كان يُجْري نقْلَ الدم من توأم إلى آخر، وكان يُجْري تجارب حول تبديل لون العيون، من أجل الحصول على عيون زرقاء!

كما كان يقوم بغرْزِ مواد كيمياوية في عيون بعض الأطفال، وكانت تلك العملية تُسبِّب ألمًا فظيعًا للأطفال وتنتهي جميعها بأمراض والتهابات مع العَمَى التام، كما كان يقوم بِحقْن بعض الأطفال بأمراض معينة، وكان يُعطي المَرَض إلى أحد التوأمين، وعندما يموت يقوم بقتل التوأم الآخر، ثم يُقارِن بين جسديهما، مع التأثيرات التي أَحدَثَها المرض على الجسد المُلَوَّث قياسًا بالجسد السليم !!

كما كان يُجْري عمليات جراحية عديدة عليهم تتضمن زرْعَ وقطْع أعضائهم وغالبا كانت تَجْري هذه العمليات بدون تخدير، وهناك أحد التوائم الناجين يستذكر ألم العمليات التي أُجْرِيَتْ على شقيقه قائلا:

«د. مينغلي كان دائما يُبْدِي اهتماما أكثر بـأخي «تيبي»، لست متأكّدًا لماذا؟ ولكن ربما لأنه كان الأكبر سِنًّا، لقد قام د.ميغلي بإجراء العديد من العمليات على «تيبي»، إحداها في عموده الفقَري تركتْه مشلولا، ولم يعد باستطاعته المَشْي، ثم قاموا باستأصال أعضائه الجنسية، وبعد العملية الرابعة لم أر «تيبي» مرة أخرى، لا أستطيع أنْ أُخبرك كيف شعرتُ حينها، لا توجد كلمات بإمكانها وصْف ما شعرتُ به، لقد أخذوا مني أبي.. أمي.. إخوتي الاثنين الكبار.. والآن شقيقي التوأم... ».

واحدة من عمليات مينغلي العجيبة كانت عبارة عن خِياطة أجسام توأمين إلى بعضهما لصُنْع توأم سِيامي متلاصق !! كِلا الطفلين قد مات بعد أيام بسبب تعفُّن جروحهما، وأحيانا كانوا يُحْقَنونَ بمادة «الكلورفيل» في القلب، ويتم مراقبتهم ودراستهم وهم يموتون وبعد موت الأطفال كانت تقْطَع عَيِّنات من أجسادهم مثل العيون والقلب والأحشاء الداخلية لإجْراء المزيد من الاختبارات عليها.



صور حقيقية لبعض التوائم الذين ماتوا في معسكر مينغلي

من بين ٣٠٠٠ طفل تقريبا احتجزهم مينغلي لإجْراء التجارب عليهم في فترة الـ ٢١ شهرا التي قضاها في معسكر "Auschwitz"، لم ينْج سوى ٢٠٠ طفل فقط، وبعد ٦٠ عاما يستذكر أحد الأطفال الناجين مينغلي قائلا:

«أنا لم أقبل أبدا حقيقة أن مينغلي نفسه كان مقتنعًا بأن ما يقوم به هو عمَل عِلْمي واقعي، لم يكن مهتما حقا بما يقوم به لكنه كان يمارس سُلْطته، لقد جعل مينغلي من معْمَل تجاربه مَحَلًّا للجزارة!

فمعظم عملياته كانت تجري بدون تخدير، وفي إحدى المرات رأيته يقوم بقطْع عيِّنات من مَعِدة أحد الأشخاص بدون تخدير، وفي مرة ثانية رأيته يستأصل قلبًا وبدون مُخدِّر أيضًا، لقد كان ذلك مرعبًا جدًّا.

كان مينغلي طبيبًا أُصِيبَ بالجنون بسبب السُّلْطة المُطْلَقة التي مُنِحَتْ له، لم يكن هناك

أحد يحاسبه – لماذا مات هذا؟ – لقد قام بقتل آلاف باسم العِلْم، ولكنه في الحقيقة كان شخصا مجنونًا».

بالإضافة إلى اهتمامه بالتوائم، كان مينغلي مُولَعًا بدراسة الحالات الوراثية الشاذة مثل الأقزام وضِخام البِنْية الجسدية، وكذلك كان يُجْري تجارب لإِخْصاء الأولاد والرجال واستئصال أعضائهم التناسلية في تجارب على تغيير الجنس.

وكان أحيانا يُعرِّض النساء للصَّعْق بالكهرباء في أرحامهن لكي يُصبْنَ بالعُقْم، وكانت تجاربه تلك تدور حول إيجاد طريقة في القضاء على الأعراق التي هي حسب عقيدة النازية تُعْتبَرَ أدنى من العِرْق «الآري» من أجل مَنْعها من التكاثر والقضاء عليها (بعيدًا عن النازية وجرائمها إحدى وصَمات العار في جبين الحضارة الغربية: هي برنامج تمَّ إجراؤه في بعض الدول الغربية، ولسنوات عديدة من أجل إخْصاء ومنْع تكاثر الناس من الجِنْسين: المصابين بعاهات جِسْمية وعقلية)، كذلك كان مينغلي يُجْري تجارب حول الأشعة.



صور مجموعة من ضحايا تجارب مينغلي من الأطفال



صورة لمينغلي وهو ضابط عام: ١٩٤٢م.

فكان يُعرِّض بعض السُّجناء إلى كمية كبيرة من الأشعة السِّينِيَّة حتى تحترق جلودهم، إضافة إلى إجراء تجارب لقياس مَدَى تحمُّل جسم الإنسان، كأنْ يُوضَع السجين في حوض من الماء المُجَمَّد، ويتم دراسة ما يحدث له حتى الموت، كان هناك عدد من الأطباء يعملون تحت إشراف مينغلي، ويساعدونه في إجراء تجاربه وبعضهم كانوا من السجناء في معسكره.

بعد سقوط النازية تمَّ أَسْرُ مينغلي مِنْ قِبَل القوات الأمريكية، في البداية تمَّ أَسْره تحت اسمه الحقيقي، لكنه أُطْلِقَ سراحه في تموز عام ١٩٤٥م. تحت اسم «فرتز هولمان»، ثم اختبأ بعدها لمدة خمسة أعوام كعامل في إحدى المزارع الصغيرة.

ولكنه استمر بالاتصال بزوجته وطفْله الوحيد، وكذلك بصديق عمره «هانز سيدلماير» الذي ساعده في الهروب إلى الأرجنتين التي عاش فيها لعدة سنوات تحت اسم مستعار، ثم انتقل إلى البارغواي، ومنها إلى البرازيل.



صورة لإحدى التجارب التي كان النازيون يُجرونها على البَشَر، حيث يتم وضْعُ الشخص المسكين محل التجربة في حوض مملوء بالماء البارد (انظر قوالب الثلج إلى أسفل يمين الصورة) وكانوا يتركونه ليموت تدريجيًّا.

بعد الحرب

لقد ظل مينغلي في خوف دائم من أنْ يلْقَى القبض عليه لذلك كان دائم التنقل لكنه عاش حياته كأيٍّ شخص آخر، وقام بأعمال تجارية واتصل بعِدَّة من زملائه النازيين الفارِّين إلى أمريكا الجنوبية وتزوج مرة أخرى.

في الحقيقة كانت أجهزة المخابرات الدولية تعتقد بأن مينغلي مات عام ١٩٤٤م. لذلك لم تجْرِ ملاحقته، ولكن في عام ١٩٥٩م. تم اكتشاف أنه لا يزال على قيْد الحياة وجرتْ ملاحقته إلا أنه لم يُلْقَ القبض عليه أبدًا.

وفي عام ١٩٧٩م. مات مينغلي غرقًا في البرازيل بسبب تعرُّضه لنوبة قلْبية أثناء السباحة، وتم دفْنُه تحت اسم «ولفكانك كيرهارد».



واحدة من الصور المُؤلِمة والتي تُصَوِّر لحظة إعدام أُمٍّ مع طفلها على يد جندي نازي، انظر إلى الأم كيف تحاول حماية طفلها؟

وفي عام ١٩٨٥م. توصَّلتْ الشرطة الدولية إلى قبره، وتمَّ نبْشُه وفَحْصُ جُثَّته التي أكَّد ابنه الأكبر «رولف» بأنها جثة والده.

وفي عام ١٩٩٢م تمَّ إجراء فحْص ثاني للـ (DNA) الذي أكَّد أن الجثة تعود إلى مينغلي.

ربما أن إحدى الحقائق المُرَّة لضحايا جوزيف مينغلي هي أنه لم يُحاكَم أبدا، وأنه استمتع بحياته لمدة ٣٤ سنة أخرى بعد سقوط النازية، ورغم اكتشاف جثة مينغلي والتأكُّد من موته إلا أن البعض يظن بأنه لم يمت في عام ١٩٧٩م. وأنه استمر بالهرب، وهناك الكثير من الشائعات عن رؤيته في عدة مناسبات، وهذا هو حال الناس عزيزي القارئ مع موت مُعْظَم القادة والناس المشهورين، حيث يبْنون الأساطير والأوهام حولهم.

ولكن عزاء جميع المظلومين في هذا العالم هو أن الموت في النهاية هو المنتصر الوحيد، وأنه لا يُوجَد إنسان مُخلَّد في هذا العالم، لقد رحل جوزيف مينغلي ولكنَّ جرائمه ستبقَى تُثير الرعب والاشمئزاز في نفوس الناس[1].

١- هذه المقالة نُشرتْ لأول مرة بالعربية في الموقع الشهير (Kingdom of Fear) بتاريخ (١٠/٧/٢٠٠٨م.). وقد نقلناها هنا ببعض التصرُّف والزيادت. وانظر: مقال: (WHAT MADE THIS MAN? MENGELE) المنشور في صحيفة (نيويورك تايمز/ The New York Times) بتاريخ (٢١ يوليو عام ١٩٨٥م.) والموقع العالمي: « Wikipedia. the free encyclopedia ». تحت عنوان (Nazi human experimentation). ومقال بعنوان: (The Life and Crimes of a Nazi Doctor) للكاتب (بيتر كارلسون) منشور على الموقع الأجنبي (People magazine). والموقع الأجنبي (Holocaust Encyclopedia) تحت عنوان: (Josef Mengele). ومقال (The Making of a Young Nazi). للكاتب: (B. Douglas) منشور على الموقع الأجنبي (Killers in history).

٩ أندريه تشيكاتيلو

جزّار رُوسْتُوف..
النسخة الروسية من هانيبال ليكتر؟ (١)



في القرن الماضي، كان لانتشار الأفكار والحركات الشيوعية ورواجها في الكثير من بقاع العالم – بما فيها العالم العربي – دور كبير في رسم صورة وهمية للاتحاد السوفيتي وترسيخها في أذهان الكثيرين من الناس البسطاء الفقراء الحالمين بالعدالة والمساواة.

---

١ – هانيبال ليكتر أو دكتور هانبيال ليكتار (Dr. Hannibal Lecter) هو شخصية خيالية ظهر لأول مرة في عام ١٩٨١م. في رواية التنين الأحمر للكاتب توماس هاريس في ثمانينيات القرن الماضي، وكانت تحكي عن ضابط المباحث الفيدرالية "ويل جراهام" الذي يطارد قاتلاً مستعينًا بـ هانيبال ليكتر الطبيب النفسي الشهير الذي تحوَّل إلى قاتل دون سبب مفهوم، والذي كاد يقتله حين قُبِضَ عليه منذ سنوات.

لم يظهر هانيبال في هذه الرواية إلا في عدة مشاهد لكنه تحول إلى ظاهرة، وطغى نجاحه على جميع شخصيات الرواية، وحطت الرواية على قائمة أعلى المبيعات لأسابيع طويلة حتى إن كاتب الرعب الأشهر «ستيفن كينج» وصفها قائلا: إنها أفضل رواية قرأتها. راجع المزيد عن هذه الشخصية الإجرامية في الموقع العالمي: « Wikipedia, the free encyclopedia». تحت عنوان (Hannibal Lecter).

لقد صوَّروا تلك التجربة التي أثبتت فشلها لاحقا – لأسباب شتى – بأنها نسخة عصرية من مدينة أفلاطون الفاضلة، حيث المساواة والقناعة والسعادة، وحيث لا يوجد فقر ولا جوع ولا جريمة.

لكن انهيار المارد السوفيتي عام ١٩٩١م. كشف للعالم مدَى زَيْف تلك الصورة وحجْم العذاب الذي ذاق ويلاته شعوب الأمم القابعة خلف قضبان الستار الحديدي، وقد تكون قصتنا لهذا اليوم مجرد شرخ صغير في جسم الوهم السوفيتي الكبير.. لكنه شرْخ سيساعدنا حتْمًا في إدراك مدَى بُؤْسِ الصورة بأكملها.



سفاح روستوف.. قاتل رهيب نشر الرعب في أرض القياصرة

كانا يمشيان بمحاذاة الطريق العام.. الرجل في الأربعينيات من عمره، حليق الذقن تُغطِّي عينَه نظارةٌ طِبِّيَّة سميكة، ويرتدي مِعْطفًا قديما إلى درجة أنه لم يعد بالإمكان معرفة ماهية لونه الأصلي، وتحت يده اليمنى تأبَّطَ كيسًا كبيرًا كذلك الذي يستخدمه الباعة المتجوِّلون والحمَّالون.

كان يبدو رجلا مرِحًا، وقد عزَّز هذا الشعور تلك الابتسامة العريضة التي تكاد لا تفارق شفتيه..

أما الفتاة الصغيرة التي كانت برفقته فقد ارتدت ملابس المدرسة وكانت تحمل في يدها حقيبة كتب جِلْدية ويتدلَّى شعرُها الذهبي الطويل مُصفَّفًا بعناية خلف وجهها الصغير الجميل الذي كان يشع طُهْرًا وبراءة..

من حينٍ لآخر كان الرجل يُدِير يده على كتفها برفق ويحادثها بلطف.. أيُّ شخصٍ رآهما في تلك اللحظة لم يكن ليشك في أنهما أب وابنته..

سارا بهدوء لمسافة طويلة حتى أصبحت منازل وأكواخ المدينة خلف ظهورهما واستقبلتهم غابةٌ كثيفة بدت أشجارها الخضراء الوارفة كأنها وحوش أسطورية قديمة تتأهَّب لمهاجمة الغرباء.

مشيا معا نحو الغابة، وحين بلغا أطراف الغابة توقف الرجل فجأة.. ثم تبادل عِدَّة كلمات مع الفتاة، ثم أشار بيده إلى نُقْطة ما في قلْب الغابة التي بدت كمحيط أخضر يتموَّج أمامه، بدا كأنه يطلب منها أن تتبعه إلى مكان ما.



مشى عدة خطوات بين الجذوع الباسقة وأشار للفتاة كي تلحق به.. ترددتْ قليلا.. وبدتْ لها الحَافَّة الإسْفَلْتِيَّة التي تفصل الطريق عن الغابة كأنها حدود تفصل بين النور والعتْمة.. لكنه ناداها ضاحكا يستعجلها فتَبِعَتْه على وجَل.

كلما توغَّلا داخل الغابة تسارعتْ خُطَى الرجل أكثر فأكثر.. وفجأة تحوَّلتْ كفُّه الحانِيَة اللطيفة إلى قبضة حديدية أطبقتْ على يد الفتاة بقسوة.. تلاشت تلك الابتسامة العريضة وصار وجهه الآن عبوسا مُتجهِّما، كان التغيير الذي طرأ على هيئته وتصرفاته كبيرا إلى درجة أثارتْ رعب الفتاة! فبدأ قلبها الصغير يَخْفِق بعُنْف كأنه طَبْل حرب ينادي بالويل والثبور..

حاولتِ الفتاة الصغيرة التوقف وإبداء بعض المقاومة، كانت تريد الرجوع نحو الطريق الذي دخلا منه قبل قليل، لكنَّ قبْضتَه القوية سحبتْها بعنف لتجْبرها على متابعة خُطاه، أخذت الفتاة تبكي وتتوسل... لكنَّ الرجل لم يُعِرْها أيَّ اهتمام، واستمر يسير بخطوات ثابتة مستقيمة كأنه ماضٍ إلى هدف محدد لا يحيد عنه.. شيئا فشيئا لفَّهما ظلام الغابة، واختفيا كالأشباح خلف جذوع الأشجار والأغصان المتشابكة الكثيفة.

مرَّ الوقت بطيئا في ظل صمتٍ ثقيلٍ لم يقطعْه سوى صوت الأوراق المتراقصة بفعل الريح وبعض الصرخات المُوحِشة التي كانت ترتفع من مكان ما في عُمْق الغابة من حين لآخر.



صورة السفَّاح أندريه في شبابه عام ١٩٥٩م.

وبعد قُرَابة الساعة ظهر الرجل الأربعيني ثانية؛ كان وحيدًا هذه المرة، اختفتِ الفتاة الصغيرة التي كانت بصحبته، بدا الرجل مُرْهَقًا يتصبَّبُ عرَقًا، ثم توقف لحظة يمسح الطين وأوراق الأشجار التي علقتْ بمِعْطَفه، انتبه صُدْفة إلى بُقْعة دم داكنة قد لوَّثت بِنْطاله فأخرج منديلا قذرًا من جَيْب معطفه ونظَّفها بعناية، وحين انتهى من ذلك ورتَّب هِنْدَامه وحاله توقَّف للحظات يتلفَّتُ حوله، وما إنْ اطمأنَّ إلى خُلُوِّ المكان حتى سار مسرعا نحو الطريق العام الذي أتى منه أول مرة.

أخذ الرجل يسير بمحاذاة الشارع الإسْفِلْتِي بهدوء كأن شيئا لم يكن.. لم تكن تلك المرة الأولى التي يغادر فيها «أندريه تشيكاتيلو» الغابة المظلمة وحيدا.. ولن تكون المرة الأخيرة التي سيعود إليها مُصْطحبًا ضحية جديدة.

المجاعة.. والشقيق الذي التهمه الجيران !!

- السفلة.. التهموا طفْلي الجميل المُدلَّل كالخروف..

قالت ذلك السيدة «آنا» بِحُرْقة وألم، ثم لاذتْ بالصمت بعد أن خنقتْها العَبَرات، فأقبل إليها ابنها الصغير «أندريه» ودفن جسده الضئيل في أحضانها طلبا للدِّفْء والأمان، فلقد أرعبتْه تلك الكلمات التي بدأت أمه بها قصتها، فتلك كانت المرة الأولى التي يسمع فيها قصة «استيبان»، شقيقه الأكبر الذي لم يره أبدا.. لكنها بالتأكيد لن تكون المرة الأخيرة.

كانت مجاعة عام ١٩٣٢م. الكبرى في أوكرانيا [١] كارثة عظيمة أهلكت الحَرْث والنَّسْل، ورغم أن الاتحاد السوفيتي السابق حاول التكتُّم على ما حدث، إلا إن الكثير

---

١ - مجاعة أوكرانيا الكبري (١٩٣٢م. - ١٩٣٣ م.): هي مجاعة عظيمة حصدتْ الملايين من الأوكرانيين، وكان أسباب حدوثها تتمثَّل في السياسات الخَرْقاء والخاطئة التي اتَّبَعها «جوزيف ستالين» في القِطاع الزراعي في الاتحاد السوفيتي. انظر مقالا مهمًّا حول تلك المجاعة وأسبابها بالتفصيل في الموقع الأجنبي (Exhibition of Soviet archives). تحت عنوان (UKRAINIAN FAMINE).

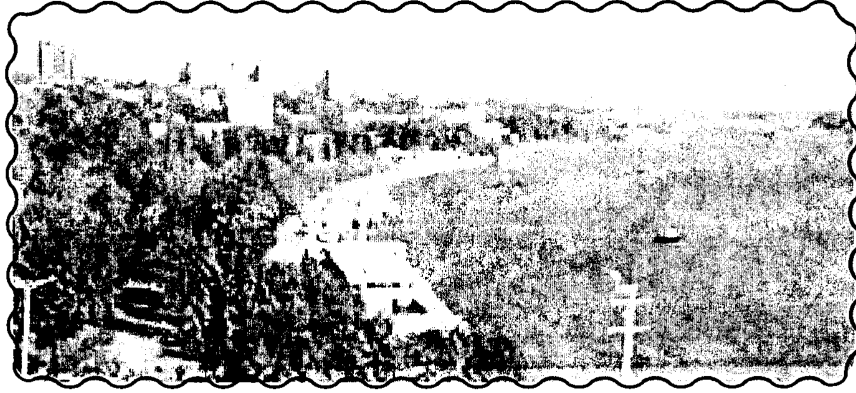
من فظائعها التي حصدت ملايين الأرواح والتي يعجز اللسان عن وصفها تسرَّبتْ إلى وسائل الإعلام العالمية.

بعض التقارير تحدثتْ عن انتشار ظاهرة أكل لحوم البَشر وتفشِّي اختطاف الأطفال الصغار كي يُقْتَلُوا ويُؤْكَلُوا.

وقد كان «استيبان تشيكاتيلو» أحد أولئك الأطفال العاثري الحظ، ففي ذروة المجاعة عام ١٩٣٣م. اختفى فجأة ولم يعثروا له على أثر، وقد اتهمت أمُّه الثكلى الجيرانَ باختطافه والتهامه.

وعلى الرغم من عدم وجود أي دليل يثبت حقيقة قصة الطفل «استيبان»، فوالِداه لم يكونا يملكان أوراقا تُثْبِت ولادته أو وفاته، مما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بأن القصة بأكملها مُلفَّقة لا حقيقة لها، فيما تهامَس آخرون في أن الوالديْن هما اللذان الْتهما طفلهما خِلْسة!

لكن أيًّا ما كانت الحقيقة، فقد حرصت السيدة «آنا » على تكرار هذه القصة الغريبة أمام طفلها «أندريه» من حين لآخَر، فتركت روايتها أثَرًا لا يُمْحَى في ذاكرته ونفْسه، وربما كان لها دور كبير في ما آلتْ إليه حياتُه لاحقا.



مدينة روستوف.. حيث عاش تشيكاتيلو وارتكب أغلب جرائمه.

مشاكل طفولة أندريه تشيكاتيلو لم تقتصر على قصة الشقيق الذي الْتهمه الجِيران! بل رافقتْه تلك المشاكل منذ ولادته العسيرة التي يقال بأنها سبَّبَتْ له إصابة طفيفة بمرض الاستسقاء الدماغي، وهو مرض تكون له أحيانا عوارض طويلة المَدَى على السلامة العقلية والجسدية، إحداها كانت حالة التبول اللاإرادي التي لازمت الطفل أندريه حتى سن الثانية عشرة.

ولأن الصغير أندريه كان ينام مع أبويه في نفس السرير، بسبب صغر كوخهم الذي يتكون من غرفة واحدة، لذلك كان يناله قِسْطٌ وافر من الضرب المُبرِّح مِنْ أُمه في كل مرة يُبلِّل فيها الفراش.

كان اجتياح النازيين [1] للاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١م. جلب معه أيضا الكثير من المآسي، وزاد من حَجْم المشاكل التي كان الصغير أندريه يعاني منها أصلا.

فوالده «رومان» التحق للقتال مع قوات الجيش الأحمر، وبقِيَ هو وحيدًا مع أمه في كُوخهما الحقير الذي استباحه ودمَّره الألمان عام ١٩٤٢م. حين زحفت جحافل هتلر المُجَنْزرة نحو موسكو.

ومن المرجح أن يكون الطفل أندريه قد شاهد بأُمِّ عينه الجنود الألمان يسحبون والدته عنْوة ويغتصبونها أمامه، وكان حالها في ذلك حال ملايين النساء اللائي جرى اغتصابهن أثناء الحرب.

وقد أثمر هذا السِّفَاح الإجْباري عن طفلة ولِدَتْ عام ١٩٤٣م. وأسْمتْها أمُّها

١- النازية: حركة سياسية ظهرت في ألمانيا في عشرينيات القرن العشرين بقيادة أدولف هتلر. تحولت فيما بعد إلى نظام سياسي، كما يُطْلَق اسم النازية على أي نظام حكومي أو معتقدات سياسية تُشْبه تلك التي كانت لألمانيا الهتلرية.

وكانت النازية حركة فاشية، وقد صادرت الحرية الشخصية بدرجة صارمة لكنها سمحت بالمِلْكية الخاصة، ولقد نادت النازية بالقومية العدوانية، والتسلُّط العسكريّ، وتوسيع حدود ألمانيا. وقد مجَّد النازيون الشعب الألماني وشعوب شمال أوروبا الأخرى والذين أسموهم بالآريين. وزعموا أن اليهود والسُّلافيين والأقليات الأخرى في مرتبة سُفْلَى. نقلا عن «الموسوعة العربية العالمية».

«تاتانيا». ولا شك أن تدمير كوخه واغتصاب أمه قد ترك جروحًا غائرة إضافية في نفْس الطفل أندريه.

ولأن المصائب تأتي مجتمعة كما يقال، فقد صادفت تلك السنة الكئيبة التي ولِدَتْ فيها «تاتانيا» نزولَ داهية أخرى قصمتْ ظهر عائلة «تشيكاتيلو» الصغيرة!

فقد أُصِيبَ الأب رومان بجروح في إحدى المعارك الحربية فوقع أسيرا بيد النازيين، ولم يعُدْ مرة ثانية إلى منزله إلا في عام ١٩٤٩م. بعدما أطلق الأمريكان سراحه من أحد المعتقلات.

وبدلا من أن تكون عودة الأب الأسير مَدْعاة للفخر ومناسبة للفرح، غدَتْ للأسف سببًا في المزيد من العار والشعور بالخيبة والألم. فالأب العائد بعد ست سنوات طويلة من العذاب في معسكرات الأعداء لم يَنَلْ تكريما ولا حفاوة من قِبَل الناس والدولة، بل كان نصيبه الاتهام بالخيانة!!

لقد قالوا عنه بأنه «باع أرضه» حين استسلم للقوات النازيَّة، وامتدتْ وصْمة الخيانة لتشمل عائلته بأسرها، فتحوَّل الصغير «أندريه» إلى فرصة لا تفوت للاستهزاء والتهكم؛ إذ راح زملاؤه الأطفال في المدرسة يُعيِّرُونه بخيانة والده، وتمادوا في استغلال مِحْنة الطفل، فألحقوا به الكثير من الأذى النفْسي والجسدي.

الخجول العِنِّين

بسبب مشاكله النفسية، نشأ أندريه خجولا - خصوصا مع الفتيات - وأصبح قليل الاختلاط بالآخرين، لكنه من ناحية أخرى كان مُولَعًا بالدراسة وقارئًا نَهِمًا للأدب السُّوفيتِّي.

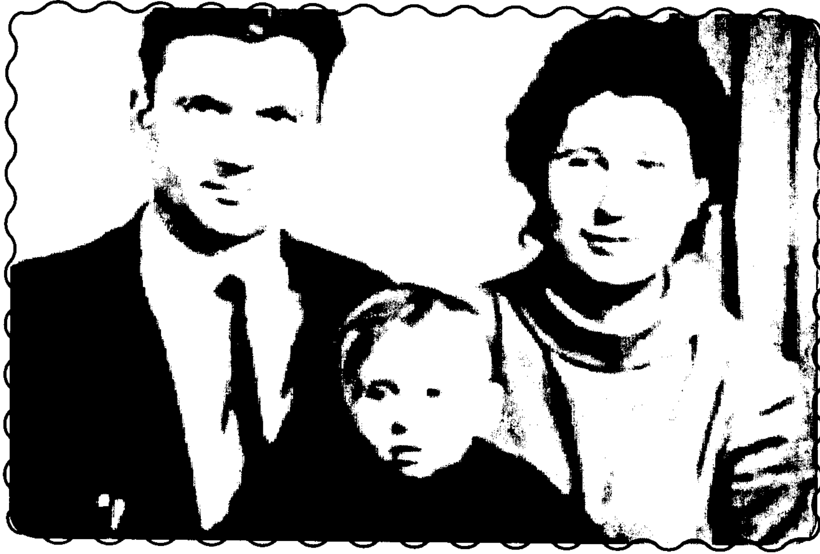
وفي مُراهقته اكتشف «أندريه» أكبر مشاكله التي ستُحوِّلُه مُسْتقْبلًا إلى وحش كاسر لا يَرْحم، لقد اكتشف بأنه عِنِّينٌ - ضعيف جِنْسيًّا -، وكانت أول تجاربه الفاشلة في الجِنْس في سن السابعة عشرة، حينما طَرَقتْ باب منزله إحدى صديقات أخته، كانت فتاة صغيرة في الحادية عشرة من عمرها.

أخبرها أندريه بأنَّ أمه وأخته ذهبتا إلى السوق وأنه وحده في المنزل، لكن على عكس توقعاته فإن الفتاة لم تبْرَح مكانها ولم تُمانِع من الدخول. فذهب خيال الفتى المراهق بعيدا، وظن أن الفتاة تشتهيه، وبأن تصرفاتها هي في الحقيقة دعوة مفتوحة للتحرُّش بها، لذلك هاجمها «أندريه» بشراسة.

وعندما أجبرها على الدخول في جوف الكوخ، طرحها أرضا وخلع عنها ملابسها غير مهتم لصراخها ومقاومتها، ثم حاول اغتصابها..

لكنَّ ضعفَه الجِنْسي خذَلَه فلم يستطع إنهاء المُهِمة، وهذا الفشل والخِذلان سيلازمه لِمَا تبقَّى مِنْ حياته وسيثير جنونه إلى حَدِّ القتل.

في عام ١٩٥٣م. أنهى أندريه دراسته الإعدادية بنجاح، وحاول الالتحاق بجامعة موسكو، لكنَّ طلبَه رُفِض؛ لأن درجاته لم تكن تُؤهِّلْه لدخول الجامعة. أمَّا هو فقد ظن بأن السبب الحقيقي للرفْض كان يتعلق بأسْرِ والده.



صورة أندريه مع زوجته وطفله.

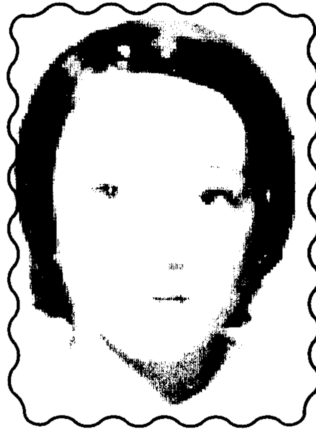
وبعد أن أَنْهَى خِدمته العسكرية، انتقل عام ١٩٦٠م. برفقة أخته «تاتانيا» للعيش في بلدة صغيرة بالقرب من مدينة «روستوف أوندون» الرُّوسِيَّة حيث حصل على وظيفة. وهناك ساعدتْه أخته في التعرُّف على صديقة لها تُدْعَى «فايينا»، والتي سرعان ما أصبحت زوجته في عام ١٩٦٣م.

العجيب أن أندريه وعلى الرغم من ضعفه الجنسي أصبح أبا لطفلين: ولَدٍ اسْمُه «يوري» وابنة اسمها «لودميلا».

وقد تحدث أندريه لاحقًا عن علاقته الجنسية بزوجته واصفًا إياها بالباردة والضعيفة، وبأن إنجاب زوجته للأطفال لم يكن طبيعيًّا، وإنما تمَّ بصعوبة شديدة.

وفي أواخر الستينيات استأنف أندريه تحصيله العِلْمي، فدرس الأدب بالمراسلة في جامعة «روستوف» وتخرَّج فيها عام ١٩٧١م. ليعمل مُدرِّسًا لمادة الأدب الروسي، وظيفته الجديدة كانت محترمة لكنها لم تكن مستقرة، كان مضطرا لتغيير محلِّ عمَلِه باستمرار بسبب الشكاوى المستمرة التي كانت تلاحقه بسبب تحرُّشِه بالتلاميذ من الجِنْسين.

وهكذا كلما ساءت سُمْعتُه في مدرسة تركها وانتقل إلى أخرى حتى انتهى به المطاف أخيرا للاستقرار عام ١٩٧٨م. في بلدة تُدْعَى «شاختاي» في مقاطعة مدينة «روستوف». بروسيا



صورة ضحيَّة تشيكاتيلو الأُولَى.

الوحش ينطلق..

في «شاختاي» اقترف أندريه أولَى جرائمه عام ١٩٧٨م. عندما خدع طفلة في التاسعة من العمر اسمها «إلينا زاكوتنوفا» واستدرجها إلى بِنايةٍ مهجورة كان قد هيَّئها مُسْبَقًا، هناك حاول اغتصابها لكنَّ ضعْفَه الجنسي خذله كالعادة، وقد أثار الفشل غيْظَه، وزاد من جنونه محاولات الفتاة المستمرة للإفلات والهرَب، فأطْبَق قبْضتَه على عنقها الدقيق وراح يخنقها بكل قوته.

وفيما كانت الطفلة المسكينة تلفظ أنفاسها الأخيرة استلَّ أندريه سِكِّينًا مِنْ مِعْطفِه وراح يطعن جسدها الضعيف مرة تِلْوَ الأخرى، ومع كل طعنة كان جسده يرتعش بنشْوة جِنسية لم يعرفها في حياته من قبل.

لقد شعر أندريه بوجود ارتباط عجيب بين موت ضحاياه العنيف وإرضاء رغباته الجنسية المكبوتة، لذلك أصبح طَعْنُ الضحايا والتمثيل بجثثهم نَمَطًا وعلامة فارِقة لجرائمه الدموية في السنوات العشر التالية.

وحين عثرت الشرطة على جثة الفتاة المُشَوَّهة بعد عدة أيام، أصبح «تشيكاتيلو» أحد المُشْتبَه بهم في قتلها، إذ كان هناك عدة أشخاص شاهدوه بِرفْقتها قبل اختفائها، كما عثرت الشرطة على أثرْ لِحذاء مُلَطَّخ بالدم قُرْب منزله.

وقد كاد المُحقِّقون يُلْقون القبض على «تشيكاتيلو» بتهمة قتْلِ الفتاة، ولو فعلوا ذلك آنذاك لأنقذوا أرواح العديد من الضحايا الذين لاقوا حتْفهم على يديه لاحقًا، لكنَّ الشهادة الزائفة التي أدْلتْ بها زوجته «فايينا» وزعمت فيها تواجده معها في المنزل ساعة وقوع الجريمة هي التي أنقذتْه في اللحظة الأخيرة..

شهادة «فايينا» غَيَّرتْ مَسار التحقيق كله، وجعلت المحقِّقين يبحثون عن الجاني بعيدا عن منزل السفاح الحقيقي، فألقوا القبض على أحد أرباب السوابِق في البلدة، وقد اعترف الرجل المسكين تحت وطأة الضرب والتعذيب بقتل الفتاة، فحكموا عليه

بالسجن ١٥ عاما، ثم أُعِيدَتْ محاكمته لاحقًا بضغط من أقارب الفتاة القتيلة وحكموا عليه هذه المرة بالإعدام..

وفيما كان الرجل البريء يتلقَّى رصاصة الموت في رأسه – وهي طريقة الإعدام في الاتحاد السوفيتي آنذاك – كان الجاني الحقيقي ينام قرير العين مُرْتاح البال في منزله.

ورغم أن «تشيكاتيلو» قد أفْلَتَ مِنْ قَبْضة العدالة، إلا أن اشتباه الشرطة به والتحقيق معه في قضية «إلينا زاكوتنزفا» كان له دور كبير في توقُّفه عن القتْل لمدة ثلاث سنوات، كما أن الشكاوي التي كانت تُلاحقه آنذاك بسبب تحرُّشه بتلاميذه جعلتْه أكثر حَذَرًا وأكثر انضباطا مع شهواته ورغباته الدُّونِيَّة الشاذة.

لكن «تشيكاتيلو» تحرَّر من كل قيوده مرة واحدة عام ١٩٨١م. عندما ترك وظيفته كمُدَرِّس، وعمل بائع تجهيز لَدَى أحد المصانع، لقد أتاحت الوظيفة الجديدة لتشيكاتيلو فرصة ذهبية لممارسة جرائمه بحرية كبيرة، فعَمَلُه كان يتطلب الذهاب في رحلاتٍ يومية طويلة لتجهيز البضائع للمنازل، وهذه الرحلات وفَّرَتْ له الوقت الكافي لاصطياد وقتْلِ ضحاياه، وكذلك منَحتْه عُذْرًا وحُجَّة غِياب قوية للدَّفْع ببراءته في حال اشتباه الشرطة به مرة أخرى.



صورة ضحية أخرى قتلها أندريه عام ١٩٨٢م.



صورة أخرى لإحدى ضحايا أندريه عام ١٩٨٣م.

ضحية تشيكاتيلو التالية كانت طالبة بالمرحلة الثانوية عمرها ١٧ عاما اسمها «لاريسا تكاجينكو»، اصطحبها في ٢ حزيران / يونيو عام ١٩٨٢م. إلى الغابة قُرْب ضفاف نهر «الدون»، وحاول ممارسة الجنس معها، لكنه فشل كالعادة، فثارت ثائرته وهاجم الفتاة بعنف..

لقد ضربها بقسوة وطرحها أرضا، ثم ملأ فمَها بالتراب وأوراق الشجر؛ لكي تخرس صرخاتُها المرعوبة، ولأنه كان قد نَسِيَ إحضار السكين معه في ذلك اليوم، فقد استعمل أسنانه القوية في قضْم أجزاء من جسدها، واستعان بِعَصا قوية في فتْح بطنها واستخراج أحشائها، ثم قام بأكل أجزاء من ثدييها وأماكن أخرى !

في الأشهر الستة التالية قام «تشيكاتيلو» بقتْل سبع ضحايا أُخْرَيات، وأصبح له نَمَطٌ مُعيَّنٌ في اصطياد فرائسه البشرية والإجهاز عليهم، كان يبحث عنهم في محطات القطار ومواقف الباصات.

كانت فرائسه غالبا من النساء الضالات وبنات الليل اللواتي كان يُغْرِيهنَّ بالخمر والمال، فكان يصطحبهن إلى الغابة ويحاول أولا ممارسة الجنس معهن، لكنه كان يفشل في ذلك دائما، وهنا كان يُصاب بالجنون، خصوصًا إذا عيَّرتْه المرأة واستهزأت برجولته، كان مصيرها الموت لا محالة وبأبشع صورة.



صورة مراهِقة من ضحايا أندريه عام ١٩٨٤م.

أمّا ضحاياه من الأطفال والمراهقين فقد كانوا من الجنسين، غالبا من الفارّين من منازلهم والمشرَّدين، كان يغويهم بوجْبة طعام حارة أو بقطعة حلوى أو بوعد بالمساعدة.

وما أنْ يقعوا في الفخّ ويَخْطُوا بأقدامهم إلى داخل عَرِينِه الدَّمَوي في الغابة حتى يطرحهم أرضا ويقوم بتقييدهم بالحبْل، ثم يتلذذ في إفراغ رغباته السادِيَّة على أجسادهم النحيلة المُتْعَبة؛ لكن هذا لا يعني بالطبع أن جميع ضحايا «تشيكاتيلو» كانوا من بنات الليل والمُشرَّدِين، فقد كان هناك أيضا العديد ممن سقطوا في فِخاخه المميتة بعد أن خدعهم بوعدٍ كاذب في مشاهدة مجموعة من الطوابع النادرة أو الأفلام أو الكتب والمجلات.

كان تشيكاتيلو يحصل على لذَّتِه الجنسية عندما يقوم بطعن ضحاياه بالسِّكّين والتمثيل بجُثثهم، كان يستخرج أحشاءهم، ويقطع أطرافهم، ويقْتلِع عيونهم، أو يَجُزُّ أُنوفهم، ويأكل أجزاءً من أجسادهم؛ لذلك صُنِّفَتْ جرائمُه ضمن نطاق السادية [١] والنيكروفيليا [٢]



صور بعض ضحايا تشيكاتيلو

١ - السادية: هي التلذذ بتعذيب الآخرين! وقد مضى التعريف بها فيما مضى مُوسَّعًا.

٢ - النيكروفيليا: هي ممارسة الجنس مع الجثث! وهي مرض واضطراب نفسي لا علاقة له من قريب أو بعيد بالهوس الجنسي! بل هي أقرب بالشذوذ الجنسي (Paraphilia) الذي يتمثل في الانجذاب نحو الموتى!



صورة الطفل «إيغور جودكوف» الذي قتله أندريه عام ١٩٨٣م.

في عام ١٩٨٣م. قام تشيكاتيلو بقتل خمس ضحايا آخرين، ولأن جرائم القتل جميعها وقعت في محيط منطقة جغرافية واحدة، وكذلك لتشابه النمَط والأسلوب المستعمل في القتل: كقلْع العيون واجتثاث الأعضاء التناسلية.. إلخ.. قاد ذلك كله إلى قبول الشرطة السوفيتية لفكرة وجود قاتل متسلسل طليق.

وربما تكون تلك هي المرة الأُولَى التي تعترف بها السلطات بوجود قاتل متسلسل في الاتحاد السوفيتي، فلِعقُود طويلة حرص الإعلام الحكومي على تصوير المجتمع السوفيتي كمجتمع مِثاليٍّ خالٍ من الجرائم والموبقات التي كانت تُنْسَب للمجتمع الغربي الرأسمالي فقط.

وكانت هذه الصورة المثالية هي الوحيدة التي يسمح بعرضها عَبْر وسائل الإعلام من خلف ما كان يسمى آنذاك بالجِدار الحديدي.. لكن جرائم «أندريه تشيكاتيلو» كانت شرْخًا في جسم تلك الصورة المزيَّفة التي كان «الكرِمْلين» يحاول تسويقها لشعوب العالم الأخرى.. ربما يكون شرخًا صغيرا جدا.. لكنه ساهم في تمزيق الصورة تماما بعد سنوات قليلة فقط، وقَادَ- إضافة إلى عوامل أخرى كثيرة- إلى الانهيار والسقوط المهول للمارد السوفيتي عام ١٩٩١م.

شرطة موسكو شكَّلتْ فريقا بقيادة الرائد «ميخائيل فيتيزوف» وأرسلتْه إلى مقاطعة روستوف للتحقيق في الجرائم، وكعادة أجهزة الشرطة في الدوَل الفاشية [1] فقد تمَّ اعتقال الناس على الشبهات وبدون دليل، وشملت هذه الاعتقالات أعدادًا كبيرة من المرْضَى العقليين والمِثْلِيين وأرباب السوابق من المتحرشين بالأطفال.

وتم استخدام أبشع وسائل التعذيب لأخذ اعترافات تؤكِّد اقترافهم للجرائم، لكن استمرار ظهور الجثث في مناطق متفرقة من المقاطعة أجبر الشرطة على إخلاء سبيل الجميع والإقرار بأن الجاني الحقيقي مازال حُرًّا طليقا.



صورة الضحية السابعة المراهقة المقتولة عام ١٩٨٢م.

١ - الفاشية: شكل من أشكال الحكومات التي يرأسها دكتاتور، وغالبًا ما تنم عن سيطرة الحكومة سيطرة تامة على النشاطات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية.
والفاشية شبيهة بالشيوعية. على أنها بخلاف الشيوعية التي تملك فيها الحكومة كل الصناعات تبيح الفاشية للصناعة أن تبقى مِلْكية خاصة، ولكن تحت سيطرة الحكومة. وتشمل المظاهر الأخرى للفاشية التطرف الوطني، والسياسات النازعة للعسكرية، والتوسّع، والغزو واضطهاد الأقليات.
وكلمة فاشية: صفة أيضًا لكل نِظام حُكْم، أو مفهوم سياسي، يُشْبه حكم «بنيتو موسوليني»، و«أدولف هتلر» وسياساتها. فقد قامتَ حكومتان فاشيتان في كل من إيطاليا، بقيادة «موسوليني» من سنة ١٩٢٢م. إلى سنة ١٩٤٣م، وفي ألمانيا بقيادة «هتلر» من سنة ١٩٣٣م. إلى سنة ١٩٤٥م. انظر: «الموسوعة العربية العالمية».



صورة أحد الأطفال الذين قتلهم أندريه عام ١٩٨٢م.

وفي عام ١٩٨٤م. أضاف تشيكاتيلو ١٥ ضحية جديدة إلى قائمة ضحاياه الطويلة، أحد هؤلاء كان طفلا في العاشرة يُدْعَى «ديميتري بيتشنكوف» شاهده العديد من الأشخاص يمشي مع تشيكاتيلو قبل اختفائه. وقد أعطى هؤلاء الشهود أوصافا دقيقة للمجرم إلا إن الشرطة لم تتمكن من القبض عليه.

لكن في أيلول / سبتمبر عام ١٩٨٤م. قام أحد المُخْبِرين السِّريِّين باعتقال تشيكاتيلو عن طريق الصدفة بينما كان يحاول الإيقاع بإحدى السيدات في موقفٍ لـ(الباصات)، ولدَى تفتيشه عثرتِ الشرطة على حبْل وسكين في مِعْطَفه، لكن على الرغم من الإمساك به مُتلَبِّسًا، وعلى الرغم من التشابه الكبير بين ملامحه وهيئته مع الأوصاف التي أعطاها الشهود للقاتل في قضية الطفل بيتشنكوف، إلا أن الشرطة لم تُوجِّه إلى تشيكاتيلو تهمة القتل، وإنما أحالتْه إلى القضاء بتهمة السرقة من صاحب عمَله السابق، فتمَّ الحكم عليه بالسجن لمدة سنة واحدة أمضى منها ٣ أشهر فقط ثم أُطْلِقَ سراحه.

لم يمض سوى عدة أشهر على إطلاق سراحه حتى عاد تشيكاتيلو لممارسة هوايته المُفضَّلة في اقتناص وقَتْلِ البَشَر، وفي إحدى المرات قام بقتل امرأة مع ابنتها المراهِقة، وفي حادثة أخرى استدرج فتاة تبلغ ١٦ عامًا إلى شقة ابنته الخالية وقتلها هناك.

لكن أكثر ما يُمَيِّز جرائم تشيكاتيلو الأخيرة كان تفضيله للصبيان والمراهقين الذكور على الفتيات والنساء.

الشرطة التي أصابها اليأس لجأتْ عام ١٩٨٥م. إلى بروفيسور في الطب النفسي يُدْعَى «اليكساندر بوخانوفسكي» ليساعدها في مهمتها العسيرة في القبْض على السفَّاح. وبالفعل: درس بوخانوفسكي جميع المعلومات التي تملكها الشرطة، وحلَّل جيدًا جميع الأدلة التي جمعها المحققون من المواقع التي اقترفت فيها الجرائم.

وقد انتهتْ دراسته إلى أن السفَّاح رجل يبلغ من العمر ٤٥ - ٥٠ عامًا، ويمتلك ذَكاء متوسِّطًا، متزوج أو كان متزوجا في السابق، سادِي [1] يحصل على لذَّته الجِنْسية من مشاهدة ضحاياه يتعذَّبون حتى الموت..

توصل بوخانوفسكي أيضا إلى استنتاج مهم، فبِما أن أغلب جرائم القتل التي اقترفها السفَّاح وقعت بالقرب من المناطق المكتظة بالسكان، كمحطَّات القطار ومواقف الباصات، فالمُرجَّح أن يكون عمَلُ القاتل يتطلب منه التنقُّل بصورة مستمرة، كما أن وقوع أغلب الجرائم أثناء أيام العمل العادية يدل على أن القاتل لديه وظيفة مستقرة ومنتظمة.



صورة إحدى السيدات التي قتلها أندريه عام ١٩٨٣م.

١ - مضى التعريف بـــــ: «السادية».

الشرطة عمَّمتْ الأوصاف التي حصلت عليها من البروفيسور بوخانوفسكي على جميع دوائرها، ونشرت مُخْبِريها السِّرِّيين في الأماكن المكتظَّة بالناس بحثًا عن مشبوهين يحاولون التحرش والإيقاع بالنساء والمراهقين والأطفال.

وقد أثارت تحركات وإجراءات الشرطة الأخيرة مخاوف تشيكاتيلو الذي كان يتابع باستمرار جميع ما يُكْتَب عنه وعن جرائمه عَبْر الصحف المحلية، لذلك وضَع شهوته ورغبته القاتلة تحت السيطرة، وقلَّل من نشاطه الإجرامي بشدة خلال السنتين التاليتين، فلم يقتل أبدا في عام ١٩٨٦م. وقتل ثلاث مرات فقط عام ١٩٨٧م.

وكانت معظم جرائمه تلك خلال رحلات عمل خارج مقاطعة مدينة «روستوف»، لذلك لم تربط الشرطة تلك الجرائم بالسفاح، واعتقد المحقِّقون بأنه ربما يكون قد أوقف نشاطه كُلِّيًا أو مات.

لكن تشيكاتيلو خيَّب ظن الشرطة، وعاد ليستأنف اقتناص وقتْلِ ضحاياه في روستوف عام ١٩٨٩م، وصحيح أن العدد كان قليلا، إلا إن أسلوبه المميَّز في القتل كان بمثابة رسالة واضحة إلى الشرطة في أن القاتل ما زال حيًّا يُرْزَق.



صورة الفتاة «ناتاليا» التي قتلها أندريه في يوليو ١٩٨٥م.



تشيكاتيلو ساعة إلقاء القبض عليه.

خلال عام ١٩٩٠م أصبح تشيكاتيلو أكثر تهوُّرًا في اقتراف جرائمه، فقد صار يقتل في أماكن قريبة جدا من المحطات التي يقْتنِص ضحاياه فيها، لقد كان قريبا جدا من الوقوع في قبضة الشرطة في مناسبتين إلا أنه أفلت في اللحظة الأخيرة.

لكن الحظ لم يكن إلى جانبه في ٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٩٠م، ففي ذلك اليوم قام تشيكاتيلو بقتْل فتاة شابة في الثانية والعشرين من عمرها تُدْعَى «سفيتا كوروستيك» وقام بالتمثيل بجثتها في الغابة القريبة من إحدى محطات القطارات التي كانت خاضعة لمراقبة مستمرة من قبل الشرطة.

أَحَدُ المُخْبِرين شاهد تشيكاتيلو وهو يَهمُّ بمغادرة الغابة، وانتبه إلى وجود بُقَع طِينِيَّة، وبقايا أوراق وحشائش على مِعْطفه القديم، كما كانت هناك لطْخَة حمراء صغيرة على وجْنَته وصفْحة خدِّه.

المخبر أوقف تشيكاتيلو لِبُرْهة، ثم دقَّق في بطاقته الشخصية، ثم تركه يذهب لعدم وجود سبب قانوني لاعتقاله، لكنه لم يَنْسَ تسجيل اسم تشيكاتيلو الكامل وعنوانه وخلاصة لتصرفاته المشبوهة في ذلك اليوم.



صورة المراهِقة «تاتيانا» التي عُثِرَ عليها مقتولة عام ١٩٨٩م.

وفي ١٣ من الشهر ذاته اكتشفت الشرطة جثة «سفيتا»، وأثناء مراجعة تقارير المُخْبِرين المتواجدين بالقُرْب من ساحة الجريمة اطَّلع المحققون على تقرير المُخْبِر السِّرِّي الذي أوقف تشيكاتيلو وسجَّل اسمه في يوم الحادثة.

لم يكن الاسم غريبا عليهم؛ إذْ تذكَّر بعضهم بأن الرجل كان قد اعْتُقِلَ عام ١٩٨٤م. بسبب تحرُّشِه بإحدى السيدات في موقف للباصات، كما كان اسمه ضمن قوائم المُشْتَبَه بهم بجرائم القتل عام ١٩٨٧م، ولَدَى مراجعتهم لِسِجِلِّه الوظيفي اكتشفوا عدة تقارير عن تحرُّشه بتلاميذه عندما كان يعمل مُدرِّسًا قبل عَقْدٍ من الزمان.

وفي ١٤ من الشهر ذاته تمَّ وضْع تشيكاتيلو تحت المراقبة المستمرة على مدار الساعة، شاهده المخبرون السِّرِّيُون وهو يحاول التقرُّب والتحدُّث من الفتيات الشابات والمراهقين في محطات القطار ومواقف الباصات، غالبا ما كانت محاولاته فاشلة؛ لأن معظم الذين كان يحاول التكلم معهم كانوا يقطعون الحوار بسرعة ويبتعدون عنه، لكنه لم يكن يستسلم؛ إذْ سرعان ما كان يتحول إلى شابة أخرى أو مراهق آخر ويحاول مُجدَّدًا.

وفي ظهيرة يوم ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٩٠م. كان أندريه تشيكاتيلو جالسا للاستراحة في أحد المقاهي بعد رحلة صيد فاشلة قضاها متجوِّلا في عدة محطات محاولا

اقتناص فرائسه البشرية، فجأة اقترب منه أربعة رجال يرتدون ملابس مدنية وطلبوا منه مرافقتهم بهدوء، اقتادوه إلى سيارة شرطة وانطلقوا به في رحلة أخيرة عبْر شوارع المدينة التي كانت لسنوات طويلة مَسْرحًا لجرائمه الدموية.

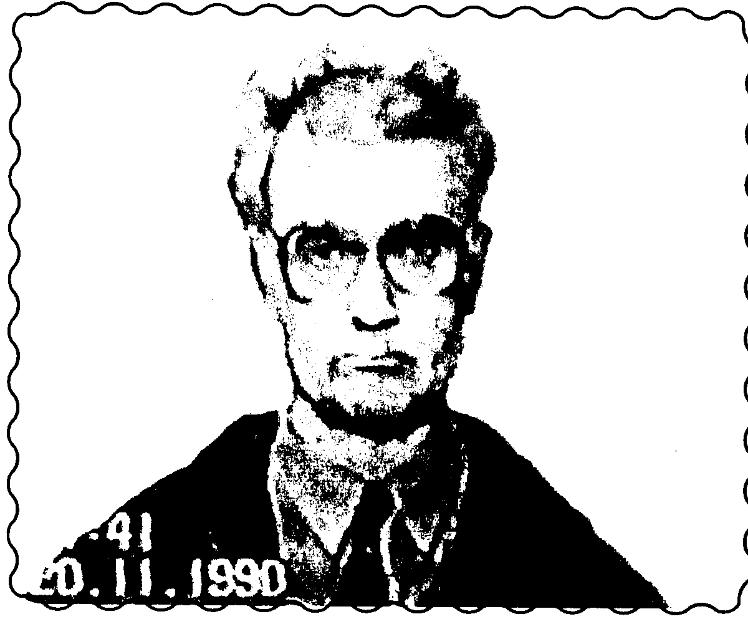
الوحش يعترف..

لعدة أيام حاولت الشرطة عبَثًا الحصول على اعتراف من تشيكاتيلو، حاولوا إغراءه بأنه سيُعامَل كمريض نفْسي، ولن تتم محاكمته على جرائمه لِعِلَّة الجُنون، لكن جميع المحاولات باءت بالفشل، وأصر تشيكاتيلو على أنه بريء، خصوصًا وهو يعلم بأن الشرطة لا تملك أي أدلة حقيقية يمكن أن تُدينَه بها.

أخيرًا قرَّر المحققون الاستعانة بالبروفيسور «بوخانوفسكي»، الطبيب النفسي الذي درس وحلَّل جرائم تشيكاتيلو قبل عدة أعوام.



الوحش في قبضة العدالة



صورة السفاح في حُجرة الحجْز عام ١٩٩٠ م.

راجع بوخانوفسكي ملف تشيكاتيلو جيدا، درس ماضيه وحالته الاجتماعية والنفسية ثم جلس إليه وتحدَّث معه بهدوء ورَوِيَّة على عكس أسلوب مُحقِّقي الشرطة العنيف والصارم..

وخلال ساعتين فقط من اللقاء اعترف تشيكاتيلو بارتكابه ٣٦ جريمة قتل! وفي جلسة لاحقة اعترف بقتل ٢٠ شخصًا آخرين، وقاد المحقِّقين إلى جثث ثلاثة من ضحاياه لم تكن الشرطة تعلم شيئا عنهم.

وفي الحال نقلت الشرطة تشيكاتيلو إلى أحد السجون الروسية، حيث حبسوه في زنزانة خاصة ووضعوا كاميرات تراقبه على مدار الساعة، تمَّ توفير حماية استثنائية لزنزانته؛ لأن جرائم قَتْلِ الأطفال والتحرش الجنسي بهم تُعتبر مُحرَّمة لدَى عِصابات الجريمة المُنظَّمة الروسية، والشخص الذي يقترف مثل هذه الجرائم يُعتبر منبوذًا في السجن، وهناك احتمال كبير في تعرُّضه للقتْل.



صورة المراهقة « إيلينا فارجا» التي عُثِرَ عليها مقتولة عام ١٩٨٩م.

كان تشيكاتيلو يتصرَّف بغرابة ويتظاهر بالجنون في جلسات التحقيق، لكن في زنزانته كان يتصرف مثل أي شخص طبيعي وسَوِيّ، فكان ينام جيدا ويمارس التمارين الرياضية كل صباح، وكانت شهيته مفتوحة للطعام، ويقضي وقته في مطالعة الكتب والصحف وكتابة الرسائل لزوجته وعائلته.. فرغم جرائمه البشعة كان تشيكاتيلو في حياته الخاصة زوجا مُحبًّا وأبًا حنونا لأطفاله! لذلك لم تُصدِّق عائلته أبدًا بأنه قاتل.. بل إن زوجته صرَّحت لوسائل الإعلام قائلة بأن زوجها غير قادر على إيذاء ذُبابة!.

تم إخضاع تشيكاتيلو للجْنة طِبِّية لاختبار حالته العقلية، وقد انتهت هذه اللجنة إلى أنه يتمتع بكامل قواه العقلية مما أهَّله للخضوع للمحاكمة عام ١٩٩٢م.

وأصبحت محاكمته أهم حدَثٍ في روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في ١٨ آب / أغسطس عام ١٩٩١م.

تم وضْعُ تشيكاتيلو في قفص فُولاذي أثناء المحاكمة لحمايته من أقارب ضحاياه الغاضبين الذين وجَّهوا له العديد من التهديدات والشتائم، وطالبوا القاضي بإطلاق سراحه ليقطعوه بأيديهم إرَبًا. وكان العديد منهم يبكي وينتحب أثناء تناول المحكمة لتفاصيل مقتل أحِبَّائهم، وأحيانا كان يُغْمَى على البعض منهم.



في قاعة المحكمة تم عرْضُ رأسِ فتاة قتلها تشيكاتيلو.

استمر تشيكاتيلو بادِّعاء الجنون خلال المحاكمة، وأحيانا كان يرفض الإجابة على أسئلة القاضي، وأحيانا كان يُغنِّي ويُصفِّر في القاعة، وفي إحدى المرَّات قام بِخلْع ملابسه، وأومأ بأعضائه التناسلية باتجاه الحضور!

كانت المحاكمة مثيرة بحق، شهدتْ تبديل القاضي بسبب اعتراض تشيكاتيلو عليه، وشهدت الكثير من المناوشات ما بين أقارب الضحايا والقاتل، وكان آخرها قيام شاب كانت شقيقته من بين الضحايا بِرَمْي قطعة حديدية نحو قفص تشيكاتيلو الفولاذي أصابتْه في صدره، وحين حاولت الشرطة اعتقال الرامي نشَبتْ معركة حامية الوطِيس مع أقارب الضحايا الذين حاولوا حماية الشاب.

وفي ١٥ تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٩٢م. وجدت المحكمة أندريه تشيكاتيلو مُذْنبًا في ٥٢ قضية قَتْل، وحُكِمَ عليه بالإعدام مرة مقابل كل جريمة منها، أي صدر عليه ٥٢ حُكْمًا بالإعدام.

وأثناء النطق بالحُكْم رافقتْه صيحاتُ التأييد والفرح من قِبَل أقارب الضحايا، فيما دخل تشيكاتيلو في موجة من الغضب، فراح يشتم ويرْكِل قضبان قفصه الفولاذي بقدميه.

وفي ٤ كانون الثاني / يناير عام ١٩٩٤م. رفض الرئيس الروسي «بوريس يلتسين» التماسًا أخيرا بالرحمة مِنْ قِبَل القاتل.

وفي ١٤ شباط / فبراير من نفس العام أُقْتِيدَ تشيكاتيلو إلى إحدى الغُرَف العازلة للصوت، حيث تم إعدامه بإطلاق الرصاص من مسدس على رأسه.. كان أندريه تشيكاتيلو في الثامنة والخمسين من عمره حين فارق الحياة [1].

١ - هذه القصة نُشِرتْ لأول مرة بالعربية في الموقع الشهير (Nightmare) بتاريخ (١٢ / ٩ / ٢٠١٠م). وقد نقلناها هنا ببعض التصرُّف والزيادت. وانظر أيضًا: الموقع العالمي: «Wikipedia. the free encyclopedia». تحت عنوان: (Andrei Chikatilo). والموقع الروسي: (Архив Ростовский областной суд). تحت عنوان (ЖЕРТВЫ ЧИКАТИЛО). والموقع الروسي (Преступность и расследованию) تحت عنوان (Andre Chikatilo: The Rostov Ripper).

١٠ | السفاح الأمريكي

غاري مايكل هيدنيك

سفاح النساء الأشهر في أمريكا



هذا هو السفاح الأمريكي الشهير «غاري مايكل هيدنيك».

البداية وأسباب عُقْدَة غاري

بدأت حياة (غاري مايكل هيدنيك) في نوفمبر من عام ١٩٤٣م. حيث وُلِد في مدينة (إيستليك) وهي ضاحية من ضواحي (كليفلاند) بولاية أوهايو.

وبعد ثمانية عشر شهرا ولد شقيقه (تيري). وبعد ستة أشهر اختلف والداهما (إيلين ومايكل)، وحدث بينهما الطلاق. وعاش الولدان مع والدتهما وزوجها الجديد حتى موعد دخول (غاري) إلى المدرسة.

وبعد فترة انتقل الولدان للعيش مع والدهما وزوجته الجديدة. ولم تكن الحياة الجديدة طبيعية وسعيدة. فقد بدأت المشاكل تدبُّ بين الأولاد وزوجة أبيهم في أوقات كثيرة، مما جعل الأب يتدخل بطريقته الخاصة لضبط المنزل والسيطرة عليه. لاحقًا أخبر (غاري) علماءُ النفس بأن والده كان يسخر منه كثيرا، عندما يتبول لا إراديًّا في فراشه.



والد مايكل هيدنيك

أحلام رجولية ولكن!!

ويقول شقيقه (تيري): إن (غاري) سقط ذات يوم من شجرة في المدرسة، وإن الحادث كان سببا رئيسيا في السلوكيات الخاطئة التي يقوم بها (غاري).

وهذا الرأي يؤيد الحقيقة، فقد أمضى (غاري) جزءًا كبيرا من حياته في المؤسسات النفسية، وأقدم على الانتحار مرات عديدة.

عندما وصل (غاري) المستوى الدراسي الثامن انحصرت أحلامه في تحقيق شيئين:

١- أن يجمع المال.

٢- وأن يصبح ضابطا في الجيش، فقد كان شديد الطموح مما جعل والده يرتب لإلحاقه في أكاديمية (ستونتون) العسكرية المرموقة في ولاية (فرجينيا). والتحق (غاري) في الأكاديمية، وحقق درجات ممتازة لكنه تركها فجأة في سَنَتِه الدراسية الأولى وعاد للعيش مع والده.



غاري في شبابه.



غاري السفاح

وفي السنة التي تلت ذلك التحق بمدرستين ثانويتين لكنه ترك الدراسة في الأسابيع الدراسية الأولى بعد أن شعر بالملل. وفي نهاية المطاف وعندما بلغ سن الثامنة عشرة من عمره انضم إلى الجيش النظامي.

وقد ذكر علماء النفس الذين تابعوا حالته النفسية مؤخرًا أنه غادر أكاديمية (ستونتون) بعد زيارة لطبيب نفساني، لكنه لم يعط أسبابا واضحة لتلك الزيارة.

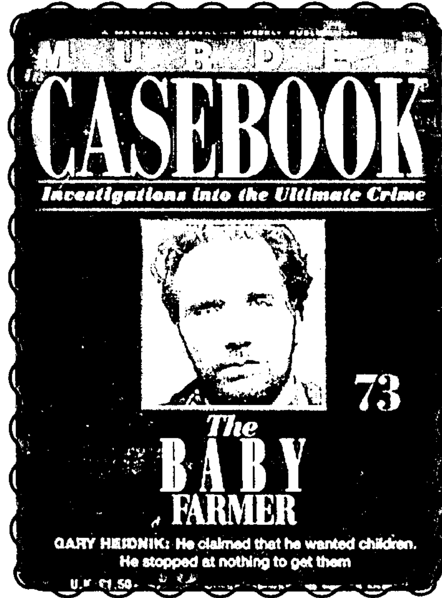
هلوسة!!

تكيَّف (غاري) بسهولة في حياة الجيش، لكن كانت صداقاته محدودة ولم يكن له أصدقاءٌ كُثُر، كما جرت العادة في معسكرات الجيش. وكانت درجاته ممتازة، وتقدم بطلب الحصول على تدريب متخصص بما في ذلك التدريب في الشرطة العسكرية لكن طلبه قوبل بالرفض.

وأخيرا بُعِث إلى (سان أنطونيو) بولاية تكساس للتدريب في السلاح الطبي. ومرة أخرى أبلى بلاء حسنا، وطوَّر من مهاراته في دنيا المال فقد كان يقوم بِمَنْح السُّلَف المالية للجنود، وإضافة رسوم عليها عند تحصيلها.

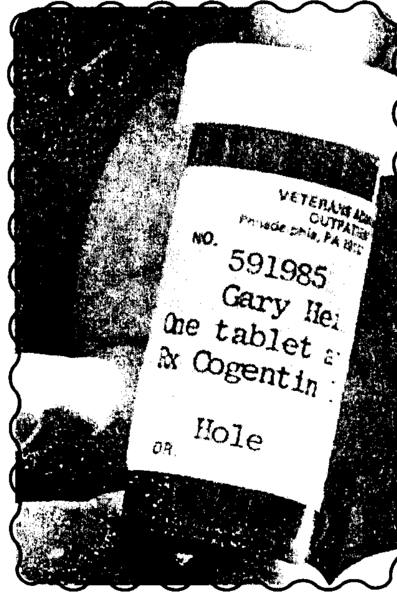
ولكن لسوء حظه تعثَّرتْ تجارته وتوقفت عندما نُقِل إلى مستشفى ميداني في ألمانيا الغربية. وفي غضون أسابيع جلس (غاري) لامتحان معادلة دبلوم عالي، وأحرز نسبة ٩٦٪.

وكانت الأمور تسير على ما يرام بالنسبة له حتى أواخر أغسطس ١٩٦٢م. عندما بدأ يشكو من الدَّوَار وعدم وضوح الرؤية والغثيان. وقد شخَّص طبيبُ الأعصاب الذي عالجه بأن هذه الأعراض سببه أن (غاري) كان يعاني من التهاب في المعدة والأمعاء. مع ظهورأعراض مرض عقلي.



وقد بحث الطبيب النفسي (جاك آبيشي) وهو طبيب مشهور في ولاية فيلادلفيا، في تاريخ (غاري) الطبي، ووجد أنه رغم أن أطباء الجيش لم يشيروا لإصابته بانفصام في

الشخصية، إلا أنهم وصفوا له وصفات مُهدِّئة، وهذه المُهدِّئات عادةً ما تُعطَى للمرضى الذين يعانون من الأمراض النفسية الخطيرة، أو المرضى الذين يعانون من الهلوسة.



عيِّنَة من العقاقير التي كان يتناولها غاري

إنهاء الخدمة:

في غضون أسابيع أُعيدَ (غاري) مرة أخرى إلى أميركا، وبعد ثلاثة أشهر خرج من الخدمة لأسباب طِبِّيَّة، حيث شُخِّصَتْ حالتُه المرضية بانفصام واضطراب في الشخصية، وقد تقاضى معاشا تقاعُديا كاملا.

وبعد خروجه من الجيش، واستقراره في «فيلادلفيا» حصل على ترخيص وشهادة من الولاية بالسماح له بممارسة التمريض. والتحق في وقت لاحق في جامعة «بنسلفانيا» وحصل على تقديرات دراسية في العديد من الموضوعات مثل «الأنثروبولوجيا» والكيمياء، والتاريخ وعلم الأحياء.

وتمكن بمؤهل التمريض من الحصول على وظيفة في مستشفى الجامعة، لكنه لم يستمر طويلا في هذه الوظيفة، وبعدما تمَّ طرده. ثم انضم إلى إدارة مستشفى قُدَامَى المحاربين في (فيلادلفيا) للتدريب كمُمرِّض نفْسي، لكنه طُرِد أيضا لسوء السلوك. ومنذ ذلك الحين بدأت حياة (غاري) في التدهور.

فكان يُمْضي أوقاته متنقلا بين مؤسسات الأمراض العقلية المختلفة. ففي عام ١٩٧٠م انتحرت والدته (إيلين) بتناول جرعة من السُّم القاتل. وفاقمتْ هذه التجربة المريرة من حالته النفسية.

وأقدم مرات عديدة على الانتحار، ورفض التواصل مع الاختصاصيين في المستشفى. وفي ذات مرة ولدراسة حالته من أجل علاجه: تم إخضاعه لسلسلة من اختبارات الذكاء، وكانت النتيجة مذهلة وغير متوقعة، فقد ظهر أن لديه: (ذكاءً مُفْرطًا).

ابتداء دَمَوِيَّةُ (غاري)!!

في يوم من الأيام انتابتْه نوبةُ غضب، وقام بضرب شقيقه (تيري) بطائرة خشبية صغيرة يلعب بها الصغار، فتم إدخال غاري المستشفى النفسي للرعاية الأولية، وعندما زراه شقيقه لاحقًا، أخبره بأنه في حالة موته متأثرا بجراحه سوف يقوم بإذابة جُثَّته في محلول حِمْضي في حوض الاستحمام.

وكان كلما دخل إلى المستشفى يصبح سلوكه أكثر غرابة. ويمضي معظم أيامه صامتا لا يتحدث. ويتواصل مع الآخرين عبْر كتابة المذكرات الورقية. وهو مع هذا يرتدي سترة جلدية باستمرار، ويرفض خلعها أو الاهتمام بنظافته الشخصية.

وقد كانت تبدر منه تصرفات غريبة فهمها كل من حوله، كأن يُشمِّر عن ساقه في إشارة لرغبته في عدم الإزعاج.

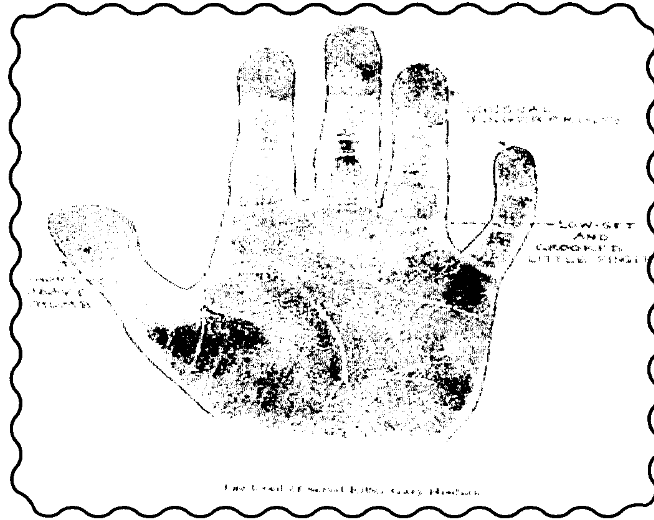
وفي عام ١٩٧١م، بينما كان في رحلة إلى ولاية كاليفورنيا، ورد إليه خاطر غريب؟ وهو لماذا لا يقوم بإنشاء كنيسة خاصة به ويكون هو مُطْرانها؟

وعند عودته إلى (فيلادلفيا) سجَّل لنفسه كنيسة بصورة رسمية في سجلات الدولة، وبدأت الكنيسة أعمالها بخمسة أعضاء فقط، المطران (غاري) وشقيقه (تيري) وصديقته وآخرِيْن.

وفي عام ١٩٧٥م. فتح حسابا باسم الكنيسة في شركة (ميريل لينش) للاستثمار، وخلال الاثني عشر عاما التي تلتْ افتتاح الحساب باسم الكنيسة تَمَكَّن من جَنْي أكثر من نصف مليون دولار.

بداية جرائمه

ومع كون (غاري) كان من المعروفين في مستشفيات الأمراض العقلية، فقد أصبح أيضا معروفا للشرطة. ففي عام ١٩٧٦م. وُجِّهتْ إليه تهمة الاعتداء العنيف، وحِيازة مسدس من دون ترخيص، وذلك لقيامه بإطلاقه النار على رجل استأجر منزلا منه، وقد تمَّ بَيْع هذا المنزل لاحقا، وعثَر ملاكه الجُدُد عندما قاموا بتنظيفه على صندوق مُمْتلِئ بالمجلات الخلاعية، وحفرة غريبة في أرضية خرسانية بالطابق الأسفل.



صورة يد غاري تكشف بصماته

وبعد ثمانية عشر شهرا أثار انتباه الشرطة مرة أخرى عندما قام بحبس شقيقة صديقته المُتخلِّفة في يوم خروجها من المؤسسة العقلية.

وبإجراء الفحص عليها تبين تعرُّضها للاغتصاب وإصابتْها بمرض السيلان. وبالقبض عليه وُجِّهتْ إليه تهمة الخطْف والاغتصاب، وحَجْز شخصٍ مِنْ دون إرادته، وارتكاب أفعال غير سَوِيَّة.

وعندما قُدِّم للمحاكمة في نوفمبر ١٩٧٨م. دافع عن نفسه وقال: إنه غير مذنب، وإنه بريء! لكن المحكمة وجدتْه مُذْنبًا، وحكمت عليه بالسجن لثلاث إلى سبع سنوات. وبعد الاستئناف قضى ثلاث سنوات في مؤسسة نَفْسية مُلحقة بالسجن.

وقد أُطْلِق سراحه في ١٢ أبريل عام ١٩٨٣م. بشرط أن يبقى تحت الإشراف النفْسي. ولو كانت السلطات تعرف ما سيرتكبه (غاري) من جرائم فظيعة لَمَا كانت أفرجتْ عنه على الإطلاق.

وقبل سجنه كانت له علاقات عديدة مع الفتيات السُّمْر ممنْ يُعانين من إعاقات نفْسية. واجتهد للإنجاب منهن بأية وسيلة. فقد كانت صديقته الأولى حملتْ منه ببنت، لكنها سرعان ما تركتْه واختفتْ بطفلتها.





صورة لغاري وهو في يد الشرطة

المرأة الثانية اسمها (دورثي) وكانت متخلِّفة عقْليًا، وحسب ما يتذكره الجيران، كان يعتدي عليها بالضرب باستمرار، ويعاملها معاملة سيئة، ويحبسها ويرفض إطعامها. وقد تمكنت (دورثي) أخيرا من الهرب، وعثرتْ الشرطة عليها في الشارع وهي في حالة مزرية.

البحث عن زوجة..

بعد أن ضاقت به السبل في العثور على المرأة المناسبة استعان بخدمة البحث عن زوجة وِفْقَ معايير محددة، فقد كان يريدها عذراء من شرق آسيا.

وبعد أسابيع قليلة تعرَّف عن طريق البريد عن امرأة فلبِّينية شابة تُدْعَى (بيتي)، واستمرت علاقتهما بالبريد والمكالمات الهاتفية لمدة سنتين. إلى أنْ خدعها وقال لها: إنه يعمل وزيرًا! واقترح عليها الزواج، ومن دون تردد وافقت (بيتي)، وحضرت إليه في فيلادلفيا في سبتمبر عام ١٩٨٥م.



غاري أمام التحقيق

وبعد استقبالها في المطار أخذها إلى منزله في شارع (مارشال) وبدخولها لغرفتها وجدتْ امرأة مُتخلِّفة تنام على فراش الزوجية! وكادت الصدمة تقضي عليها.

وكعادة (غاري) في اختلاق الأكاذيب ادعى أن هذه المرأة قد استأجرتْ منه المنزل قريبًا.



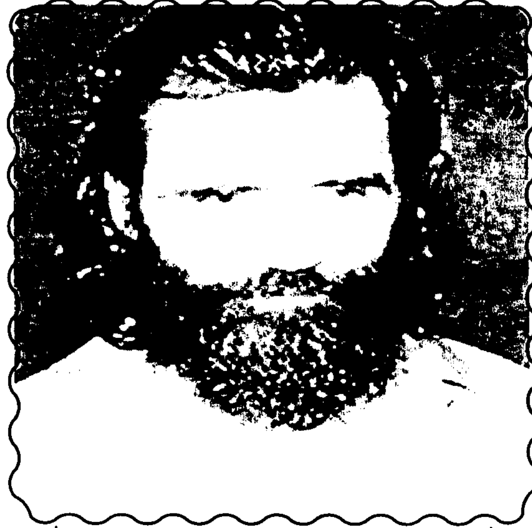
وقد صدَّقتْه (بيتي)، فيما قال، ورغم المقابلة السيئة فقد تزوجتْه في الثالث من أكتوبر في ولاية «ماريلاند». وسار الأسبوع الأول كما ينبغي.

وفي الأسبوع الثاني ذهبتْ (بيتي)، للتسوُّق، وعندما عادت إلى عُشِّ الزوجية وجدتْه في وضْعٍ مُخْجِل مع ثلاث فتيات. فثارت ثائرتها، وطالبتْه بتطليقها وإعادتها إلى بلادها، لكنه رفض زاعماً بأنه رب البيت، وله حق التصرف في أي شيء بها في ذلك علاقاته المتعددة.

وساءت معاملته لـ: (بيتي)، وأصبح يضربها باستمرار، وهدَّدها بالقتل إذا هجرتْه وتركت المنزل. لكنها تمكنتْ من التواصل مع أفرادٍ من الجالية الفلبينية لمساعدتها ونصحوها بالهرب.و

وبالفعل بعد أربعة أيام تظاهرت بالخروج للتسوق ولم تعد له بعد ذلك.

وبعد أسبوعين من هروب (بيتي)، استدعتْه الشرطة ووجَّهتْ له حزْمة من التُّهَم: منها الاعتداء وهتْك العرض، والاغتصاب الزوجي، ولِحُسْن حظه انتهت فترة المراقبة في قضاياه السابقة قبل يوم من اعتقاله في هذه القضية.



صورة غاري بعد القبض عليه.



غاري بلحظة القبض عليه مرة أخرى

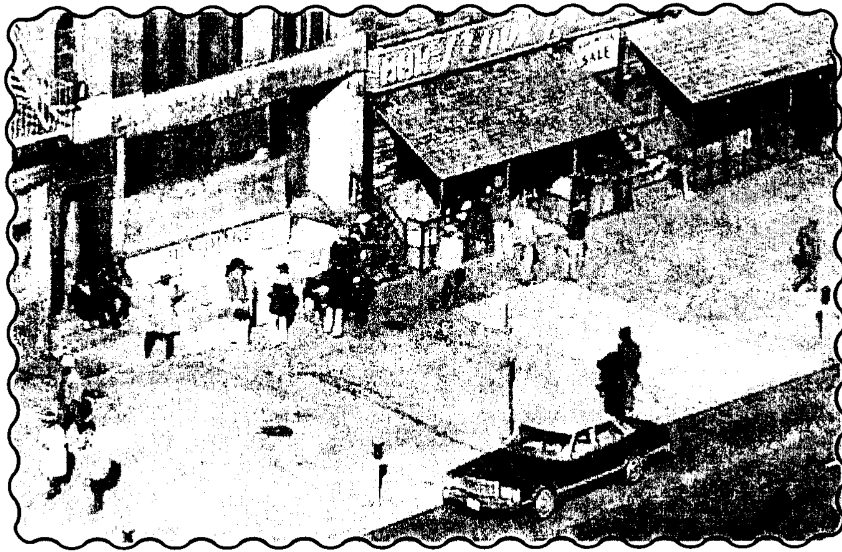
وحظُّه الحَسَن وقف معه للمرة الثانية عندما أسقطت المحكمة كل التهم في وجهه لعدم حضور (بيتي) لجلسة الاستماع الأولية.

وفي عام ١٩٨٧م. تقدمت (بيتي) بقضية نفقة لابنها الذي لم يكن معروفا لـ (غاري) ومن خلال تداول القضية استشعر القاضي خللا في قوى (غاري) العقلية، وأصدر أمرًا بعرْضِه على الطب النفسي لتحديد كفاءته العقلية.

وفي ٢٣ أبريل ١٩٨٧م. ظهر (غاري) لأول مرة في المحكمة منذ اعتقاله وبجانبه محاميه: (تشارلز تشاك بيرتو)، وهو محامٍ مشهور نجح في الدفاع عن مجرمين في قضايا عديدة.

وكانت التهمة الموجَّهة إلى (غاري) تتمثل في القتل والخطف والاغتصاب والاعتداء العنيف، واحتجاز أبرياء بصورة غير قانونية، مع هتْك العِرْض وغيرها من الجرائم.





صورة بعض الشوراع التي كان يصطاد منها غاري فرائسه

أما الأدلة فقد كانت دامغة ضده، ومعظم الشهادات التي قدمت في المحكمة كانت من ضحاياه.

وكانت (ليزا) أول من دُعِيَ من الضحايا إلى المحكمة حيث وصفتْ بالتفصيل الدقيق حكايتها مع المجرم. وبعدها (جوسفينا) التي اتهمها المحامي بمشاركة مُوكِّلِه في عمليات التعذيب وفي قتل (ديبورا) بالصعق الكهربائي.

وأيدتْ (ليزا) كلام المحامي، ووصفت للقاضي كيف كانت (جوسفينا) تساعده في ارتكاب جرائمه المُروِّعة، وكيف كانت تضربهم بنفسها وتعذِّبهم.

ولم يشفع لجوسيفنا إلا شهادة (جاكلين) التي أكدت للمحكمة أن (جوسيفنا) قامت بمساعدة المجرم تحت التهديد بالقتل.

أُنْهِيَتْ إجراءات الترافع بإفادة للدكتور (بول هوير) الطبيب الشرعي في مكتب المقاطعة، والذي قدَّم مُلخَّصًا لِمَا عثر عليه في منزل المتهم من أدلة تقشعر منها الأبدان!



صورة جوسيفنا التي كانت تساعد غاري تحت التهديد



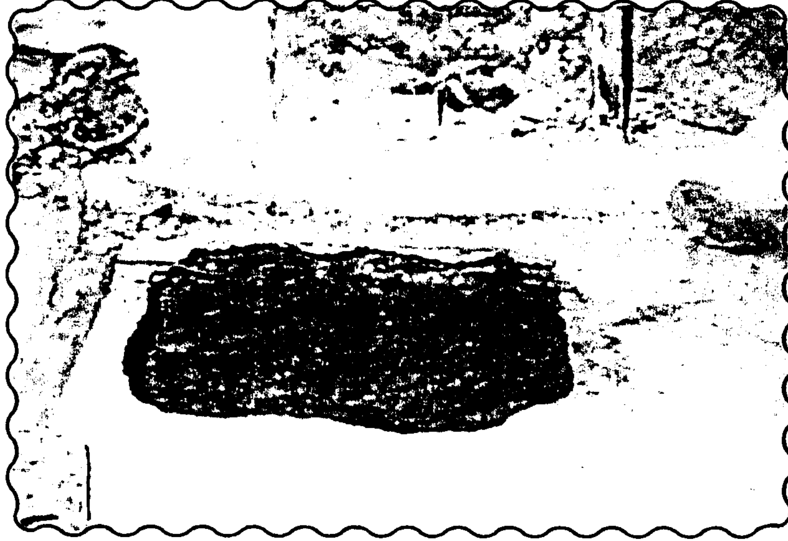
أحد المنازل التي كان يرتكب فيها غاري جرائمه قائمة الرعب!

فقد شرح للقاضي كيف عثر على أعضاء بَشَرية في المطبخ! وبِصوتٍ عالٍ جهوري بدأ الدكتور في قراءة قائمة الأعضاء البشرية التي وجدها: ساعدان – ذراع – ركبتان – شرائح من لحم الفخذ.. كلها قُطِّعتْ بِمِنْشار، بالإضافة للأنسجة والعضلات وبقايا الجِلْد.

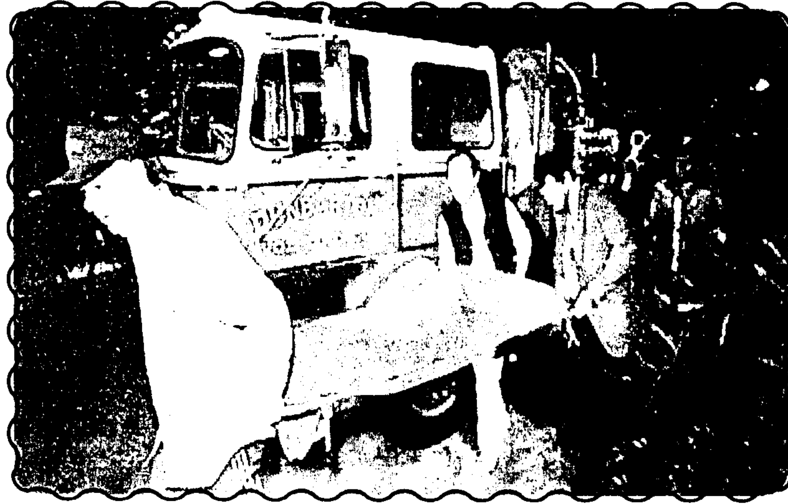
كما عثر الطبيب على ٢٤ رطلا من بقايا إنسان قد تم لفُّها بعناية وتخزينها في الثلاجة!

وبدأت المحاكمة في ٢٠ يونيو ١٩٨٨ م. وفي قاعة المحكمة ظهر المدَّعي العام (تشارلز غالاغر) واثقا من نفسه مُلِمًّا بكل التفاصيل الدموية.

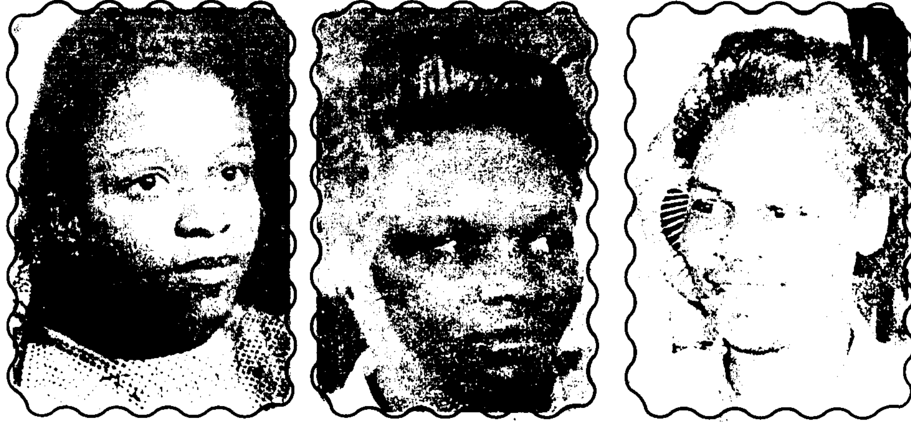
أما المحامي (تشاك بيرتو) فقد جهَّز نفسه لتقديم مرافعة طويلة ليثبت فيها أن موكله مجنون!



صورة لبعض الحُفَر التي كان غاري ربما ألقى فيها ضحاياه



صورة لبعض الضحايا التي عُثِرَ عليها في منزل غاري.



صور لبعض ضحاياه

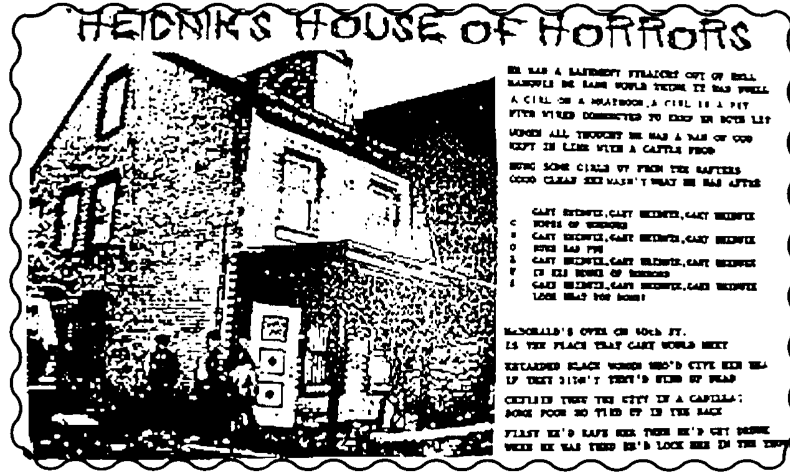
وفي جلسة الاستماع التي تسبق المحاكمة وبعد البيانات الافتتاحية التي أخذتْ بضع دقائق فقط، بدأ (تشارلز غالاغر) في استدعاء الشهود.

ولمدة يومين استمعتْ هيئة المحلفين المكوَّنة من ستة من البِيض وستة من السُّود إلى شهادات الضحايا، وشهادات ضُبَّاط الشرطة والأطباء.

وقد طالب محامي المتهم إسقاط تهمة القتل من الدرجة الأولى على أساس أن نية القتل لم يتم إثباتها. وقد بنى المحامي دفاعه على شهادة طبيبين نفْسييْن هما: الدكتور (ماكنزي كلانسي) وعالم النفْس (جاك أباشي) وقف الأول ليقدم شهادته ورفض على الإجابة مباشرة، واعتمد على أجندته الخاصة، وحاول إثبات أن المتهم مصاب بانفصام في الشخصية وغيرها من الأمراض النفسية المرتبطة بها.

وفي اليوم التالي رفض القاضي شهادة عالم النفْس (جاك أباشي).

ثم لعب المحامي بورقته الأخيرة باستدعاء طبيب نفساني آخر هو الدكتور (كينيث كول) ليقدم رأيه المِهَني من واقع تجربته الطويلة حول جنون المتهم، ولكن في جلسة مُغْلقة كانت شهادته مُرْبكة للمُحلِّفِين، وليست في صالح المتهم، فهو لم يُمْض إلا عشرين دقيقة مع المتهم، وغادر مُحْبَطًا بعدما رفض التحدث معه.



من جانبه قام محامي المُدَّعينَ بتحريك القطعة الأخيرة في رقعة الشطرنج. فقد دعا (روبرت كيركباتريك) وسيط المتهم في شركة (ميريل لينش). وقدم دليلا جديدا يفيد بأن المتهم مستثمر ذكِي يعرف بالضبط ما يفعله.

وبعد يومين دعا الطرفان المزيد من الشهود لدحض الحجج أو إثباتها للفوز بمعركة من دون سلاح.

وأخيرا في ٣٠ يونيو ١٩٨٨م. وبعد ست عشرة ساعة من المُداوَلات على مَدى يومين ونصف، كانت لجنة التحكيم مستعدة للنطق بالحكم، ووقف أربعة من هيئة المُحَلِّفِين، وكان المحامي الشهير واثقا من أن مُوكِّلَه مُذْنب بارتكاب تهمة القتل من الدرجة الثانية، وبالتالي سينجو من عقوبة الإعدام.

لكن آماله تبدَّدتْ، عندما تُلِيَ الحُكْم، وأظهرت المحكمة أن المتهم (غاري) بالنسبة لقتله (دودلي ديبورا) كان مُذنبًا من الدرجة الأولى، وفي قتْله (ساندرا ليندساي) كان أيضًا مذنبا من الدرجة الأولى.

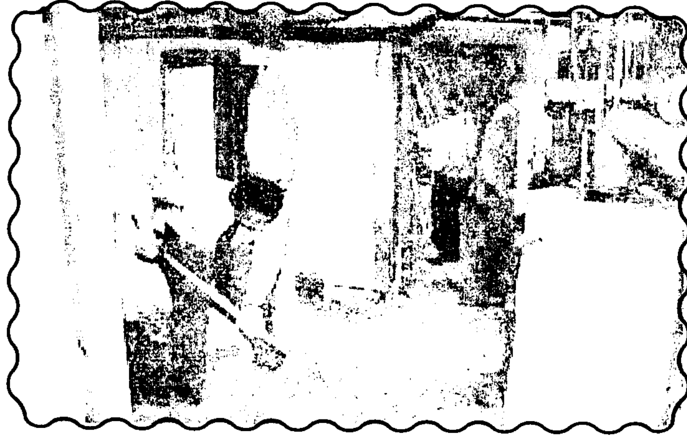


صورة لأهالي بعض ضحايا غاري

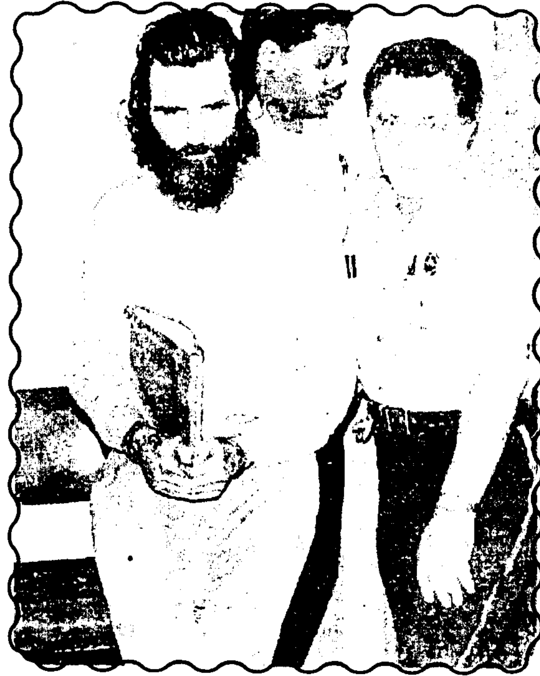
وهكذا طالت القائمة، وأُدِينَ المتهم بـ (١٨) تهمة منها تهمتان بالقتل من الدرجة الأولى، وخمس تُهَم بالاغتصاب، وست تُهم بالخطْف، وأربع تُهَم بالاعتداء، والغريب أن المتهم لم يُظْهِر للمحكمة أيَّ تأثُّر أو ندم.

وفي النهاية حُكِم على (غاري) بالإعدام. وحتى يومنا هذا.. ضحاياه (جاكلين - وأغنيس - ليزا) ما زِلْن يُعانين مما فعله بهنَّ هذا المجرم، وظلتْ معهن ذكريات حزينة ومريرة.

وقد قُمْن (جاكلين - وأغنيس - ليزا) مع (جوسفينا) برفْع قضية مدَنية لتعويضهن من أموال المتهم التي يستثمرها في شركة (ميريل لينش) وتقسيمها بينهن بالتساوي كتعويض جنائي.



أحد الشرطة يبحث عن مزيد من ضحايا غاري



صورة لغاري قُبيْل الإعدام



صورة أحد أهالي ضحايا السفاح غاري



السفاح غاري قبل تنفيذ حكم الإعدام

وظل (غاري) أحد عشر عاما في السجن ينتظر ساعة موته، فتنفيذ حكم الإعدام دائما ما يأخذ وقتا طويلا. وخلال تلك الفترة أقدم المتهم على الانتحار لمرات عديدة، وقدم استئنافات كثيرة لم تنجح.

نهاية غاري

وأخيرًا وفي ٦ يوليو عام ١٩٩٩م، وفي تمام الساعة ١٠:٢٩ تم إعدام (غاري مايكل هيدنيك) بالحُقْنة القاتلة.

وبعد وفاته لم يطالب أيُّ فرد من أفراد أسرته بجُثته لدفْنِها[١].



غاري في غرفة الإعدام لحظة حَقْنِه بالحقنة القاتلة.

١- نقلا عن مقال منشور في «صحيفة العرب» بتاريخ (١٥-٩/ ٢٠١١م). بعنوان: «الذئب البشري.. عذَّب النساء وقتلهن وادعى الجنون للإفلات من عقوبة الإعدام». والموقع الأسباني: «Estaremos Askrtoa». والموقع العالمي: « Wikipedia, the free encyclopedia ». تحت عنوان: (Gary M. Heidnik). ومقال الكاتب (موريس ستيفن). المنشور بتاريخ (١٤/٩/٢٠٠٧م). على الموقع الأجنبي (Journal of Criminology) تحت عنوان (Gary Heidnik and the basement of his death). ومقال للكاتب (فيكتور) المنشور بتاريخ (يوليو ٢٠٠٧م.) في الموقع الأجنبي (Journal Vladlivia) تحت عنوان (Inside the House of Heidnik) ومقال الكاتب (باتريك بيلامي) المنشور في موقع (Library of the crime.) تحت عنوان (Gary Heidnik: To Hell and).

١١ الطبيب هارلود فردريك

أشهر سفَّاح في تاريخ بريطانيا



طبيبٌ بريطاني قام بقتل ٢٥٠ شخصًا من مرْضاه خلال ١٨ سنة من ممارسته لمهنة الطب عن طريق حَقْنهم بموادَّ مخدِّرة بكميات كبيرة تُؤدِّي إلى وفاتهم.

دعونا نقرأ عن الجريمة التي هزت بريطانيا والتي لا يزال البحث في بعض فصولها المجهولة مستمرًّا حتى اليوم.

هارلود شبمان الطبيب القاتل أو كما يقول المثل: «طبيب يداوي الناس وهو عليل». قام بقتل ٢٥٠ من مرضاه خلال ١٨ سنة!

من المفروض أن يساعد الطبيب في معاجة الناس من الأمراض والتخفيف عن آلامهم لا أن يكون هو سببًا في موتهم وإزهاق أرواحهم.

وهذا بالضبط ما قام به هارلود فردريك شبمان (Harold Shipman)، الطبيب

الإنكليزي الذي أزهق أرواح ٢٥٠ شخصًا من مرْضَاه خلال ١٨ سنة قضاها في ممارسة الطب، فحطَّم بذلك الرقم القياسي للقتلة السفَّكاين في بريطانيا، بل في العالم أجمع في عدد ضحاياه.

صحيح أنه لم يكن يُمثِّل أو يعبث بجثث ضحاياه كما يفعل أغلب القَتَلة، وإنما كان ببساطة يُحْقِنهم بواسطة حُقْنته الرهيبة بِعقَار طِبِّي يتسبب بموتهم ببطء، ومِنْ دون أن يُرِيقَ قطرة دم واحدة.

ولكنه يبقى مع ذلك أشهر مجرم عرفه العالم، فمهما اختلف أسلوب القتل يبقى الموت هو الموت، وكما يقال: تعدَّدت الأسباب والموت واحد.

إنه هارولد فريدريك شيبمان (بالإنجليزية: Harold Frederick Shipman) (ولد عام ١٩٤٦م.- وتوفي عام ٢٠٠٤م.).



إلى اليسار صورة الطبيب القاتل هارلود شيبمان، وإلى اليمين صور بعض من ضحاياه الذين قتلهم بحقنته الرهيبة.

وُلِدَ هارلود في مدينة «نوتنغهام» الإنكليزية، تُوفِّيَتْ والدته بسرطان الرِّئة عام ١٩٦٣م. وعندما كان عمره ١٧ سنة دخل إلى جامعة «ليدز» للطب عام ١٩٦٥م. وهناك قابل السيدة «بريمروز» التي أصبحت فيها بعد زوجته عام ١٩٦٦م. والتي أنجب منها أربعة أولاد.

في عام ١٩٧٠م. تخرَّج في كلية الطب وبدأ العمل في أحد المستوصفات في مدينة صغيرة إلى الجنوب من «ليدز»، وفي هذا المستوصف بدأ جرائمه بقتْل الناس والتي استمرت لمدة ١٨ عاما.

وفي عام ١٩٧٤م. عمل كطبيب عام في «تودمودرن» إلى الغرب من «يوركشاير».

وفي عالم ١٩٧٥م. تم اكتشاف قيامه بتزوير وصَفَات طِبِّية لمادة «الباثيدين» (وهي عَقَار مُخدِّر كالمُورُفين) لاستعماله الخاص، فأرسلوه إلى مَصحَّة مكافحة الإدمان في «يورك».



وبعد أن تخلَّص من الإدمان عمل كطبيب عام في أحد مستشفيات «هايدي» بالقرب من «مانشستر» عام ١٩٧٧م. واستمر في هذا العمل خلال فترة الثمانينيات حتى افتتح عيادته الخاصة عام ١٩٩٣م.

وفي عام ١٩٩٨ بدأت الشكوك تحوم حول « هارلود » وذلك بسبب نسبة الوفيات العالية التي تحْدُث في مرضاه (خاصة النسوة المتقدمات في السِّنّ)، ولكن الشرطة لم تستطع أن تجد أيَّ دليل يُدِين هارلود بقتْل مرضاه، وفي الشهور التالية قبل أنْ يُقْبَض عليه قام هارلود بقتْل ثلاث نساء.

كانت آخر ضحاياه امرأة تُدْعَى «كاثلين كراندي»، والتي كانت تشغل في السابق مركز رئيس البلدية، حيث وجِدَتْ ميتة في بيتها في ٢٤ يونيو ١٩٩٨م. و كان آخر شخص يراها حية هو الطبيب هارلود، والذي وقَّع على شهادة وفاتها أيضا. وكان أكثر ما أثار الشكوك حول هارلود هو عندما اكتشفتْ ابنة «كراندي» (آخر ضحاياه) أن والدتها منحتْ في وصيتها مبلغ ٣٨٦٠٠٠ جنيه استرليني إلى هارلود، مما جعلها تذهب إلى الشرطة التي بدأت بإجراء تحقيقات مُكثَّفة، وقامت بتشريح جثة «كراندي» وتحليلها، وقد وجِدَتْ في الجثة آثار لعقار «الديامورفين» (وهو عَقار يُصَنَّف كالهيروين، ولكنه مسموح في بريطانيا لتخفيف الآلام).







وقد تمَّ إلقاء القبض على هارلود في ٧ سبتمبر عام ١٩٩٨م. وقد اكتشفوا امتلاكه لآلة طابِعة من النوع الذي اسْتُعْمِل لطباعة وصية «كراندي» المُزوَّرة.

أخذتِ الشرطة بعد القبض على هارلود بفتْحِ ملفات مرْضاه الآخرين خلال سنوات عمْلِه كطبيب، و توصَّلوا إلى الطريقة التي كان شبهان يقتل ضحاياه بواسطتها.

حيث كان يقوم بِحَقْنِ مَرْضاه بـ: «الديامورفين» (وهي مادة كافية لقتلهم)، ثم يقوم بالتوقيع على شهادة وفاتهم، وبعدها بتزوير السِّجِلات الطِّبِّية ليظْهَر ضحاياه على أنهم كانوا شديدي المرض وبصحة مُتَدَنِّية.

بدأت محاكمة هارلود في ٥ أكتوبر ١٩٩٩م. واتُّهِمَ بخمس عشرة جريمة قتْلٍ للفترة من ١٩٩٥م.-١٩٩٨م. وأُدِينَ بها جميعا في عام ٢٠٠٠ م.

وقد تم الحُكْم عليه بالسجن مدى الحياة (عقوبة الإعدام مُلْغاة في بريطانيا) من دون أيِّ حقٍّ بطلب التخفيف، مما يعني بقاءه في السجن إلى آخر يوم في حياته. وقد أنكر هارلود جميع الجرائم الموجهة إليه، ولم يعترف أبدًا بقيامه بهذه الجرائم، ونتيجة لصدور الحُكْم عليه فقد تم إغلاق التحقيقات في بقية القضايا.

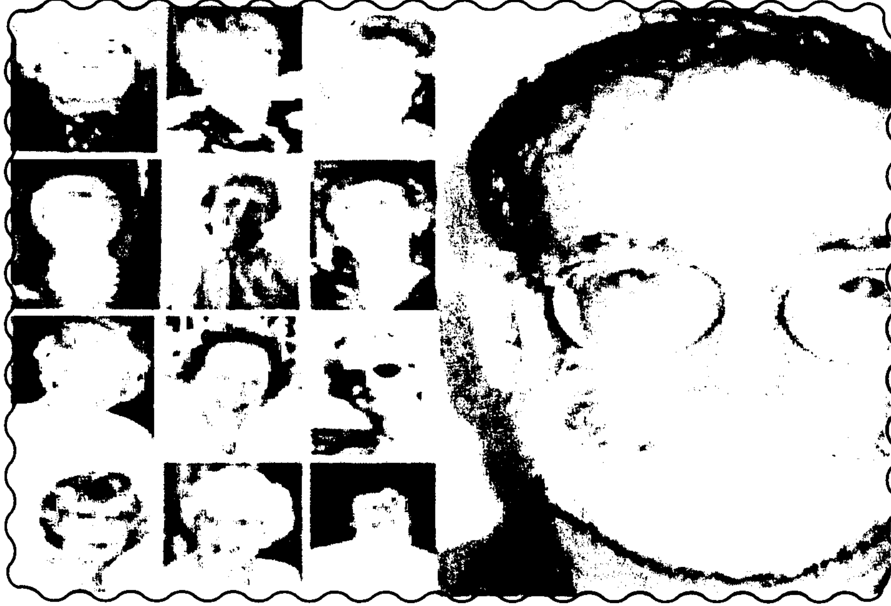
ولهذا فهناك الكثيرون ممن يعتقدون أن محاكمته كانت غير عادلة؛ لأن الشرطة تعتقد أن هارلود مسؤول خلال حياته المِهَنِية عن وفاة عِدَّة مئات من الضحايا. إن سبب قتْل هارلود لكل هؤلاء الضحايا يظل مجهولا، والبعض يعتقد أن السبب يتعلق بتجربة وفاة والدته بالسرطان في مطلع شبابه، مما ترك لديه عُقْدة نَفْسِيَّة، وآخرون يعتقدون أن هارلود كان مُولَعًا بإجراء التجارب والاختبارات على العقاقير الطِّبِّيَّة المُخدِّرة، وأنه كان يُطبِّق تجاربه على مَرْضاه.

والبعض الآخر يعتقد أنه فعل ذلك من أجل المال، خاصة بعد اكتشاف مجوهرات بقيمة ١٠٠٠٠ جنيه استرليني في جوف بيته، حيث تمَّ التعرُّفُ على بعض القِطَع التي تعود لضحاياه.

وهناك نظريات أخرى، ولكن يبْقى السبب الحقيقي مجهولا، خاصة وأن هارلود نفسه لم ولن يعترف أبدا بارتكابه لهذه الجرائم.

ففي صباح يوم ١٣ يناير ٢٠٠٤م. وُجِدَ هارلود مُنْتحِرًا في زنزانته! حيث قام بشَنْق نفسه بواسطة غِطاء السرير.





هكذا فقد بقي العدد الحقيقي لضحايا هارلود غير معروف، فحسَب السجلَّات الطبِّيَّة هناك ٤٥٩ حالة وفاة لمَرْضَى كانوا تحت رعايته.

وتعتقد الشرطة أن هارلود مسؤول عن مقتل ٢٥٠ شخصًا على الأقل منهم، ومعظم هؤلاء كانوا من النساء المتقدِّمات في السِّن وبصحَّة جيِّدة [١].

---

١ - نقلا - مع التصرُّف والزيادة - عن الموقع الشهير (Nightmare) والموقع العالمي: «Wikipedia, the free encyclopedia». تحت عنوان (Harold Shipman)، ومقال (Harold Frederick Shipman.) (serial killer (Dr Death). للكاتب (سيباستيان بيك وات) المنشور في الموقع الأجنبي (Hillalom) بتاريخ (١ نوفمبر عام: ٢٠٠٧م.). والموقع الإخباري العالمي (بي بي سي/ BBC News) تحت عنوان (Harold Shipman: the killer doctor) المنشور بتاريخ (الثلاثاء ١٣ يناير عام ٢٠٠٤م.)، ومقال (The killing fields of HaroldShipman). للكاتب (نيجل ينيان) المنشور في الموقع البريطاني (Telegraph, London). بتاريخ (١٦ يونيو عام: ٢٠٠١م)

١٣ تيودور روبرت كويل

السفاح الذي روّع الولايات المتحدة الأمريكية بأسرها



اعتداء !

في صباح يوم مشهور طرَق جماعة من رِفاق الفتاة الجميلة «جوني لينزي» باب غرفتها في الرابع من يونيو عام ١٩٧٤م. ليوقظوها من النوم.. وبعد فتْحِهم لباب حُجْرتها يكتشفون أنها لم تكن نائمة كما حسبوا.. بل وجدوها راقدة في بِرْكة من الدماء تُغطِّيها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها!..

فذهبوا ليرفعوا الغطاء من فوق جسدها المخضَّب بالدماء فوجدوا ما هو أبشع!..

لقد رأوا عصا السرير مغروسة في جسدها بوحشية..

فأسرعوا إلى نقْل «جوني» إلى المستشفى بأقصى سرعة، ليتم إنقاذ حياتها من تَلَف مُخِّي

شديد سيؤثر عليها لباقي حياتها.. ولكنها كانت محظوظة نِسْبِيًّا.. لأنها من القليلات اللاتي نجْونَ من تحت يد «تيد بندي»، ذلك السفاح الذي روّع الولايات المتحدة الأمريكية بأسرها في فترة السبعينيات.. وهناك الكثيرات من الضحايا اللاتي لم يُكْتَب لهن النجاة من هذا القاتل المتسلسل..

فهناك أكثر من ٣٦ ضحية يحمِل وِزْرَهم «تيد بندي» إلى قبره!..

نشأة مُفكَّكة

بعد أن قضَتْ أشهرها الأخيرة من الحمْل بمنزل مُخصَّص للأمهات غير المتزوجات.. لقد وضعت والدة «ثيودور روبرت بندي» مولودها في الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٦م.

كان «روبرت كويل» والد «تيد» طيارًا حَرْبيًّا لم يكن معروفًا له حتى سِنّ متقدمة، فقد هجر زوجته التي تحمل طفله بعد ميلاد «تيد» مباشرة.. لتنتقل إلى منزل والديْها، وتوهَّم «تيد» بأن والده ووالدته هم جَدَّاه، وأنها أخته الكبيرة، هاربة من الانتقادات التي يمكن أن يُوجِّهها لها باعتبارها المسؤولة عن هجْر والده لها.

انتقل «تيد» ووالدته إلى «واشنطن» عندما كان في الرابعة من عمره للعيش مع أقاربهم، وبعد انتقالهم بحوالي العام تزوجت أمه من «جوني كيلبيبر بندي» الذي سيحمل «تيد» اسمه لنهاية حياته.

لم يعتبر «تيد» زوج أمه في مكانة أبيه أبدًا على الرغم من المحاولات التي بذلها هذا الأخير لتربيته وكأنه ابن له، ولم يُلْقِ بالًا لإخوته الصغار غير الأشقاء الذين جاءوا فيما بعد.. وكان دائمًا خجولًا منعزلًا له أفكاره وخُطُطه الخاصة، وكان يحترم شخصًا واحدًا هو جده الذي كان يعتقد أنه والده.

ولم يكن سعيدًا بترْكهم والانتقال لمكان آخر بعيد.. وكان على حسب تعبيره فيما بعد لا يتكلم كثيرًا مع والدته في أمور شخصية تمسُّه لأنها لم تُبْدِ اهتمامًا كبيرًا بهذا..

لم يكن «تيد» ذا شعبية كبيرة بمدرسته، بالعكس، كان نموذجًا للطالب المُجتهد في دراسته الفاشل اجتماعيًّا.

وعلى الرغم من انطوائه كان الانطباع العام عنه بأنه «ابن ناس» مُهذَّب ومحترَم.. على الرغم من عدم اجتماعيته وعدم نجاحه في الاندماج وسط زملائه، ذلك هو الشعور الذي رافقه حتى دخوله للجامعة..

إن اهتمام «تيد» في تلك الفترة ينحصر في شيئين فقط لا غير: السياسة والتزلج.. لتكون الأولى هي مِهْنته لفترة لا بأس بها، وتكون الثانية سببًا في تغيير حياته بالكامل، ليقابل «تيد» عام ١٩٦٧م. فتاة أحلامه..

كانت «إليزابيث كيندال» الفتاة الغَنِيَّة الجميلة والتي بها كل المواصفات التي يريدها، وإنْ لم يُصدِّق في البداية أنها من الممكن أن تنجذب لشخص مثله، لكن اهتمامهما المشترك بالتزلج على الجليد ورحلاتهما العديدة لممارسته كان سببًا أساسيًّا في وقوعهما في الحب..

وإن لم يكن حب الفتاة له على قدر افتتانه بها لاقتناعها بأن «تيد» بلا طموح أو هدف أساسي في الحياة مما لم يوافق كثيرًا طبيعتها العملية، لتنتهي العلاقة بينهما بعد تخرجها عام ١٩٦٨م، وكأنها قد أدركت الخلل في شخصيته وعدم مناسبته لها.

تغيرت حياة «تيد» للأفضل ظاهريـًا في الفترة ما بين عاميّ ١٩٦٩م. و١٩٧٢م، حيث بدا أكثر ثقة بنفسه وأكثر طموحـًا؛ حيث قدَّم أوراقه لكلية الحقوق، وشارك في حملة إعادة انتخاب محافظ «واشنطن»، الشيء الذي جعل علاقاته السياسية داخل الحزب الجمهوري تزداد قوة، كما أشادت به شرطة «سياتل » لإنقاذه طفلًا يبلغ ثلاث سنوات من العمر من الغرق.

وفي رحلة عمل للحزب الجمهوري إلى «كاليفورنيا»، قابل «تيد» محبوبته القديمة «إليزابيث» التي لم تـُخْفِ انبهارها من التغير الجذْريّ الذي حاق بشخصية «تيد»، مما

كان دافعـًا لا بأس به لعودة علاقتهما ومبرِّرًا أقوى لأن تقع «إليزابيث» في حبه مرة أخرى؛ ليناقش معها «تيد» موضوع الزواج أكثر من مرة أثناء مواعدتهما..

لكن الأمور لم تمضِ بتلك السهولة التي توقعتها؛ حيث تغيرت عواطف «تيد» تجاهها فجأة وبرَدتْ مشاعره نحوها تمامـًا، لم تفهم شخصية «تيد» الجديدة أبدًا.. حتى عام ١٩٧٤م. الذي شهد إنهاء «تيد» علاقته بها لم تعلم بأنه حقق انتقامه منها أخيرًا، فقد نبذها كما تركتْه سابقـًا، لتنجح خطته تمامـًا.. ومن ساعتها لم تعد «إليزابيث» تعرف أيَّ شيء عنه.

بداية الهوْل

فتاة جميلة ناجحة هي «ليندا آن هيلي»؛ خرِّيجة قِسْم عِلْم النفس بجامعة «واشنطن»، الذي أهلها للعمل بمساعدة الأطفال المعاقين لفترة.. كان صوتها جميلًا بشهادة من عرفوها؛ مما ساعدها على الحصول على وظيفة بالإذاعة كمقدمة لنشرة الأحوال الجوية.



ليندا آن هيلي

أقامت «ليندا» مع أربع من الفتيات في منزل واحد حتى يوم ٣١ يناير عام ١٩٧٤م.. الليلة التي خرجت فيها مع بعض أصدقائها للعشاء لتعود للمنزل مُبكِّرًا لمهاتفة صديقها ومشاهدة التليفزيون.. لِتخْلُد «ليندا» للنوم بعدها، ولم تسمع زميلتها بالغرفة المجاورة أيَّ نوع من الضجيج تلك الليلة.

لقد تعوّدت «ليندا » الاستيقاظ في تمام الخامسة والنصف يوميـًا للذهاب لعملها بالإذاعة، تلك الليلة سمعت زميلتها المُنبـّه يستمر في الرنين بلا توقف، وعندما قامت لتسكته رَنَّ الهاتف؛ إنها محطة الإذاعة تتساءل عن عدم وصول «ليندا» إلى عملها حتى الآن!.. توقعت زميلتها أن«ليندا» استيقظت مبكرًا وأخبرتهم أنها غالبـًا في طريقها للعمل.. ليبدأ القلق عندما اتصل والدا «ليندا» للسؤال: لِـمَ لَـمْ تأتِ للغداء معهم كما اتُّفق؟.. ليظهر اختفاؤها ويُقرِّر الوالدان الاتصال بالشرطة..

كشفت التحقيقات أن سرير «ليندا» تم ترتيبه بشكل لم تعتد عمله من قبل، كما وجدوا بقعة دم من فصيلة توافق فصيلة دمها على الملاءة، وكذلك قميص نومها، كما لاحظوا اختفاء ثوب من أثوابها.. كما وجدوا دليلًا آخر هو أن الأبواب كانت مفتوحة في تلك الليلة، وهو شيء غريب نظرًا لحرص الساكنات على غلقها بنهاية كل يوم.

وبتجميع تلك الأدلة لم يكن أمام الشرطة سوى استنتاج أن «ليندا» ضحية جريمة قتْل في الغالب، بلا بصمات أو أنسجة للاستدلال على القاتل؛ الذي أثبتت التحريات أنه دخل المنزل وخلع عن الضحية ثياب نومها وعلَّقها في الخزانة ليلبسها ثوبـًا آخر، ثم رتـَّب الفراش وحمل «ليندا» داخل الملاءة ورحل في سكون تام دون أن يشعر به أو يراه أحد.

تتابع الجرائم

أثناء ربيع وصيف هذا العام، تكررت حالات اختفاء الطالبات.. وقد لُوحِظ أن هناك تشابهًا في انتقاء الضحايا؛ فكلهن نحِيلات، بيضاوات، بشعر طويل مَفْرُوق من

المتصَف، غير متزوجات، وكنَّ يلبسن السراويل قبل اختفائهن، إلى جانب أن آخر وقت شُوهِدْن فيه دائمـًا ما يكون ليلًا.

كما اكتشفت الشرطة خلال التحقيقات من سؤال الشهود بإجماعهم أن هناك رجلا غريبا يلبس جبِيرة في إحدى يديه أو قدميه يركب سيارة من نوع «فولكس فاجن» متعطلة على الطريق ليطلب المساعدة من المارة.. كل هذا في نفس المنطقة التي تشهد الاختفاءات الغامضة للفتيات.

وأخيرًا، وجدت الشرطة جثتين لفتيات -تم التبليغ عن اختفائهما- في حديقة «ليك ساماميش» العامة في واشنطن، أو بقاياهن بمعْنَى أصح، ليبْذل خُبراء المعامل الجنائية مجهودًا في تحديد شخصية القتيلتيْن من البقايا التي عثروا عليها: خُصَلات من الشعر بألوان مختلفة، جُمْجمتين، عظْمة فَكٍّ، وخمس عظمات فخْذ..

لتتحول تلك البقايا لشخصيتيْ فتاتيْن اغتالتهما يدَا هذا القاتل؛ «جانيس أوت» و«دنيس نازلاند»، اللتيْن تم التبليغ عن اختفائهما بنفس اليوم؛ الرابع عشر من يوليو..


جانيس أوت


دنيس نازلاند

لم تكن «جانيس» و«دنيس» آخر الضحايا بالطبع، ولم تعُدْ بعدهما «واشنطن» هي مسرح الأحداث فقط.. ففي مدينة «ميدفايل» بولاي «يوتاه»، تحديدًا رئيس الشرطة فيها «لويس سميث» -الذي حذَّر ابنته ذات السبعة عشر ربيعًا مرارًا وتكرارًا من أخطار هذا العالم- يواجه أسوأ مخاوفه في الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩٧٤.. حيث اختفت ابنته «ميليسا» ليجدها بعد تسعة أيام مخنوقة وقد تمَّ اغتصابها بعد قتْلِها.

وبعد ثلاثة عشر يومًا وُجِدَت «لورا آيم» التي تماثل «ميليس» عُمرًا جوار جبال «واساتش» بولاية «يوتاه» تحملُ آثار ضرْب رافعة على رأسها ووجهها، وقد عانت نفْس معاناة «ميليس».. لتُقدِّر الشرطة أنها قُتِلَتْ في مكان آخر نظرًا لعدم وجود الكثير من الدماء في مسرح الجريمة.. وكالعادة لا شيء يدل على من قتلها!..

تشابهٌ

بدأت جهود الشرطة في «واشنطن» و«يوتاه» تتضافر مع تشابه أوصاف القاتل في الولايتين، الشيء الذي أكَّد أن القاتل الذي يبحثان عنه واحد.. ومع شهادة الشهود ووصفهم مع الأدلة التي تحدثنا عنها سابقًا بدأ الخناق يضيق حول القاتل الذي يدعو نفسه «تيد» ببطء.



لورا آيم



ميليسا سميث

وعندما رأت إحدى صديقات «إليزابيث كينديل» الصورة التي رسمها فنَّانُو الشرطة للقاتل من أوصاف الشهود تأكدت أنه «تيد» صديقها السابق.. ليس لاحتقارها له لتركه إياها، ولا ما شهدتْه من غرابة تصرفاته؛ ولكن لأن الصورة تُشْبِهه كثيرًا بالفعل، ولأنها تعرف سيارته «الفولكس» جيدًا والتي وصفها الشهود أيضـًا، كما أنها رأتْ عكازًا في غرفته مرة مع عِلْمها بأن قدمه لم تـكْـسـَر أبدًا!

كل تلك الحقائق التي ذكرتْها بعد ذلك بالتفصيل في كتابها (: «The Phantom Prince: My Life with Ted Bundy») جعلتْها تتصل بإدارة شرطة «سياتل» في أغسطس عام ١٩٧٤م. لتخبرهم أن صديقها السابق: «ربما يكون متورطـًا في الأمر»، لتتصل بهم مرة أخرى في خريف ذات العام بمعلومات جديدة مع بعض الصور التي عرضها المحققون على الشهود، لكنهم لم يتعرفوا عليه فيها ليُـدفـَن الاشتباه في «تيد» لأعوام بعد ذلك..

كأنه عـَلـم ببُعْد الشبهات عنه، فأخذت هجمات «تيد» تزداد جُرْأة وتهوُّرًا، الشيء الذي ساعد بوضْع المسمار الأخير في نعْش جرائمه.. حيث وجد زوج وزوجته والأول يقود سيارتهما على الطريق في الثامن من نوفمبر عام ١٩٧٤م. فتاةً مُقيَّدة بأغلال حديدية تُلْقِي بنفسها على السيارة طالبةً المساعدة وهي تبكي في هيستريا، ليُفَسِّرا من وسط دموعها وكلامها المتخبـِّط أن هناك من حاول قتْلها؛ ليُسْرِعا بها لأقرب مركز شرطة على الفور..

لِتحْكِي «كارول دارونش» ذات الثمانية عشرة عامـًا ما حدث لها مع الشخص الذي ادَّعى كونه من رجال الشرطة، مُقدِّمـًا نفْسه باسم «روزلاند» من قسم شرطة «موراي» لتذهب معه بحجة احتمال سرقة شيء ما من سيارتها، ليطلب منها مرافقتها لقِسْم الشرطة..

وهنا بدأ الشك يُراودها حين اصطحبها في سيارة عادية «فولكس فاجن» من موديل «بيتلز»، ليتوقف عند طريق مهجور ويُقيِّدها بالأغلال، ثم يحاول ضرْبَها على الرأس بآلة حديدية، ولحُسْن حظِّها تستطيع الهروب من باب السيارة المفتوح بعد رَكْله فيما بين قدميْه..

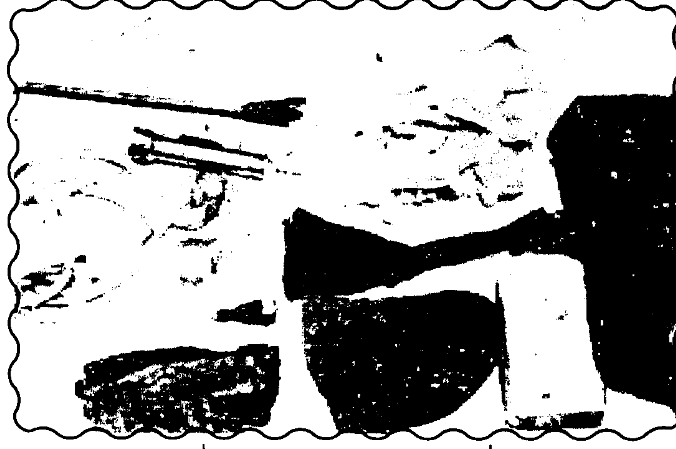


صورة (تيد بندي) بعد القبض عليه

يستمر البحث عن «تيد» وقد زاد رجال الشرطة حماسًا أنَّ القاتل بدأ يفقد حذَره.. لكن هذا لم يُؤْتِ ثماره إلا بعد الجثث الثماني لفتيات بريئات، وسبعة أشهر، تحديدًا في السادس عشر من أغسطس عام ١٩٧٥م؛ حيث رأى الرقيب «بوب هايوارد» سيارة من موديل «بيتلز» صفراء اللون على جانب الطريق، ليشتبه في صاحبها نظرًا لمعرفته بسكان المنطقة وإدراكه بأن صاحب «الفولكس» غريب عنها، لينطلق خلْفه لرؤية رُخْصته، وما أنْ لاحظ صاحب السيارة مطاردة رجل الشرطة له أطفأ الأنوار وأسرع في محاولة الهروب.

لكن «بوب» نجح في إيقافه وتفتيش السيارة التي كان راكبها هو «ثيودور روبرت بندي»؛ ليجد الآتي: آلة حديدية، قِناع تزلُّج، حَبْل، أغلال حديدية، أسلاك، وأداة لتكسير الثلوج.. الشيء الذي جعله يصحب "تيد" لمركز الشرطة لحبْسه بتهمة السرقة، على الأقل مبدئيـًا.

وسـُرعان ما وجدت الشرطة خيوط الربْط ما بين «تيد» والقاتل الغامض، حيث وجدوا أن الأغلال تُطابق ما وجدوه في يد «كارول دارونش» ليلة الحادث، والآلة الحديدية تُشْبه سلاح الجريمة، مما أدَّاهم لعرْضه على «كارول» وباقي الشهود الذين أكدوا أن «تيد» هو من تبحث الشرطة عنه منذ زمن.. ليتم اتهام «تيد» رسميـًا بمحاولة خطف وقتْل «كارول دارونش».



أدوات تيد بندي

بعد محاكمة استغرقت أسبوعـًا، أدانت المحكمة «تيد» وتمَّ الحـُكْم عليه في الأول من مارس عام ١٩٧٦م. بخمسة عشر عامـًا في سجن المقاطعة بولاية «يوتاه».

لكن هذا لم يكن كل شيء؛ فالشرطة لم تُغْلِق ملف «تيد بندي» بعد، وما زالوا يحاولون الربْط ما بينه وبين باقي جرائمه.. و«تيد» لم يستسلم رغم القبض عليه بمحاولته الهروب أكثر من مرة..

الهروب

في عام ١٩٧٧م. حاول «تيد» الهروب مرتين، فشل في المرة الأولى ولكن نجح في المرة الثانية، وذلك عن طريق عمل حفرة مُربَّعة في سقف زنزانته بمِنْشار للمعادن، حيث تسلَّق عبْرَ الحفرة وخرج من الباب الرئيسي للسجن مُستغلًّا غياب الحارس، وصل للرواق الرئيسي للسجن ليهرب مرة أخرى مستعملاً إحدى السيارات التي سرقها من موقف العربات ثم ابتاع تذكرة طائرة إلى (دنفر) بولاية شيكاجو، ومنها ذهب بالقطار إلى (آن آربور) بميتشيجان، ليسرق سيارة إلى أتلانتا ويتركها لركوب الباص الذاهب إلى (تالهاسي) بـــ (فلوريدا)، وقتل هناك ٣ فتايات أُخريات.

الحُكْم بالإعدام

أُلْقِيَ القبض على «تيد» مرة أخرى وحُكِم عليه هذه المرة بالإعدام بالكرسي الكهربائي، ونُفِّذَ فيه الحُكم في الرابع والعشرين من يناير عام ١٩٨٩م. بعدما أصبح مُذْنبًا في ٤٠ جريمة قتْل.(١)

١ - نقلا عن الموقع العالمي: « Wikipedia, the free encyclopedia ». تحت عنوان (Ted Bundy). وموقع: (midnews) تحت عنوان: (Serial killer «Encore» Psychology is used for the rape and killing of ٣٥ students). وموقع: (The DVD Forums) تحت عنوان: (Ted Bundy the serial killer true story).

٣ ١ جيري ليون ريجوي

سفاح «النهر الأخضر»



يبدو تتبع الحياة الشخصية من الجانب النفْسي هو المفتاح الرئيسي للوقوف علي الدوافع وفهم هذا النوع من الرجال الذين يتخلون عن حياتهم الطبيعية ويتحولون إلى مجانين ومهووسين..

ومن جانبهم يرى خُبَراء عِلْم النفْس أن لديهم أفكارًا جيدة عن مثل هذه الدوافع وشخصية الرجل الذي يتحول إلى قاتل يُكرِّر جريمته بحق ضحايا مُعيَّنين. ويبقى السؤال الذي يتردَّد دائمًا: هو ما الذي يقود هؤلاء الأشخاص إلى مثل هذه الحالات المرضية؟ وما الذي يجري في دواخل أدمغتهم؟

يقول «مايك بيري» أخصائي نَفْسي بالجريمة من جامعة «مانشستر متروبلين»: يبدو القاتل شخصًا واثقًا من نفسه ومُنظَّمًا ويُوحِي في الغالب بأنه شخص كبير وناضج في سلوكياته.. كما أنه يبدو ذلك الشخص المرتاح والطبيعي في المناطق التي تكثر فيها

المواخير والحانات والأماكن الموبوءة.. ومن الممكن أن يكون من بين الأشخاص الذين يشتركون في ألعاب القمار والمقامرة، وربما يكون معروفًا بين الناس الذين يرتادون هذه الأماكن..

وقد يكون ذلك الشخص مُنْدفعًا وتستحوذ عليه الرغبة في الانتقام من النساء أو على وجه الخصوص الداعرات لجملة من الأسباب.. ومن المحتمل أن يكون يشكو من مرض انتقل إليه عن طريق الاتصال الجنسي.. أو أنه مدفوع ومُسيَّر عَبْر الغطاء الديني، أو أنه من النوع المأخوذ بأفكار دينية خاطئة، أو تتملَّكه رغبة بتطهير الشارع من مرتكبي الخطيئة. لذا ما الذي يُجْبر الرجال على ارتكاب مثل هذه المجازر البشرية؟

عُرِفَ «جيري ليون ريجوي» بـ «قاتل النهر الأخضر» ويُعدُّ أحد أكثر السفَّاحين غزارة في القتْل في تاريخ الولايات المتحدة، حيث قتل ٤٨ امرأة معظمهن من بائعات الهوى في مطلع الثمانينيات.

فخلال فَصْلَيْ الربيع والصيف لعام ١٩٨٣م، اختفت ٩ من فتيات الليل وهن (مارتينا أوثورلي)، و(شيريل لي ويمز)- ١٨ سنة، و(إيفون أنتوش)- ١٩سنة، و(رويس كاري)- ١٥ عاما، و(ناون كونستانس)- ٢١ سنة، و(تاميمي ليلز)- ١٦ سنة، و(كيلي مجنيس)- ١٨ سنة، و(تينا طومسون) -٢٢ عاما و(باترام نيسان)-١٧ سنة.

ومعظمهن قد وُضِعنَ في قائمة ضحايا سفاح النهر الأخضر. ومنهن مَن أُخْرِجنَ من القائمة لاختفائهن في مساحة أخرى خارج تحرُّكات القاتل.

كان صيفًا ساخنًا للفريق الذي تمَّ تشكيله لمهمة القبض على ذلك السفاح الغامض! ففي يونيو عثرت الشرطة على جثة مجهولة الهُويَّة لامرأة يُعْتَقد أنها بيضاء ما بين ١٧-١٩ عاما، وذلك في جنوب غرب طريق «تثلتين» بالولايات المتحدة.

وفي ١١ أغسطس عثرت الشرطة على جثة امرأة مفقودة تُسمَّى (سامرز شاوندا) بالقُرب من المطار. وبعد يوم واحد عثرت الشرطة على جثة أخرى لم يتمّ التعرُّف عليها،

ولا تزال مجهولة الهُويَّة. وقبل أن ينقضي عام ١٩٨٣م. وبين شهري سبتمبر وديسمبر اختفت تسع أُخْريات.

هياكل عظْمية وجُثث مُتحلِّلة

اعتقد المحققون أن الكثير من الجثث ما زالت منتشرة هنا وهناك، وتحتاج لمن يبحث عنها ويخرجها من باطن الأرض، أو من خلْف الشُّجَيْرَات الكثيفة في الغابات وبين الأدغال، وطلبوا مساعدة فريق الكشافة.

وفي يوم ٢٩ أكتوبر، وبعد بحث مُضْنٍ في المنطقة المحيطة بالمطار، تمَّ العثور على هيكل عظمي مُغطًّى بالقمامة تحت الشجيرات. وتمَّ تحديده بأنه لسيدة مُتغيِّبة تسمى (كيلي وير) ٢٢سنة.

وفي ١٣ نوفمبر وبعد بحث واسع النطاق عُثِرَ على سيدة مُتغيِّبة تُسمى: (ميهان) وطفلها، ووجدت جثث مدفونة تماما على غير العادة.

وفي ١٥ ديسمبر عُثِر على جمجمة امرأة أخرى اسمها (كيمي كاي) في مدينة أوبورن – بواشنطن، بالقرب من مقبرة (ماونتن فيو) في إشارة إلى أن القاتل قد وجد مكانا جديدا للدفن. وبعد تلك الحادثة قررت السلطات زيادة عدد المحققين العاملين في قضايا النهر الأخضر، وذلك لمواجهة العدد المتزايد من جرائم القتل في المنطقة. وعلى الرغم من أن الأعداد الرسمية التي أعلنت عنها الفِرْقة المكلَّفة بالقبض على القاتل الغامض لم تتجاوز الـ١١ أو ١٢، في ذلك الوقت من ١٩٨٣م، فإن العدد الحقيقي الذي لم يُكْشَف عنه لسبب ما غير معروف يقترب من ١٨ جثة اتمَّ اكتشاف جميعها في منطقة سياتل.

مطاردة الشر

في يناير ١٩٨٤م. عُيِّنَ النقيب (فرانك آدامسون) رئيساً جديداً لفرقة البحث الجنائي، والذي كان يترأَّس من قبل وِحْدة الشؤون الخارجية لإحدى إدارات الشرطة، وفي الأشهر القليلة الأولى من تولِّي (آدامسون) رئاسة الفرقة قام ببعض التغييرات.

وكان أول هذه التغيرات: نَقْل مَقَرِّ رئاسة الفرقة إلى دائرة (بوريون)، لقُرْبها من المطار والنهر الأخضر، حيث تمَّ ارتكاب الجرائم. وعملا بنصيحة (بوب كيبل) فقد قسَّم (آدامسون) الفِرقة الجنائية إلى عِدَّة فِرَق صغيرة، وكلَّف كل مجموعة بالقيام بمهامٍّ محددة ضمْن الفريق الواحد الذي يترأَّسه.

إضافة إلى ذلك فقد عيَّن (آدامسون) ثلاثة محققين جُدَدًا مهمتهم تحليل الجرائم ومتابعة الخيوط وتحليل الاتجاهات المحتملة والمنهجيات المستحدثة التي يستخدمها القاتل. كما تمَّ تعيين (٢٢) ضابطا لرصْد ومراقبة فتيات الليل في تلك المنطقة، ورصْد كل ما يثير الريبة.

وقد وضِعَتْ استراتيجية جديدة لتجديد المفاهيم القديمة والسائدة، وعملا لنصائح (كيبل) والتركيز على أن المُشْتَبه به بريء حتى تثبت إدانته، وتصنيف المشْتَبه بهم إلى ثلاث فئات حسب العلاقة بين المشتبه به والضحية.

لكن الرياح لم تهبُّ في صالح الشرطة بعد تجديد الإجراءات والأساليب. ففي ١٤ فبراير ١٩٨٤م. عثرت الشرطة على بقايا هيكل عظمي لامرأة، عُرِفت لاحقًا بأنها السيدة المتغيبة (دينيس لويز بيجر) وقد عُثِرَ عليها على بعد ٤٠ ميلا من مدينة قريبة من الطريق السريع ٩٠. وهي الضحية الوحيدة التي عُثِر عليها في تلك السنة، وبالطبع لم تكن الأخيرة، ففي خلال الشهرين المقبلين تم العثور على تسع جثث أخرى.

ورغم التقدُّم الضئيل الذي ظهر في أداء الفِرْقة الجنائية فإن أنماطًا جديدة بدأت في الظهور سمحتْ للمحققين الاقتراب أكثر من شخصية القاتل الافتراضية. وقد كان واضحًا أن للقاتل أماكن كثيرة يدفن فيها ضحاياه باستثناء ضحيته (ميهان)، والتي عُثِرَ عليها مدفونة جُزْئيًا، ومُغطَّاة بمُخلَّفات القمامة وأوراق الشجر. لقد بَنَتْ الفِرْقة الجنائية تحرُّكاتها على فرضية أن القاتل يعمل أو يعيش بالقرب من المنطقة التي يتخلص فيها من الجثث. وبالرسم على الخريطة تبيَّن للشرطة أن أماكن العثور على الجثث كانت على شكل مثلث تقريبا.

الشعب في خدمة الشرطة

في شهر إبريل كان أمامَ الفِرْقة الجنائية دليل مهم له علاقة بالقاتل، فعندما عثروا على بقايا هياكل عَظْمية لبعض الضحايا شاهدوا آثار حِذاء رجالي بحجم ١٠ أو ١١.

وفي منتصف شهر أبريل اشتبهت (باربرا كوبيك) في وجود ضحية أخرى في مكان قريب من الطريق السريع ٩٠ واتصلت فورا بالشرطة، لكن الشرطة تجاهلتْها ولم تستجب لها، لقد أُصِيبتْ بالإحباط وقررت القيام بنفسها بذلك العمل.

اصطحبت ابنتها وذهبا إلى المكان وأسفر بحثهما عن العثور على جثتين، وعندما علم أحد الضباط بهذا الأمر هدَّدها بالاعتقال لتدخلها في أعمال الشرطة والدخول إلى منطقة خاضعة لحراستها. لكنها لم تسكت، وأبلغت الصحافيين عن اكتشافها. وحتى لا تُثار المشكلة طلب المحققون من المرأة أن تقودهم إلى المكان المزعوم، حيث فوجئوا بالمنظر الشنيع. كانت بقايا جثة مُتحلِّلة من السيدة (أمينة أجيشيف) - ٣٦. سنة والتي شُوهِدتْ لآخر مرة في٧ يوليو١٩٨٢م. بعد عودتها من عملها في أحد المطاعم في وسط مدينة «سياتل».

والملاحظ أن هذه الضحية تختلف عن الأُخْريات، فبالإضافة إلى عمرها، لم تكن سيئة السمعة. بل مستقرة عاطفيا وأُمًّا لطفلين. كما أن أسلوب حياتها مختلف، وموقع التخلُّص من الجثة كان مختلفًا أيضا.

وفي ٢٦ مايو عثرت الفِرْقة الجنائية على طفلين كانا يلعبان في شارع (جوفيتا) بمقاطعة (بيرس) على هيكل عظمي. وتبيَّن بعد إجراء الفحْص الطبي أن العِظام للمراهقة الهاربة (كولين بروكمان)- ١٥ سنة. وبعد اكتشاف هذه الضحية بدأ مؤشِّر الجرائم في الانخفاض لأسباب تعود للقاتل، لكن همة المحققين لم تكْسل وتتأثَّر بذلك، بل ازداد حماسهم وتصميمهم للقبض على القاتل مهما كلفهم الثمن.

ففي أغسطس ١٩٨٤ لاحت بارقة أمل جديدة للمحققين، حيث اعترف سجِينان

في سجن (سان فرانسيسكو) بأن لهما صلة بجرائم النهر الأخضر، ولكن وبعد مقابلات مكثَّفة مع السجينين، تبيَّن أن اعترافاتهما كاذبة ولا تَمُتُّ إلى الحقيقة بشيء.

استشارات سفَّاح سابق

وبعد عدة أشهر، عرض السفاح (تيد بندي) خدَماته من زِنْزانته في السجن عندما كان منتظرًا تنفيذ حكم الإعدام، والذي روَّع أكثر من ولاية أميركية ونشر الذُّعْر والخوف في أوساط الفتيات، وكان عرْضًا سَخِيًّا لا يُمْكِن رفْضُه.

لقد عرض(تيد بندي) على المفتِّش (بوب كيبل) وفرقة التحقيق مساعدته للقبض على الجاني، وذلك من واقع تجربته كسفاح. إنه عَرْض لا يمكن أن يرفضه (كيبل) بأيَّة حال من الأحوال، فقد قُدِّمَتْ لـ (كيبل) تجربة فريدة وعلى طبق من ذهب، لقد سمح له السفاح بالغوْص في أعماقه للتعرُّف أكثر على هذا العالم الغامض عالم السفاحين.. كيف يفكرون؟ ولماذا يرتكبون جرائمهم التي روَّعتْ المجتمعات على نحو غريب؟.

لقد تبادل الطرفان الرسائل التي خلَقتْ ارتياحا لدى الفِرْقة الجنائية، حيث امتلأت الرسائل بالمعلومات المفيدة.

قال (بندي) إن سفاح النهر الأخضر يَعرِف ضحاياه جيدًا، وربما يكون صديقًا حميمًا لهم قبل أن يغْدر بهم ويُجْهِز عليهم. مُضيفًا إلى أن جُثثًا أخرى ما زالت مدفونة بالقرب من مقالب الزِّبالة والأوساخ وقريبًا أيضا من سَكَن القاتل.

كشف (بندي) للمحققين أفكارًا غير عادية عن القاتل المُحْتَمَل، وسَّعَتْ مدارك المحققين وجعلتهم يقتربون أكثر من عالَم السفَّاح ويفهمون سلوكياته وأساليبه، أصبح (بندي) مستشارا أوَّلِيًّا للمحققين يمدُّهم بما يحتاجونه من معلومات عن عالم السفاحين الغامض.

ولكن ورغم هذه النصائح والمعلومات الغالية الثمن من سفاح مشهور فإن الفِرْقة الجنائية لم تتمكن من القبض على سفاح النهر الأخضر، مما أدخل جميع العاملين في القضية في حرَج أمام الرأي العام وأمام أنفسهم قبل كل شيء.

ورغم أن عمليات القتل بدأت في التناقص، فإنها لم تتوقف تمامًا. وبين أكتوبر وديسمبر ١٩٨٤م، تم اكتشاف جثتين أُخريَيْن (ماري سو بيلو) -٢٥ عاما و(مارتينا أوثورلي) - ١٨ سنة، والجثتين عثرت عليهما الشرطة في الطريق السريع ٤١٠.

وبذلك يكون عدد الضحايا من فتيات الليل حتى ذلك التاريخ قد بلغ ٣١ قتيلة. وفي ١٠ مارس ١٩٨٥م، تم العثور على جثة أخرى مدفونة جزئيا قُرْب طريق البحيرة، وكانت للمُتغَيِّبة (رويس كاري) - ١٥ سنة والتي اختفت خلال صيف عام ١٩٨٣م.

وفي منتصف يونيو عثر عامل كان يعمل في تجريف قطعة أرض في منطقة (تيجارد) بولاية أوريغون، على بقايا هياكل عظمية لامرأتين هما (دينيس بوش)- ٢٣ عاما، و(شيرلي شيريل) - ١٩عامًا، وكن من فتيات الليل المعروفات في «مدينة سياتل». وقد أشارت القضيتان الأخيرتان إلى أن قاتل النهر الأخضر قد وسَّع من محيط عملياته إلى خارج الولاية.

نظريات جديدة

عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي (جون دوغلاس) أعاد تقييم الوضْع من جديد، واستنتج من واقع المعلومات الأخيرة أن هناك سفَّاحيْن منفصليْن هما اللذان يقومان بارتكاب جرائم القتل في تلك المنطقة، مُدلِّلًا على ذلك بأن طرُق الدفْن والتخلُّص من الجثث تختلف قليلا، وأن أحد السفاحين يبذل جهدا أكثر من الآخر لإخفاء جثث ضحاياه. وبينما قام القاتل بدفن بعض الجثث جُزْئيًّا في مناطق معزولة، قام بدفن جثث أخرى في أماكن مفتوحة ويسهل العثور عليها من قبل المارَّة، كتلك التي عثرت الفِرْقة الجنائية عليها في النهر الأخضر.

ورغم أن نظرية (دوغلاس) بدت معقولة، لم يكن بين أيديهم مشتبه به يدعم هذه النظرية. سادت أجواء التحقيقات برودة وفُتور، واكتنَفها غموض غريب، تشابكت الطرق واختلطت المعلومات فيما بينها واحتار المحققون فيما يفعلونه.

أثناء هذا الارتباك الذي حدث، تصاعدت الضغوط على الفِرْقة الجنائية لعدم قدرتها على القبض على القاتل بعد أكثر من ثلاث سنوات أو تحقيق أي إنجاز يُذْكَر. هذه البرودة التي اجتاحت العمل ازدادت مع حلول فصل الشتاء، حيث تمَّ العثور على ثلاثة هياكل عظمية لضحايا جُدُد أولاهن: (ماري ويست) وعُثِر على جثتها في منطقة أدغال بالقرب من حديقة (سيوارد) في مدينة سياتل. والثانية (كيمي بيتسور)، والثالثة: أنثى بيضاء مجهولة الهُوِيَّة.

أما الشيء الغريب وغير العادي في هذه القضايا فهو بقايا جثة السيدة (بيتسور) والتي عُثِر عليها في موقعين مختلفين. ففي ديسمبر من عام ١٩٨٣ تم اكتشاف جمجمتها بالقرب من مقبرة (ماونتن فيو)، وبعد عامين عُثِر على ما تبقَّى من جثتها على مسافة قصيرة في وادٍ شديد الانحدار. واعتقدت الشرطة أن حيوانًا ضالًّا قام بجرِّ الجمجمة من الجسم في وقت ما بعد الموت، لم يتوفَّر دليل قاطع يدعم هذا الاعتقاد مما جعلهم يتفقون على أن القاتل تعمد ذلك لتضليل الشرطة.

مكتب التحقيقات الفيدرالي على الخط

في فبراير ١٩٨٦م، ابتسم الحظ مرة أخرى لفرقة التحقيق -أو هكذا بدا لهم- فقد تمَّ القبض على شخص تنطبق عليه الأوصاف التي وضعتْها الفِرْقة الجنائية.. جاءوا به إلى مركز الشرطة. ولَقِيَ هذا صدًى إعلاميًّا كبيرا ومُدوِّيًا واهتمامًا منقطع النظير من وسائل الإعلام المختلفة..

كلَّف المحقق (دويون) من مكتب التحقيقات الفيدرالي ليقوم بالتحقيق هذه المرة واستخلاص الاعترافات. لكن بعد ساعات وساعات من التحقيق تبيَّن أن المُشْتَبه ليس بالرجل المطلوب وبعدها بوقت قصير تمَّ إطلاق سراحه.

كان الجمهور الذي عملت وسائل الإعلام على تجهيزه لسماع أخبار سارَّة ينتظر على أحرِّ من الجَمْر، وعندما تناهت إلى أسماعه النتيجة، صبَّ جامَّ غضبه على فريق العمل، كان الشارع

الأميركي يغلي ويفور في الوقت الذي أكَّدتْ فيه وسائل الإعلام أن فريق العمل (مُزْحة). ومما زاد الطين بِلّة، أنه وفي ذروة السخط الذي اجتاح المجتمع، عثرت الشرطة في ذلك الصيف على بقايا عظام ثلاث نساء أُخريات في شرق مدينة (سياتل)، الأولى: (مورين فيني)- ١٩، والثانية: (كيم نيلسون)- ٢٦ عاما، والثالثة: امرأة أخرى مجهولة لم تُعْرَف هُويَّتها، والضحية الأولى هي الوحيدة التي تعمل فتاة ليل، وبهذه الاكتشافات وصل العدد إلى ٤٠ ضحية.



صور ضحايا السفاح جيري.

وكان لقيادة الشرطة أن تفعل شيئا أمام هذه المسألة، وأن تتخذ إجراءات تعمل على حماية المجتمع من المجرمين الذين لا هَمَّ لهم إلا قتْل الأبرياء الآمِنين. وحَلًّا لهذه المشكلة رأت السُّلْطة أن تضُخّ دماءً جديدة للفِرْقة الجنائية، وبحلول نهاية عام ١٩٨٦م، تم تخفيض عدد العاملين في الفرقة بنسبة ٤٠٪ وتمَّ نَقْل رئيس الفِرْقة السابق النقيب (آدامسون) للعمل في موقع آخر، وعيَّن الكابتن (جيمس بومبي) قائدا جديدا للقوة،

وفَوْر تقلُّده المنصب الجديد وكعادة مَنْ سبقوه، بدأ في إعادة تنظيم الفريق والبيانات المتعلقة بالتحقيق.

لكن المشاكل كانت في انتظاره ولم تتركْه يلتقط أنفاسه لترتيب أوراقه ولعمل خطة جديدة، وبمجرد توليه هذه المهام وفي ديسمبر من ذلك العام كان تم اكتشاف جثتين أُخْرَييْن، وعُثِر هذه المرة على الجثتين أبعد بكثير مما كان متوقعًا في منطقة شمال مدينة فانكوفر- بكولومبيا البريطانية.

ومرة أخرى، بدأ القاتل يتلاعب بالمحققين، ويأتي بأشياء تُثير الاهتمام.. فقد قام هذه المرة بتقطيع جثث نساء أخريات ووزَّع الأشلاء على امتداد الطريق بين مكان الضحيتين. لكن لم تنطل الحيلة على المحققين وتمَّ تسجيل الحالتين في قائمة سفاح النهر الأخضر.

لكن يبدو أن لغز سفاح « النهر الأخضر » المسؤول عن سلسلة جرائم القتل الطويلة في تاريخ الولايات المتحدة، قد حُلَّ بصفة نهائية بعد أن اعترف «جيري ليون ريجوي» (المولود في ١٨فبراير سنة ١٩٤٩م.) والبالغ ٥٤ (عاما)، بقتْل ٤٨ امرأة شابة في وحُول وضواحي مدينة «سياتل» خلال العشرين عاما الماضية.

جيري الذي يعمل رسَّامًا في شركة للشحْن وصَفَه زملاؤه بأنه هادئ، لكن براءته ظاهريًّا جعلت التماسه كجزء من صفقة مع المدَّعين، الذين وعدوا بتجْنيبه عقوبة الإعدام مقابل تعاونه المستمر. وسيُحاكم بالتأكيد بالسجن المؤبّد من دون أن يُمْنَح إفراجًا مشروطًا.

وقد حضر جيري أمامْ المحكمة بِتُهَم خطْف وتشويه وإلقاء جثث فتيات ليل صغيرات ومدمني مخدرات ومُشرَّدين في وُحُول النهر الأخضر، الذي يجري جنوب مطار مدينة سياتل.



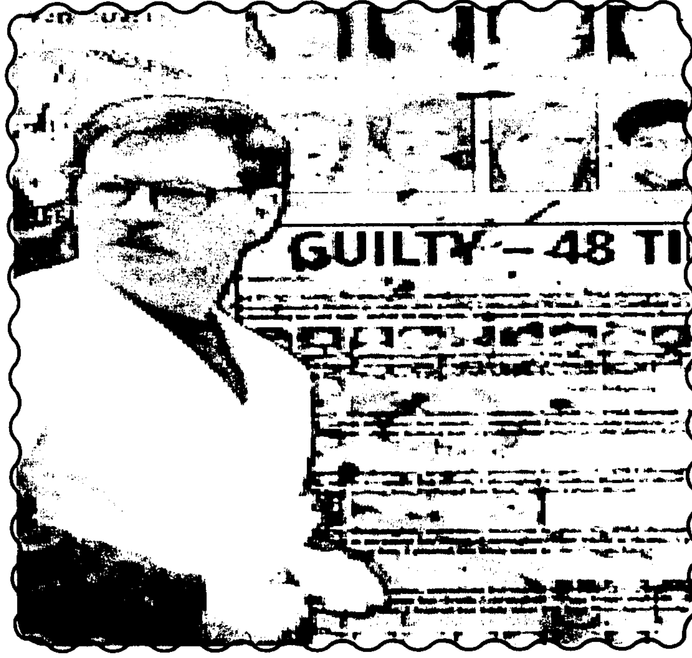
كان جيري نفسه متهمًا في هذه القضية منذ مطلع عام ١٩٨٣م، بعد سنة من إلقاء أول مجموعة من الجثث في النهر (حوالي خمس أو ست جثث)، ولكن بقيت البينة ضده ثانوية غير مؤكَّدة حتى مكَّن التطوُّر لاختبار الحِمْض النوَوي المدَّعين من رِبْط الاغتيالات بعيِّنة اللُّعاب الذي أخذوه من جيري في العام ١٩٨٧م.

وقد اعتُقِل جيري قبل سنتين فأنكر أن يكون مذنبًا في هذه الدعوى. ومع التهديد بعقوبة الإعدام المُشْهَرَة فوق رأسه، بدأ تدريجيًّا بالتعاون مع فريق التحقيق الجنائي ما أتاح لهم رَبْط مزيد من الاغتيالات به من السبع حالات التي اعتُقِل بناءً عليها إلى ٤٨ جريمة قتل.

وعلى رغم أن غالبية الاغتيالات وقعت مطلع الثمانينيات، إلا أن آخر حالة يعود تاريخها إلى عام ١٩٩٨ فقط. وتبقى هناك حوالي ٣٠ امرأة غير محسوبة في هذه القضية.

وبعد أن وافق جيري بالاتفاق من الشرطة على الكشف عن مكان باقي ضحاياه من النساء المفقودات، سقطت عنه عقوبة الإعدام، وحُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة دون

إطلاق سراح مشروط(١)



١ - نقلا عن مقال: «ضحية حصيلة أولية لضحايا سفاح النهر الأخضر» المنشور على صحيفة «العرب القطرية» الإلكترونية بتاريخ (٤-٧-٢٠١١م.). ومقال: « سفاح سياتل اعترف بـ ٤٨ جريمة قتل» المنشور في صحيفة «الوسط البحرينية» - (العدد ٤٢٩ - الأحد ٩ نوفمبر سنة ٢٠٠٣م الموافق ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ). والموقع العالمي: « Wikipedia, the free encyclopedia ». تحت عنوان (Gary Ridgway).

١٤ مستر زودياك

مجرم سان فرانسيسكو



في عام ١٩٦٩م أصبحت ولاية (سان فرانسيسكو) هي ولاية الرعب الأولَى في الولايات المتحدة الأمريكية

فرغم انتشار القتلة والسفَّاحين في كل مكان هناك -ربما أكثر من الضحايا أنفسهم- فإن مستر (زودياك) استطاع أن يجعل له بصمة واضحة في هذا المجال.. وأن يُخلِّد اسمه في كتب التاريخ لكن بأبشع الصور

الضحية الأولى: شيري جوبيتس.

بدايته الحقيقية كانت قبل ذلك بثلاث سنوات.. مع شابة جميلة تبلغ من العمر ١٨ عامًا فقط.



كانت «شيري جوبيتس» ترجو العودة إلى بيتها بسرعة، لتستطيع تلخيص الكتب التي استعارتها من المكتبة، لذا فقد أُصِيبتْ بخيبة أمل كبيرة حين رفضتْ سيارتها أن تصدر أي دليل على أنها تعمل.. وللأسف وقعت في الخطأ الشهير -والذي كان آخر أخطائها- لقد قبلت مساعدة رجل غريب ليلًا، وهي بعيدة عن بيتها.

«لكنه يبدو هادئًا ومسالمًا» هكذا قالت لنفسها حين عرض عليها هذا الرجل مساعدتها في إصلاح السيارة، ثم حين عرض عليها إيصالها إلى بيتها.. بالتأكيد كان هادئًا ومسالمًا في نظرها -بل وربما كان جذَّابًا!!- إلا أنها لم تعرف أنه كان مجنونًا.

ما هي إلا أيام قليلة حتى تمَّ العثور على جثتها، ورغم اعتياد رجال الشرطة على منظر الجثث، فإن أغلبهم لم يتمكن من إيقاف نوبة الغَثيان التي اجتاحتهم حين شاهدوا «شيري جوبيتس».. أو ما تبقى منها!!..

بعد شهر كامل من العثور على جثتها ممزقة بأكثر من عشر طعنات -أغلبها في منطقة الرقبة- وصل إلى الشرطة المحلية خطاب مكتوب بخط اليد، يحْوي شرحًا مُفصَّلًا من القاتل عن كيفية القيام بجريمته، ومدى استمتاعه بكل لحظة فيها!!.

وأُصِيبَ الجميع بدهشة لهذه الجرأة الغريبة، وأيضًا بسبب التوقيع الذي هو مَزِيج من حرف (Z) ورقـم (٢).



في نهاية الخطاب وجَّه القاتل بضع كلمات ما زالت عالِقة في أذهان كل من قرأها أو سمعها: «لقد كانت جميلة وصغيرة، لكنها الآن ميتة.. وهي لن تكون الأخيرة، وبينما تقرءون هذه الكلمات، سأكون أنا أُفكِّر في الضحية القادمة، والتي سيكون مصيرها أسوأ بكثير!!.. فأرجوكم لا تجعلوا الأمر سهلًا.. حذِّروا الجميع مني، وانشروا هذا الخطاب على الملأ ليُقدِّروا ما سيواجهونه.. إنني لست مريضًا، إنما أنا مجنون!!.. لذلك يجب أن تُصدِّقوا كل كلمة أُخبِركم بها... ».

بالطبع لم يُفكِّر أحد في نشر هذا الخطاب الشنيع خوفًا من انتشار حالة من الذُّعْر والاشمئزاز بين أهالي (سان فرانسيسكو)، إلا أن الصُّحُف نشرتْه بعد أيام قليلة مع استنكار شديد لِما جاء فيه.

لقد أرسل القاتل بنسخة إلى كل الصحف المحلية مع «رجاء خاص بنشرها».

ودار جدل شديد في الولاية حول مستر (Z) -كما أطلقوا عليه في البداية- إلا أن ذلك لم يستمر لأكثر من بضعة أيام نَسِيَ الجميع بعدها كل شيء، وبدأ الهدوء المعتاد يُخيِّم

على الأجْواء مرة أخرى

لكن يبدو أن (Z) لم يكتف بكل ما حدث؛ حيث أرسل رسالة إلى والديْ الفتاة بعد ٦ أشهر، لم تكن فيها سوى كلمات قليلة:

«لقد ماتت «شيري» لأنها كانت يجب أن تموت، وسوف يكون هناك آخرون»!!

الجريمة الثانية: «دافيد آرثر» و«بيتي لو».



في العاشرة من مساء ٢٠/ ١٢/ ١٩٦٨م -أي بعد أكثر من عامين- وفي الوقت الذي كان فيه «دافيد آرثر» و«بيتي لو» يستعدَّان لمغادرة سيارتهما، اقترب منهما مجهول وأطلق عليهما أكثر من ٧ رصاصات، اخترقت جميعها جسديْهما وأدَّت إلى وفاتهما على الفور..

وكسرعة القارئ الكريم لتلك الأحداث الماضية في الأسطر السابقة، تمت تلك الجريمة البشعة عندما وصلت سيارات الشرطة والإسعاف كان كل شيء قد انتهى، ولم يَعدْ هناك أي أثر للقاتل، وفرَك الجميع أعينهم استعدادا لعمل شاق للكشْف عن هُويَّته؟

لكن القاتل مستر (Z) لم يرضَ لهم بهذا الجهد!!.. حيث تلقَّت شرطة (سان فرانسيسكو) في اليوم التالي اتصالًا تليفونيًّا من شخص مجهول أخبرهم فيه أنه المسؤول عن الحادث، وأنه يتمنَّى ألا يكونوا قد نسوه، لأنه لن يغفر لهم هذا الإهمال أبدًا، ثم ختم حديثه بقوله: «إلى اللقاء ثانية قريبًا.. خذوا حِذْركم.. كان معكم مستر (Z) ».

وعرف بعض الموجودين ممن عاصروا القضية الأولى، أنه صديقهم القديم قد عاد إلى الظهور بنفس الطريقة المستفِزَّة.

وقبل أن يستوعبوا ما حدث، اتصل بهم ثانية في اليوم التالي وقام بإخبارهم بكل تفاصيل الجريمة الأخيرة، وكان ذلك حين أخبره أحد المحققين أنه لا يُصدِّق كونه الفاعل، وأنه ربما قد شاهد الجريمة فأراد أن تكون له الشهرة الإعلامية، وهنا صمت مستر (Z) قليلًا ثم شكر المحقق على تلك المعلومة، ووعده بتصحيح الخطأ في هذه المرة، وفي المرات التي تليها... وانتهى الاتصال التليفوني فجأة.

كان التصحيح الذي عناه (Z) غاية في البشاعة والسادية[1]، حيث عاد للاتصال بوالديْ «بيتي لو».. واستمع الوالدان عبْرَ عشرين دقيقة كاملة إلى أدَقِّ تفاصيل الحادث وهي تُحْكَى لهما بهدوء رهيب، حتى إن والدة الضحية لم تحتمل، وأُصِيبتْ بذبحة صدرية تمَّ على أثَرها نقْلُها إلى غُرفة العناية المركَّزة

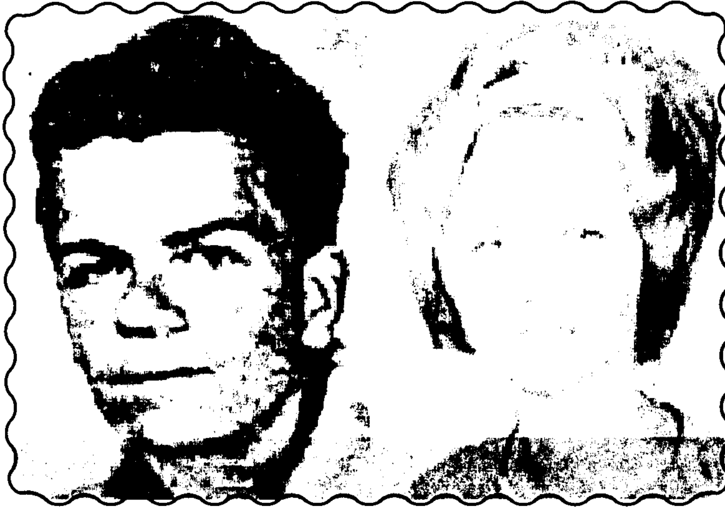
كان هذا أبلغ ردٍّ من مستر (Z) على تحدِّي المحقق له!!

لقد ذُهِل الجميع من تلك الأحداث، وبدءوا في العمل على قدمٍ وساق للقبض على هذا الشخص، إلا أن كل مجهوداتهم كانت تقف عند نقاط مسدودة، دون أيَّة معلومات حقيقية تساعدهم في البحث.. واستمر ذلك عدة أشهر، حين وقعت الجريمة الثالثة.

---

١ - مضى أن السادية: هي مذهب فِكْري يقوم على تحقيق اللّذة بتعذيب الآخرين.
أو هي شذوذ جنسيّ قائم على التّلذُّذ بإحداث الألم لدى الآخر طلبًا للتهيُّج الجنسيّ أو لإشباعه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» [ص/ ١٤٥٣] للأستاذ أحمد مختار عمر.

الجريمة الثالثة «دارلين إليزابيث» و«مايكل رينو»



كان ذلك في مساء ٥/ ٧/ ١٩٦٩م -عام التألُّق والنُّضْج- حين وصلت إلى الشرطة رسالة هاتفية تدلُّهم على «جريمة ثُنائية بأحد مواقف السيارات النائِية»؛ حيث وجدوا جثة كل من «دارلين إليزابيث» و«مايكل رينو»، وقد أصابتْهما أكثر من عشر رصاصات، أغلبها أيضًا في منطقة الرقبة.

ولم ينسَ القاتل أن يترك توقيعه المميَّز على السيارة لكي لا يقابله أحد «الاتهامات السخيفة بعدم المصداقية» مرة أخرى.

كانت صدمة عنيفة للجميع بعد أن ظنوا أنه قد توقف لسبب أو لآخر، لكنهم لم يعرفوا أن عام ٦٩ سيكون أكثر أعوامه ازدهارًا وتألُّقًا.. إلا فيما بعد.

وكما توقعوا اتصل مستر (Z) في اليوم التالي ليخبرهم بالتفاصيل، وبالطبع كانوا قد تعلَّموا الدرس، وفي هذه المرة كانوا مستعدين لتعقب المكالمة، إلا أن توصُّلهم إلى المكان الذي أُجْرِيَتْ منه المكالمة أصابهم بالغضب والضآلة!!.. كان ذلك من هاتف عمومي على بُعْد أمتار من مَقَرِّ الشرطة.

وبكل بساطة وصلت إلى الصحف في اليوم التالي خطابات من مستر (Z) تُعْلِن أنه من قام بالحوادث الماضية كلها، مع اعتذار لأسر الضحايا لأنه «فعل ما كان يجب عليه أن يفعله"». وذلك في نفس الوقت الذي وصل فيه إلى الشرطة خطاب يحْوي جدولًا به بعض حروف اللغة الإنجليزية، مع مرادفاتها من أشكال غريبة فيها بدا أنه جزء من شفرة!!.. وأخبرهم مستر (Z) في نهاية الخطاب أن الاسم الذي يجب أن ينادوه به مكتوب في نهاية الخطاب بهذه الشفرة.

يبدو أن مستر (Z) -والذي أصبح أشهر من نار على علَم في تلك الآونة- يمتلك قدرات جيدة بالفعل، حيث إن تلك الشفرة تحدَّت الجميع واستعصى حلُّها على الكل رغم الجهود المكثَّفة، بل ولم يتمّ حلّها إلا بعد اتصالٍ هاتفيٍّ جديد من القاتل، وهو يُبلِّغ عن جريمته الجديدة؟

وكانت المفاجأة!! إن مستر (Z) قد صنع سكّينًا خاصًّا للقيام بجرائمه على الوجه الأمثل، ولكيْ يكون المتحدِّث الرسمي باسمه بعد ذلك؟

الجريمة الرابعة: «بريان كالفين» و«سيسيليا آن».



وفي أول بيان لهذا السكين -الذي لم يجده المحققون أبدا، لكنهم استطاعوا وضْعَ تصوُّر له من خلال أشكال الجروح في الضحايا- في ٢٧/ ٢/ ١٩٦٩م، قام مستر (Z) باعتراض طريق اثنين من زوار (سان فرانسيسكو) وهما «بريان كالفين» و«سيسيليا آن» في أحد الطرق البعيدة عن العمران -كالعادة- وقام بسرقة أموالهما وسيارتهما، حيث إنه كان يحتاجها «للسفر إلى (المكسيك) على الفور» إلا أنه قبل أن يُغادر، لم ينسَ أن يترك عشر طعنات في جسد الفتاة، وسبعًا أُخريات في جسد الفتى، وغادر المكان مُسْرعًا قبل أن تصل الشرطة بُناءً على مكالمة هاتفية منه!

لكن مهلًا.. إنهما ليستا جثتين!!.. إنهما لا يزالان حَيَّيْن يجاهدان لالتقاط الأنفاس!

وعلى الفور تمَّ نقْلُهما إلى المستشفى، حيث قام الأطباء بكل ما في وسعهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، إلا أن «سيسيليا» لم تحتمِل ما أُصِيبتْ به من طعنات، وماتت بعد وصولها إلى المستشفى بساعتين، في حين استطاع «بريان» مقاومة الموت، وأصبح الآن للشرطة أقرب إلى كنْز قومي يجب الحفاظ عليه! لأنه الشاهد الوحيد الذي باستطاعته أن يرشدهم على هذا القاتل الغامض «مستر:Z »

دون الدخول في تفاصيل التحقيقات المملة نستطيع أن نقول إن فائدة «بريان» كانت محدودة إلى حد ما، حيث من الواضح أنه قد تعرَّض لضغط عصَبي ونفْسي شديديْن، جعلاه غير قادر على إفادة الشرطة بالطريقة التي كانوا يرجونها..

بل إن الاتصال الجديد من مستر (Z) أعطاهم معلومات أكثر قيمة عن كيفية وقوع الحادث..

كما أعطاهم مفتاحًا لحلِّ الشفْرة، وهو يُعْلِن عن خيبة أمله في عدم قدرتهم على حل «لعبة الأطفال» تلك!!.. كما أنه لم ينسَ في نهاية المكالمة أن يتمنَّى الشفاء لـ«بريان»، وطلب من الجميع معاملته بهدوء ورَوِيَّة، لأنهم «لا يعلمون مقدار ما مر به من مواقف صعبة ومؤلمة!! »..

الآن -وبعد أن زاد عدد الضحايا- توصَّل رجال الشرطة إلى الاسم الذي طلب أن ينادوه به.. إنه مستر «زودياك»!!.. عبيد الموت!

بعد شهر من هذه الأحداث قام مستر زودياك بجريمته الخامسة في تحَدٍّ صارخ للشرطة.. وأثارت جريمته الدهشة هذه المرة..

حيث قام بقتل سائق التاكسي (Paul Stain) البالغ من العمر ٢٩ عامًا..في ليلة السبت ١١ أكتوبر عام ١٩٦٩م..

كان لأول مرة يرتكب حادثا منفردا..فبعد أن وضع بعض المحققين بعض التصورات عن كون مستر (زودياك) الذي يقتل ضحاياه الآثمين الذين يمارسون الحب بعيدا عن الأعين..إذا به ينسف كل تلك الاحتمالات بقتْل (بول)..

أما (بول) ذاته فقد كان قتْلُه مثيرا للدهشة إلى أقصى حد..

كانت بُنْيتُه الرياضية القوية تُمكِّنه من الدفاع عن نفسه جيدا..حيث كان يمارس رياضة كمال الأجسام..

ولكن الطعنات المنتشرة في جسده وبالأخص في منطقة الرقبة كالعادة دلَّت على أن مستر زودياك قد استطاع مباغتته والقضاء عليه في لحظات..

وكان تصور الحادث كالتالي:

أشار (زودياك) إلى (بول) فتوقف له.. ثم أخبره بعنوان في (Maple Street) قُرْب مرتفعات (Presidio).. وهو مكان بعيد ومنعزل.. ثم أخرج سكينًا من طيَّات ملابسه وطعنه عدة طعنات في رقبته أسقطه قتيلا..

ولم يكتف بذلك..بل اقتطع جزءًا من قميص القتيل وغمسه في دمه ثم أخذه معه ونزل من السيارة وسار هادئا إلى أقرب منطقة مأهولة..

المثير أن ثلاثة أشقاء مراهقين شاهدوه من نافذة شقتهم وأبلغوا الشرطة..

والأكثر إثارة أن سيارة الدورية مرَّتْ به قُرْب مكان الحادث وهي متجهة إليه..بل واستوقفوه وسألوه عما إذا كان قد رأى أحد الأشخاص يتصرف بطريقة مريبة في هذا الشارع.. ولكنهم تركوه بعدها..فقد جاء ببلاغ المراهقين أن القاتل زِنْجي أسود اللون.. وكانوا يقصدون الضحية (بول)!!..

وعندما وصلت الشرطة إلى مَسْرَح الجريمة كان رفْعُ البصمات مستحيلا؛ ليس لأن التاكسي اختلطت بداخله مئات البصمات للركاب الذين دخلوا منه وخرجوا، ولكن لأن (زودياك) ترك قُفَّازه في مسرح الجريمة وكأنه يُخْرِج لسانه للجميع!!

والآن..ماذا كان ردُّ فعل الشرطة؟ في مشهد غريب جلس الجميع في مركز الشرطة في أماكنهم بدلا من البحث والتنقيب؛ انتظارا للمكالمة المتوقعة التي تحكي لهم كل التفاصيل!!..

إلا أنها لم تأت في ذلك اليوم، ووصل بدلا منها في اليوم التالي إلى الشرطة ومَقارّ الصحف خطاب يحتوي على كل شيء.. إلا أن مستر (زودياك) -الذي لم ينس نصيحة المحقق- أضاف إليه شيئا صغيرا..

لقد أضاف إليه القطعة التي اقتطعها من قميص (بول) وغمسها في دمه..بل إنه وصف لهم أوصاف رجلي الشرطة الذين استوقفاه!!...وختم رسالته بقوله:

«إنكم تعملون بشكل ساذج..لقد مشَطْتُم الحديقة المجاورة لمسْرَح الحادث اعتقادا منكم بوجودي فيها.. كان يجب عليكم أن تَمْشّطوا الطرق حول مسرح الحادث..لأن من البديهي أن أستدرج الضحية لمكان قد أعددْتُه مُسْبَقًا وتركت سيارتي على مقربة منه للفرار بها قبل وصولكم.. ولست أدري هل أنا الأذْكَى أم أنكم مجموعة من الخنازير الغبِيَّة؟..!!».

وهكذا طبَّقَتْ شهرة مستر (زودياك) الآفاق..وأصبح مادة لكل الصحف القومية في أمريكا بعد أن توالت الرسائل والمعلومات منه وفي ختام كلٍّ منها توقيعه الشهير

-الذي أصبح أشهر من المَزارات السياحية - وأصبح الكل يخاف أن يخرج من منزله بعد غروب الشمس إلا للضرورة القصوى، وكل واحد يشك في كل من حوله.. حتى تحوَّلتْ مدينة (سان فرانسيسكو) إلى بيت للأشباح..

وانتشر الرعب بين الأهالي.. وتم تحويل الكثير من ضباط الشرطة للتحقيق بدعوى التقصير، تمهيدًا لإحالتهم للتقاعد أو للأعمال الإدارية..

وتم إسناد القضية لطاقم من أكفأ رجال المباحث الفيدرالية لمعاونة الضابط المسؤول عن القضية (Tomas Melvin).. مع تجنيد كافة الإمكانيات لهم..

بل وفكرت السلطات في تغيير حاكم الولاية ذاته نتيجة القصور الأمْني في ولايته.. باختصار..لقد جَنَّدَت الولايات المتحدة كل إمكانياتها لملاحقة مستر (زودياك) وتقديمه للعدالة.. فماذا حدث؟؟

مع اقتراب العام الجديد ووسط احتفالات صغيرة محدودة في الولاية وصل إلى منزل المفتش (مالفين) في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م. خطاب جديد مكتوب عليه من الخارج «عاجل وخطير إلى المفتش المسؤول عن قضية (زودياك) القاتل».. وفي الداخل كان الخطاب بسيطا ودون أيّة إضافات:

«عزيزي مالفين.. (زودياك) يتحدث.. أرجو أن تكون مُسْتمتعًا باحتفالات العام الجديد..والتي أظن أنها ليست في روعة كل عام.. إلا أنها لا بأس بها..!! هناك شيء أريد أن أطلبه منك بمناسبة العام الجديد، ولْنَقُلْ إنه هدية منك!!.

أرجوكم ساعدوني..!! إنني لا أستطيع التوقف لأن ذلك الشيء بداخلي لا يتركني أبدا أتوقف، بل إني أجد صعوبة شديدة في التحكُّم بنفسي والتوقف عن قتْل الضحية التاسعة.. وربما العاشرة أيضا.. إني أغْرق.. بل إني أفكر في تفجير حافلة مدرسة كاملة هذه المرة ولا أعرف كيف أُوقِف هذه الأفكار اللعينة!!.. أرجوكم ساعدوني لأني لا أستطيع التحكُّم في نفسي أكثر من ذلك».

وفي نهاية الخطاب تألَّق توقيعه..الذي صار أسوأ كوابيسهم على الإطلاق..ومع الخطاب كانت هناك بطاقة مُعَايدة بمناسبة الكريسماس!!..

ومعه كان رسْمٌ كُرُوكِيٌّ لآلة تفجير مكتوب تحتها: أنه سيستخدمها عند تفجير الحافلة المدرسية..وقال: إنه يُخزِّنها في قَبْوِ منزله..بل إنه شرح لهم كيف حصل على أجزائها من الأسواق..وكيفية استخدامها أيضا!!..

وبجوارها وضع رسمًا كروكيا آخر لسكين صغير ذي نَصْلَيْن مكتوب تحته: أنه تُحْفَتُه الفنيَّة التي صنعها بنفسه لاستخدامها في قتْل الضحايا..!!

وأُصِيب الجميع بالإحباط.. وساد الذُّعْر بينهم مع كل التوقعات العشوائية التي كانوا يحاولون من خلالها معرفة مكان الضربة القادمة، وانتشر الخوف كالنار في الهشيم..

وتمَّ تدريب سائقي الحافلات المدرسية على كيفية التصرف حال تعرُّض الحافلات للخطْف أو إطلاق الرصاص.. ووزِّعَتْ عليهم صورة تقريبية لمستر (زودياك) بناء على الأوصاف التي أدْلَى بها الأشقاء الثلاثة وأفراد سيارة الدورية الذين كانوا آخر مَنْ شاهدوه..

ومرت عدة أشهر دون أن يضرب مستر (زودياك) ضربته..لكنهم كانوا يعرفون أنه بينهم في كل مكان وأنه فقط يستعد.. وبالفعل لم يستطع مستر (زودياك) التوقف طويلا..

ففي ليلة ٢٢ مارس عام ١٩٧٠م..وقفت السيدة (Kathleen Johns) البالغة من العمر ٢٣ عامًا في الطريق السريع بجوار سيارتها المعطلة تُشير إلى السيارات المُسْرِعة لعل إحداها تعْطِف على حالها..

بالطبع كان يجب مستر (زودياك) أن يكون هناك.. وبالطبع كان يجب أن يتوقف لها ويعرض عليها المساعدة بتهذيب.. وبالطبع أيضا كان يجب أن تستقل سيارته..

وحملتْ (كاثلين) طفلتها الرضيعة التي كانت تصطحبها معها في السيارة معها

وركبت سيارته.. وأخبرتْه برغبتها في عدم إرهاقه معها..إذ يكفي أن يُوصِّلها لمحطة (Richfield) القريبة لتصليح السيارات..وهناك تصطحب أحد الفنِّيين من هناك وتعود به لإصلاح سيارتها.. كانت تقول ذلك كمجاملة منْعًا لشعورها بالإحراج..

ولكن أصابتْها الدهشة عندما وافق هو بلا تردد.. اختلط عليها الأمر بين مودَّته في عَرْضه بتوصيلها في البداية..وبين موافقته الآن..وقالت في نفسها: «ربما لم أرُقَ له خاصة في وجود صغيرتي..ولكن ليس هكذا يفعل الرجال المهذَّبون..».

ولكنها في النهاية لم تجد بُدًّا من قبول عَرْضه وركوب سيارته.. وفي السيارة جلس مستر (زودياك) صامتا وكان يَحْدِق في الطفلة بين الحين والآخر.. ثم بدأ الشك يدُبُّ في قلب (كاثلين) حين مرَّت أكثر من محطة دون أن يتوقف عند إحداها.. تفكرت أنه يريد أن يغتصبها..وبدا لها هذا الاحتمال معقولا خاصة مع لهْفته على ركوبها سيارته بأي طريقة..

وحين تمالكت نفسها وسألته لماذا لم يتوقف أجابها بأن «الوقت لم يحِن بعد»!!..

حينئذ أصابها الانهيار وهي تتذكر كل الحكايات المُريعة التي كان الجميع يُحذِّر بعضه البعض منها، لكنها كالعادة كانت تقول لنفسها «هذا يحدث للآخرين فقط»!!.. لكنها الآن أدركت وأعصابها تتفتَّتْ أنه «يحدث لها الآن».. وغاصت (كاثلين) في مقعدها أكثر وهي تحتضن طفلتها ولا تعلم ما الذي سيحدث لها..

بعد ساعة ونصفٍ من التجوال بلا هدف وقفت السيارة إلى جانب الطريق بالقرب من مدينة (Tracy).. ولعدة دقائق لم يتحدث أحدهما بكلمة، في حين ارتفع بكاء الطفلة وكأنها أحسَّتْ بما تُعانيه والدتُها..

ولم تحتمل أعصاب (كاثلين) كل هذا الضغط العصبي فانفجرت تصرخ بهستيرية شديدة، ثم فجأة فتحت الباب المجاور وانطلقت في سرعة البرْق إلى الغابة المجاورة للطريق.. وللحظة وسط صراخها نظرت خلفها وهي تتوقع رؤية ذلك الوحش على بُعْد خطوات منها.. إلا أنه كان لا يزال بداخل السيارة دون حتى أن يلتفت إليها، وبعد خمس دقائق

أضاء أنوار السيارة وانطلق بها لا ينظر خلفه.. في حين وصلت (كاثلين) إلى أقرب مكان به ناس.. وهناك أُغْمَى عليها..

وعندما أفاقت بعد دقائق حكَتْ ما حدث لمن حولها، فقاموا بالاتصال بالشرطة.. وفي الوقت الذي كانت فيه قوة من الشرطة تتجه إلى مكانها كان مستر (زودياك) يبعث برسالة إلى المفتش (مالفين) المسؤول عن قضيته يقول له فيها:

«عزيزي مالفين.. (زودياك) يتحدث.. منذ قليل كانت معي سيدة وطفلتها الرضيعة.. لا تخف.. لم أقتلهما!!.. لقد منعني بكاء الطفلة.. لكن يجب أن تكونوا أكثر حذرا ولا تدعوا الأمور تسير بهذه البساطة في المرة القادمة إن ذلك لا يجعل الأحداث مُمْتعة على الإطلاق!!.

آه..كِدْتُ أنسى..لقد عَدَّلْتُ خُطَطي المستقبلِية.. الأطفال لا يستحقون القتل.. سأستخدم آلة التفجير في نسْف أحد مقارّ الشرطة..ربما يكون مقركم هذا..وربما يكون غيره..لا أستطيع الجزْم الآن.. ».

ثم أعقب رسالته كالعادة بتوقيعه الكئيب..

وبالطبع..تمت إحاطة (كاثلين) بجيش خاص من الحُرَّاس ورجال المباحث لحمايتها من أي محاولة قتْل.. وأيضا لحمايتها من تَطفُّل الصحافة.. واعتبر الجميع أن شهر مارس من عام ١٩٧٠م. سيشهد الفصل الأخير من مأساة (زودياك).. لكن ما حدث كان يكفي ليفقد الجميع عقولهم تمامًا!!..

فلم يقم مستر (زودياك) بأي محاولة لقتل أو اختطاف المرأة التي باتت الآن تعلم شكله وأوصافه ويُمكنها أن تُقدِّمه للعدالة.. وفي نفس الوقت لم تكن هناك أيَّة استفادة تُذْكَر من تلك الشاهدة.. حيث إن الأوصاف التي أفادت بها (كاثلين) كانت غير مستقرة وغير كافية!!.. بل إن أقوالها خلال التحقيقات تضاربت حول التوقيت وأوصاف السائق أكثر من مرة.. وخضعت (كاثلين) لبعض التحليلات الطِّبِّية بأمْر الشرطة..

وأثبتت تلك التحليلات أنها مدمنة كحوليات..وأن إدمانها للكحوليات أثَّر على ذاكِرتها وتركيزها، وبذلك أصبحت شهادتها بلا قيمة ولا يُعْتدُّ بها، ولا يُمْكن الاعتماد عليها.. كما كان من الواضح أنها تعرَّضتْ لانهيار عصبي رهيب..انتهى بإيداعها بالفعل إحدى المصحَّات العقلية لفترة طويلة بعد ذلك..

والآن أصبح لدى الشرطة - طِبْقًا للشهود- رسما توضيحيًا لثلاثة أشخاص يختلفون عن بعضهم البعض تمام الاختلاف!!. مما جعل أيَّ أمل في العثور على المتهم يكاد يتبخَّر.. وبدا (زودياك) وكأنه شبح لا يمكن الإيقاع به أبدا!!.. وأصيب الجميع باليأس..

لقد كانت قوة الحرب النفْسية التي يَشُنُّها مستر (زودياك) على ضحاياه أقوى مما يمكن أن يتخيَّله أي أحد!!. وإذا كانت هذه هي الحالة النفسية والعقلية لـ(كاثلين) التي لم يمسَّها مستر (زودياك) على الإطلاق فلَنا أن نتخيل الحالة النفسية التي كان عليها باقي الضحايا.. لقد كان الخوف هو اللعبة التي يُجِيدها مستر (زودياك)..

لكن مستر (زودياك) لم يترك رجال الشرطة يَنْعَمون بالوقت الكافي لترتيب أوراقهم وأفكارهم.. فبعد شهر واحد ارتكب جريمته السادسة! حين أطلق الرصاص على ضابط المرور (Richard Radetich) حين حاول الأخير أن يُحرِّر له مخالفة مرور عليه!!.. هكذا أصبحت المُحصِّلة ثمانية قتلى وحالتين نفْسيتين مُعقَّدتَيْن.. وحالة من الرعب الأسود الذي غطى مدينة (سان فرانسيسكو) كغُيُوم ملعونة لم يَبْدُ أنها على استعداد للرحيل!!..

وسئم الجميع تلك اللعبة التي أصبحت بالنسبة لهم أشبه بكابوس رهيب لا يمكنهم إيقافه.. لكن الكابوس توقَّف!!..

هكذا فجأة.. كانت جريمة قتل مستر (زودياك) لضابط المرور آخر الحوادث المسجَّلة باسمه في سجلات المباحث الفيدرالية..ولأشْهُر طويلة كان الجميع في انتظار الضحية التالية..ولكن تلك الضحية لم تأت أبدا..

لكن المثير أن رسائل مستر (زودياك) إلى الشرطة والصحف المحلية لم تتوقف حتى عام ١٩٧٨!! حين كانت آخر مرة يسمع فيها أحد شيئًا عنه.. وكانت رسائله تُناقِش بعض قضايا المجتمع!!...

مثل تلك الرسالة التي أرسلها في ٢٩ أبريل ١٩٧٠م. والتي قال فيها: «إذا أردتم أن أتوقف فعليكم تشجيع الناس على شراء المُنتجات الوطنية من الملابس وغيرها.. أريد أن يرتدي الجميع ملابس أمريكية الصُّنْع..حتى الأزْرار أريدها أمريكية!!... ».

ثم أتبعها برسالة أخرى في ٢٦ يونيو ١٩٧٠م. قال فيها:

«لم تقوموا بما طلبْته منكم..لقد أثَرْتُم غضبي..يبدو أنني سأعود للقتل مُجدَّدًا.. وعليكم انتظار الضحية الجديدة...أكتب لكم خطابي هذا مُتكئًا على حافلة إحدى المدارس..ولولا أن الوقت صيفٌ والحافلة فارغة لقُمْت بتفجيرها الآن.. ».

ثم بعث رسالة أخرى في ٢٤ يوليو ١٩٧٠م. قال فيها:

«أنا مسرور لأن الناس بدءوا يرْتَدُون الملابس الوطنية..لذلك عندي لكم خبَر سار..

لقد حصَلْتُ على قائمة بأسماء المطلوبين للعدالة..كتُجَّار المخدرات والقتَلَة وغيرهم، وسأقوم بتعقُّبهم والقِصاص منهم بطريقتي.. أما الشباب المُدْمِن فعليكم تحذيرهم..فهم ليسوا ببعيدين عن مرْمَى طعناتي.. ».

بل إنه كان يناقش الأحداث السياسية.. فقد علَّق في خطاباته تلك على معاهدة (باريس) التي وُقِّعَتْ بين (الولايات المتحدة) و(فيتنام) عام ١٩٧٣م..

كما علَّق على الحروب التي كانت دائرة في جنوب (لبنان) في ذلك الوقت.. بل إنه أرسل رسالة في ٨ يوليو ١٩٧٤م. ينتقد فيها تصرُّفات عُمْدة (سان فرانسيسكو) (Marco Spinelli) ويتهمه بأنه يُعاني من اضطرابات نفسية تُؤثِّر على قراراته، مطالبا

السلطات بتنْحِيته لأنه لا يصلح لهذا المنصب!!...

أو حتى كان يناقش آخر الأفلام السينمائية!!..

حتى إنه في عام ١٩٧٤م. بعث برسالة إلى الصحف يقول فيها إن فيلم «طارد الأرواح الشريرة» (Exorcist)– وهو أحد أروع أفلام الرعب في التاريخ – ما هو إلا «كوميديا هزْلية»!!..

ثم أرْفَق كلامه هذا بطلب رقيق بتحويل قصته إلى فيلم سينمائي، مؤكدا أنه سيكون أكثر رُعْبًا بالتأكيد..وسيُحقق النجاح والثراء للقائمين عليه!!..

وكذلك تعليقه على فيلم (الأراضي الوعرة) (Bad Lands) الذي لم يُعْجبه فيه قسوة رجال الشرطة في التعامل مع المشتبه فيهم، مطالبا إياهم بأن يكونوا أكثر عطْفًا على الناس وأكثر لُطْفًا في التعامل!!..

كما انتقد العادات اليابانية التي يدفعون فيها الخاسر للانتحار!!...

وطيلة تلك الفترة لم ينس مستر (زودياك) إرسال بطاقات مُعايدة لمقرِّ الشرطة والصحف المحلية مع كل احتفال بـ «الهالوين» أو بـــ «الكريسماس» وبداية العام الجديد..

السؤال الذي يراود أذهان كل من قرأ هذا المقال الآن بالطبع هو: هل تم القبض على مستر (زودياك)؟!..

الحقيقة أنه على الرغم من وجود العديد من الأوصاف له..بل ووجود عِدَّة بصمات يُشْتَبه في أنها تخصُّه..إلا أنه لم يتم القبض عليه حتى الآن!!..

وبالرغم من أن السلطات قامت بالعديد من الجهود المُضْنِية في البحث حتى وصل بهم الأمر لتحليل نوْع الورق..ونوع الحِبْر المكتوب به الخطاب لمعرفة مصدر إنتاجه وتوزيعه، لعل ذلك يفيدهم بشيء..

بل إنهم تعدُّوا ذلك لتفنيد كلمات الخطابات ذاتها بواسطة خبراء اللغة.. وتوصلوا إلى أن تلك الرسائل تُرْسَل من أماكن عديدة..ولكن كلها داخل (سان فرانسيسكو) ولكن ذلك لم يُوصِّلهم لشيء..

بل إن شرطة (ريفرسايد) تلقَّتْ رسالة من أحد المُحققين الهُواة في ٣١ أكتوبر ١٩٧٠م. جاء فيها عرْض لأوجُه الشبَه بين جريمة قتْل الضحية الأولى (شيري بيتس) وفتاة أخرى قُتِلتْ بذات الطريقة مساء عيد «الهالوين» قبل ذلك بسنوات..

وبجِمْع التحريات زاد التخبُّط..

بالفعل بدت الجريمتان متشابهتين في كثير من التفاصيل مما يُوحِي بأن القاتل واحد.. وبالعودة إلى السجلات تبيَّن القبض على مرتكب الجريمة السابقة وإيداعه السجن.. وكان متواجدا بالسجن وقت ارتكاب مستر (زودياك) جريمته تلك..وتمَّ تفسير الأمر على أن مستر (زودياك) اقتبس فكرة جريمته من خلال قراءته لتفاصيل تلك الجريمة في الصحف..

إن من الواضح أن مستر (زودياك) قد أجاد الاختفاء والابتعاد عن عيون الشرطة.. خاصة أنه على عكس كل القتلة المُتَسلْسلِين الذين عرفهم التاريخ، لم يكن يَتْبَع أيَّة قاعدة في اختيار ضحاياه، مما جعل توقُّع خطواته التالية أمرًا أشبه بقراءة الفنجان أو التنجيم!!.. وإذا أضفنا لكل ذلك قِيامه بجرائمه بوجه مكشوف..ووجود شهود من ضحاياه ممن نجوا من الموت على يديه..وتحدِّيه السافر لرجال الشرطة..بل ولكافة سلطات الولايات المتحدة التي جُنِّدَتْ كلُّها ضده لأمكننا أن نقول بكل ثقة إن جرائم مستر (زودياك) تستحق أن يُطْلَق عليها ذلك اللقب المثير: **«الجريمة الكاملة»**.

واليوم لم يعُدْ مستر (زودياك) أكثر من ذِكْرَى سيئة لكل من عاش في تلك الفترة بينما تحول إلى مادة عِلْمية وأدبية كما أسلفت -خاصة لسكَّان (سان فرانسيسكو)-.. لقد ظهرت مئات الكتب والتحليلات التي تتناول جرائم هذا القاتل وتُحلِّل نَفْسيته.. والتي لم يخْلُ البعض منها من الإعجاب بقدراته وتأثيره النفْسي الذي كان يُؤهِّله

- كما قال أحد الكتاب - لأن يُصبح أحد أبرز القادة العالميين تأثيرًا في البشَر لو كان يحكم دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الأمر الذي لم يتوافر له للأسف!!! بقِيَ أن نعلم شيئا واحدا؟ وهو لماذا فعل مستر (زودياك) كل ذلك؟؟

إن الأمر لم يكن بدافع العنف للعنف، أو لمجرد إرضاء شهوة عارمة أو حتى للسرقة.. لكن مستر (زودياك) شرح دوافعه لارتكاب كل تلك الجرائم في آخر خطاباته إلى الشرطة حيث قال:

«أنا أُحِب قتْل الناس لأن ذلك شيء ممتع!!.. بل إنه أكثر إمتاعًا من صيد الحيوانات البَرِّيَّة في الغابات.. فالإنسان هو أكثر الحيوانات على وجه الأرض خطورة وشراسة ويحتوي على العديد من الأمور التي تزيدني خبْرة في الحياة!! .. أنا لم أغادر (سان فرانسيسكو).. ولن أغادرها أبدا..سأبقَى هنا معكم!

لكنْ أفضل ما في الأمر هو أنني حين أموت وتُولَد رُوحي من جديد في الجنة فإن كل مَن قَتَلْتُ سيُصْبِحون عبيدًا لي.. لذلك فأنا لن أخبركم عن اسمي أو هُوِيَّتي.. سأخبركم فقط بأني قد اكتفيت بمَنْ قتلتُ..ونجحْت في تكوين تلك المجموعة من العبيد.. عبيد مستر «زودياك»...(١)

---

١ - نقلا -مع التصرُّف- عن الموقع الشهير (Nightmare) بتاريخ (٣ / ٢ / ٢٠١٢ م). والموقع العالمي: «Wikipedia, the free encyclopedia». تحت عنوان (Zodiac Killer) وعدة مواقع أجنبية أخرى مثل: (The Zodiac Killer) و (zodiackiller.com) و (Zodiac ٢٠٠٧ (IMDb)).

١٥ جيري برودوس

سفاح نساء أوريغون



كان للأحداث السياسية المؤسفة في أمريكا خلال فترة الستينيات من القرن الماضي الأثر الأكبر في تدهور الأوضاع الاجتماعية هناك، حيث تزامنت تلك الفترة مع الحرب الأمريكية في فيتنام، وكذلك حوادث الاغتيالات التي عصفت بعائلة «كندي» ذات الشعْبية الأكبر في الوسط السياسي وعامة الشعب.

وكانت هذه الفترة بما فيها من أحداث مؤسفة بيئة خصبة لِولادة الكثيرين من القتلَة المُتسلْسِلين، والتي اشتهرت من خلال أفظع الجرائم التي من الممكن أن تُرْتَكَب بحق الإنسانية.

الشجاعة تنقذ ضحية من براثن الوحش.

وهنــا سنتذكر أحد هؤلاء القتلة من تلك الفترة والذي أفـزع مواطني وسكان

ولاية «أوريغون» الأمريكية. حيث بدأ الكابوس في الحادي والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٦٩م، حيث كانت «شارون وود» وهي سيدة تبلغ من العمر ٢٤ عامًا تَهُمُّ بمغادرة مَقرّ عملها كسكرتيرة بـ: «بورتلاند» لملاقاة زوجها وترتيب إجراءات الطلاق.

وعند وصولها لمكان سيارتها المركونة في مواقف الطابق الأسفل أحسَّتْ بوجود شخص يتبعها، ولكنها لم تشاهد أحدًا وفجأة رأت شخصًا غريبًا على كتفها فيما كانت تحاول فتْح باب السيارة، فالتفتت سريعًا لتجد شخصًا قصيرًا بعض الشيء وممتلِئ الجسم يحاول الاعتداء عليها.

ولكن هذا الشخص الغريب تفاجأ بالمقاومة الشرسة التي أبدتْها «شارون وود» حيث قاومت بكل قواها للإفلات من بين براثِن هذا المجرم حتى فرَّ هاربًا لخوفه من أن يسمع أحدهم صوت صرخات «شارون وود» وينكشف أمره.

وفي اعترافات السيدة لأفراد الشرطة الذين حضروا لمعاينة مكان الحادث قالت: إن الشخص الذي اعتدى عليها كان شخصًا مُمْتلِئًا أزرق العينين، وله وجه مِليء بالنَّمَش. ولم تكن «شارون وود» تعلم بأنها كانت من أكثر النساء المحظوظات، حيث نجَتْ من أن تكون الضحية الأولى لأعنف السفاحين الأمريكيين.



السيدة شارون وود

وفي خِضَمِّ المشاكل التي كانت تُعانيها أمريكا من المظاهرات التي تُندِّد بالحرب الأمريكية الفيتنامية لم تهتم الشرطة اهتمامًا كبيرًا لهذه الحادثة، واعتبرتْها قضية عابرة لا تُضاهِي المشاكل الأخرى التي تواجهها الولاية. ولم يتوقع المحققون بأنهم أثناء أخذ أقوال «شارون وود» في الأيام الثلاثة الأولى عقب الحادثة أن ثلاث نساء قد لفظن أنفاسهن على يدي هذا المعتدي.

الوحْش يرْوِي عطَشه وهوسَه بفريسته الأولى

قبل حادثة «شارون وود» بعام تقريبًا وتحديدًا في عام ١٩٦٨م. كانت فتاة شابة تُدْعَى «ليندا سلاوسون» تعمل كمندوبة مَبيعات لشركة كُتُب محلية، وكان عملها يفرض عليها البيع مَيْدانيًا، حيث تقوم بالتجوُّل في الأحياء وطرْق أبواب البيوت محاولة منها لترغيب الأهالي بشراء السِّلَع التي تعْرِضها.

وكانت «ليندا» تسعى لجمْع المال الكافي لدخول الجامعة وإكمال دراستها وهي في ربيعها التاسع عشر. وأثناء قيامها بعملها الروتيني اليومي اختفت «سلاوسون» فجأة ودون أثَر لها، ولم تُفْلِح محاولات الأهالي والسلطات المحلية في معرفة الأسباب الحقيقية وراء اختفاء سلاوسون.



صورة الضحية جاين ويتني



صورة الضحية كارين سبرينكلير

وفي شهر نوفمبر من العام نفسه وبالتحديد في اليوم السادس والعشرين، اختفت «جاين ويتني» وهي سيدة تبلغ من العمر ٢٣ عامًا في ظروف غامضة، عندما كانت في طريقها للمنزل لحضور مناسبة خاصة مع أفراد عائلتها. وقد وُجِدَتْ سيارتها على الطريق السريع بجانب إحدى محطات الاستراحة، وكانت مُقْفَلَة ولم يَبْدُ على معالمها الداخلية وجود نزاع بينها وبين خاطفها.

وآخر ما توصَّل إليه المحققون هو أن «جاين» قد أقفلتْ سيارتها التي تعطلت، وقبِلتْ بعرْض توصيل من أحد السائقين، ولكن السؤال هنا هو من الذي قام بتوصيل جاين؟ وهل هذا السائق له علاقة بالاعتداء الذي تعرضت له السيدة «شارون وود»؟؟

مرَّتْ أربعة أشهر منذ اختفاء «جاين ويتني» لِيُصْدَم المجتمع بحادثة اختفاء أخرى، هذه المرة كانت «كارين سبرينكلير» البالغة من العمر ١٩ عامًا والتي لم تحضر إلى موعد الغداء المقرر مع أمها في أحد مطاعم المدينة، وشُوهِدَتْ لآخر مرة وهي تخرج من الكلية متوجهة إلى المطعم.

وكان شهود عِيَان في المنطقة قد قاموا بوصْف شخص غريب في المنطقة، وكانت مواصفاته شبيهة بالمواصفات التي تلقَّتْها الشرطة من شهود آخرين للأحداث السابقة.



صورة الضحية ليندا سالي

وبعد شهر شهدت مدينة «بورتلاند» حادثة اختفاء أخرى كانت ضحيتها هذه المرة «ليندا سالي» ٢٢ عامًا والتي اخْتُطِفَتْ من مُجَمَّع تُجاري كبير بوسط المدينة، حيث لم تحضر للعمل في اليوم التالي، ولم تَعُد للبيت مما حدَا بأهلها لإبلاغ الشرطة باختفائها.

وكانت الشرطة محتارة ما إذا كان الفاعل هو الشخص نفسه في حوادث الخطْف الأربعة، وأثناء تخبُّط المحققين دون وجود خيْط ملموس في القضية للبدء منه، وفي محاولة منهم لِرَبْط الحوادث تبعًا لزمن وقوع كل حادثة، أسعفهم اتصال أحد المواطنين ليخبرهم بدليل يفوق بكثير ما كانوا يتوقعون الحصول عليه.

اكتشاف الجثة الأولى لضحايا السفاح

الصدفة المحضة وأثناء تمتُّع أحد الصيادين بهوايته المفضَّلة على نهر «لونق تيم» بجنوب «أوريغون» شاهد وجود بقايا جثة بشرية مُتحلِّلة تتلاعب بها الأمواج، فقام بإبلاغ الشرطة التي استجابت لهذا الاتصال بأقصى سرعة لتجد أمامها جثة مُتحلِّلة لفتاة، وقد رُبِطَتْ بِمُحرِّك سيارة لإبقائها تحت الماء ومنْعها من أن تطْفُوَ على السطح، وكانت مربوطة بحَبْل من النايلون، وقد لاحظوا وجود عُقْدة لها شكل مميز، وكأنها

وُضِعتْ عمدًا كرمْز خاص لهذا المجرم.

ونظرًا للمُعدَّات والأدوات التي اسْتُخْدِمتْ لربْط الجثة توقَّع المحققون بأن يكون القاتل كهربائيًّا متخصصًا. ونظرًا لسوء حالة الجثة وصولها إلى مرحلة متطورة من التحلُّل لم يتمكن المحققون من التعرُّف عليها، ولكن بفضْل الملفَّات التي كانت بحَوْزتهم تمَّ التعرُّف على الجثة عن طريق الأسنان، حيث تطابقت الأشعة الخاصة بأحد الضحايا مع أسنان الجثة المُكْتَشَفة، وبات من المؤكد بأن الجثة تعود إلى «ليندا سالي».

وتوقَّع المحققون أن يجدوا المزيد من الجثث، فأمروا بتفتيش النهر حيث اكتشفوا وجود جثة أخرى، وهذه المرة تبيَّن أنها «كارين سبرينكلير» فاستمروا في البحث ولكن دون أن يجدوا جثَتيْ الضحيتيْن المتبقيَّتيْن.

وتوقع المحققون أن من قام بهذا الفعل لا بد أن يكون رجلًا قويًا أو مجموعة رجال، حيث إن المُعِدَّات التي رُبطتْ بالضحيتيْن لإبقائهما تحت الماء. لقد كانت ثقيلة جدًّا ومن الصعب على شخص بمفرده أن يحملها، ونظرًا للمعلومات التي لديهم عن «كارين» قرروا بَدْءَ التحقيق في الجامعة التي كانت تدرس بها وهي جامعة ولاية «أوريغون».

وفيما كان المحققون يستجوبون الطلبة لاحظوا تكرار رؤيتهم لشخص أحمر الشعر بنفس المواصفات السابقة لديهم، حيث كان يتجوَّل في الجامعة ويضايق الفتيات، وبهذا تأكد المحققون بأنهم عثروا على الرجل المنشود، وعلموا فيما بعد أن هناك فتاة تتعرض للتحرش من هذا الشخص عن طريق الهاتف، حيث كان يُلِحُّ عليها في مقابلته، وحينما توصلوا لهذه الفتاة اتفق المحققون معها أن تُوَاعِده في مكان مُعيَّن لِيتمَّ القبض عليه، فوافقت الفتاة وتمَّ القبض على المُشْتَبه به مُتلبِّسًا، وجُرَّ إلى قسم الشرطة للتحقيق معه من قبلهم وبعض أفراد مكتب التحقيق الفيدرالي.

التحقيق مع المجرم.. وكشْف الحقائق

كان الشخص الذي تم القبض عليه يُدْعَى «جيري برودوس» المولود في ٣١ من يناير

سنة ١٩٣٩م. بولاية «داكوتا» الجنوبية و«برودوس» هو الأخ الأصغر لأخويْن ذكريْن، ومنذ ولادته كانت أمه تكرهه وتنْقُده في تصرفاته.

حيث إنها كانت تتمنَّى أن تحظَى بفتاة فنالت هذا الابن الثالث مع بقية إخوته إلا أن امتعاضها من «برودوس» كان شديدًا مما جعل «برودوس» يُعاني من اضطرابات جِنْسية متطرِّفة في تصرُّفاته وصار مهووسًا بالملابس النسائية الداخلية والأحذية النسائية وغيرها من الأزياء، وقد كشفته أمه في أكثر من موقف وهو يرتدي هذه الملابس، ولعلها رَدَّة فعل من هذا الفتى لكي يتقرب من أمه التي تكرهه أحيانًا كثيرة.

وقد كبَر «برودوس» مع هذا الشعور، وقد كانت له سوابِق في الجِنْس المتطرِّف من قبل، حيث اكْتُشِفَ وهو في السابعة عشرة مع فتاة في السادسة عشرة وهو يعتدي عليها جنسيًّا وجسديًّا في مَقَرٍّ سِرِّي كان قد كوَّنه في صُغره، فأدخلوه في مَصحَّة عَقْلِية، ثم أخرجه الأطباء بعد سنتين دون أن يجدوا فيه عِلَّة تُذْكَر، وكان جوابهم الوحيد آنذاك أن «برودوس» لم يبلغ بعد.

وعند العودة لمكتب التحقيق بمقرِّ شرطة «بورتلاند» تفاجأ المحققون بهدوء أعصاب «برودوس» عندما كان يشرح لهم طريقة اعتدائه واغتصاب ضحاياه وتقطيع بعض أجزاء من أجسادهن للاحتفاظ بها! فقد قام بقطْع رِجْل إحْدى الضحايا من الركبة لكي يداعبها ويقوم بتجريب مُوديلات مختلفة من الأحذية عليها.

وشرح لهم كيف كان يخدع ضحاياه ويستدرجهن إلى ورشة العمل الموجودة في الحديقة الخلْفية لمنزله، وكيف استطاع فِعْل هذا العمل الشنيع دون معرفة زوجته وولديْه الذين كانوا على بعدِ أمتار من مَقَرِّ مشرحته الدموية، كما اعترف بأنه احتفظ بصدر بعض الضحايا الأُخْرَيات لمجرد المُتْعة.

وخلال اعترافاته لم يعترف قط وحتى يومنا هذا بمكان الجثتيْن الأُخريَيْن المختفيتيْن لكلٍّ من «ليندا سلاوسون» و«جاين ويتني» واكتفي فقط بشرْحه طريقة قتْلِهما وتعذيبهما.

وقد صُدِم المحققون ببرودة أعصابه أثناء الاعترافات، وبأنه لم يندم على فِعْلته، ونَدَمُه الوحيد هو فَقْدُه للعيش مع زوجته وولديْه.

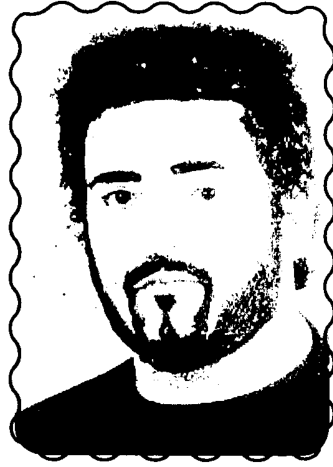
وأثناء محاكمته ادَّعى «برودوس» الجنون وشدَّد محاميه على أنه يُعاني من اضطراب نَفْسي شديد وانفصام في الشخصية بسبب الأحداث التي تعرَّض لها في صِغره، لكن القضاء حكم في النهاية عليه بثلاثة أحكام بالسجن المؤبَّد.

ورغم محاولاته المتكرِّرة مُؤْخَّرًا والتي تتلخَّص في إطلاق سراحه حيث يدعي بأنه أصبح مواطنًا لا يشكل خطرًا على المجتمع وهو في السادسة والستين من العمر، إلا أن لَجْنة إطلاق السراح المشروط لم تستجب له، وقُوبِل قرارهم بالترحيب من قِبَل مواطني «أوريغون» وتحديدًا سكان مدينة «بورتلاند» الذين لم ينسوا الفظائع التي ارتكبها رغم السنين الطوال التي مضت منذ الحكم عليه[1]

١- نقلا عن مقال: «سفاح نساء أوريغون» المنشور على «مجلة الجزيرة» الإلكترونية (العدد: ١٤٤) بتاريخ: (الثلاثاء ١٦ شعبان ١٤٢٦). بقلم: وليد الشهري.

١٦ بيتر ستكلايف

سفاح يوركشاير



طُوَال خمس سنوات كاملة ظلت كُلٌّ من مدينة «مانشستر ويوركشاير» في حالة من الرعب لم تنته إلا بإلقاء القبض على السفاح الذي قتل ثلاث عشرة امرأة باستخدام ثلاث آلات هي: المَطْرَقة والسكين والمِفَك، فضلا عن تخطيطه لمحاولة قتل سبع نساء أُخْريات...

وقد تمَّ اعتقاله حينما كان برفقة «أوليف ريفرز» في «شيفيلد» حيث كانت سيارته تحمل أرقامًا مزوَّرة عندما أوقفتْه الشرطة، وعثروا على عِدَّة القتل في صندوق السيارة، وبعد يومين اعترف بجرائمه.

وبالرغم من أن القضية قد مضى عليها وقت طويل إلا أن شهودها وضحاياها ما زالوا تحت تأثير رُعْبها، فحتى الناس العاديين ما زالوا يتذكرون ذلك الرعب الذي عاشوه إبَّان تلك الفترة.

وقد حُكِمَ بسجْن السفاح المدعو «بيتر ستكلايف» مدي الحياة في ١٦ مايو عام ١٩٨١م. ولكن قضيته تعود للسطح من جديد، ويتفاعل معها المَعْنِيُّون وكل من تابع فصولها بعد أن عرفوا بأن هذا السفاح يحاول أن ينال حُرِّيَّته.

فلقد ذكرتْ بعض المصادر بأنه يُعالَج حاليًا في أحد المستشفيات النفْسية التابعة لأجهزة الأمن على أمل أن يحصل على ما يُتيح له للبدء بحمْلة جديدة تستند إلى كونه قد عُولِج ليُطْلَق سراحُه نهائيًّا من السجن.



وقد أعرب شقيق أولى ضحاياه -التي تمَّ قتلُها قبل (٢٩) سنة مضت- عن غضبه وقال: يجب أن لا يُطْلَق سراحه؛ لأنه أكثر من حيوان مفترس، فقد قتل أُختي، ودمَّر عائلتها، حيث تركتْ خلفها أربعة أطفال.

ومَنْ بين إحدى ضحاياه الثلاث عشرة، والتي نجتْ بأعجوبة كانت السيدة «مارسيلا كلاكستن» حيث كانت في «ليدز» في عام ١٩٧٦م. عندما تعرَّضتْ لهجوم مُرَوِّع قام به السفاك الذي ضربها على رأسها بمطرقته (٩) مرات قبل أن يتركها تلفظ أنفاسها الأخيرة. وتقول مارسيلا: أتذكَّر وجهه جيدًا والرعب والألم لا زال يُحاصر رأسي رغم انقضاء وقت طويل، إنه شيطان ولا ينبغي أن يُخلُّون سبيله، ولا أعرف كيف سيُقْنِع اللجنة

بأنه لم يَعُدْ خطرًا على الآخرين، وقال نائب حزب العمال في البرلمان البريطاني «فابيان هاملتن»: سيكون إطلاق سراحه انتحارًا لوزارة الداخلية.

وهكذا فإن «بيتر ستكلف» لا زال يزرع الرعب في نفوس الناس؛ لأنه اشتهر باسم سفاح «يوركشاير» ولا زالت صورة جرائمه البشعة تطارد حتى الذين نجو منها. ويُذْكَر أنه خلال المحاكمة في عام ١٩٨١م. أصرَّ الأخصَّائي النفْسي على أن القاتل يعاني من «شيزوفرينيا» جنون الارتياب، ويسمع بعض الأصوات، لذلك فقد تمَّ سجْنُه مدى الحياة لارتكابه (١٣) جريمة وسبع محاولات قتْل، كما تم تقديم توصية بشأنه وهي أن يَخْدِم لمدة (٣٠) سنة. يعني في الأشغال الشاقة.

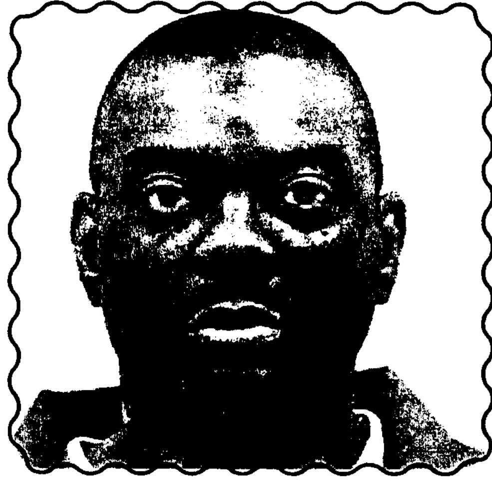
وقد حقَّق كتابٌ نُشِر تحت عنوان «اصطياد سفاح يوركشاير ومانشستر» أفضل المبيعات؛ لأنه تناول تفاصيل دقيقة عن جرائم ذلك القاتل المريض نفسيًّا. الذي حاول أن يخفي دوافع جرائمه، لكنها كانت ذات أبعاد غرائزية بحْتة. كان المجرم يحمل عِدَّة قتْل مغايرة لكل ما هو طبيعي، ويلفُّها حول وسطه بحيث تسمح له بممارسة الرذيلة خلال انغماسه في القتل!

يقول خبير قانوني: «إن القاتل يزعم أنه يسمع أصواتا من العالم الآخر. فإذا كان يندفع على ارتكاب جرائمه على أساس نزوات جنسية، فذلك يعني أنه أكثر من مجنون. لذا فإن إطلاق سراح مثل هذا السفاح المريض نفْسيًّا قد يَخْلِف حالة من الغضب في الشارع البريطاني الذي أبْدى استنكاره لأي مناقشة بهذا الخصوص.[١]

١- نقلا عن مقال منشور في الصحيفة الأجنبية الشهيرة (Daily Express) نقله إلى العربية (منتدى القصص الواقعية) بتاريخ: (الثلاثاء: ٢٨-١٢-٢٠٠٤م.). والموقع العالمي: «Wikipedia, the free encyclopedia». تحت عنوان (Peter Sutcliffe).

١٧ هنري لويس والاس

سفاح النساء



خلال الأسبوع الثاني من مارس ١٩٩٤م، ازدادت الأمور سُوءًا، ففي غضون ثلاثة أيام ارْتُكِبَتْ ثلاث جرائم قتْل أخرى وبنفْس الطريقة المريبة والغامضة، وأثارت هذه الجرائم المتلاحقة غيْظ الشرطة، التي تمكنت من القبض على سفاح نساء تلك المدينة الوديعة الهادئة بالولايات المتحدة الأمريكية: «شارلوت».

ولاحقا وفي اعترافات «هنري لويس والاس» لدى الشرطة، قال: إنه ارتكب أخطاء فادحة بسبب غضبه من إحدى الضحايا، ولم يتخذ الاحتياطات اللازمة لإخفاء نفسه، كأن يُباعد بين أوقات ارتكاب الجرائم، ومحْو بصمات الأصابع، أو حتى غَسْل جثث ضحاياه لإخفاء الأدلة المادية التي قد تقود إليه.

تَدَخُّل مكتب التحقيقات الفيدرالي

في وقت مُبَكِّر من تلك السنة، طلب رجال المباحث في مدينة «شارلوت» مساعدة

مكتب التحقيقات الفيدرالي لتحديد نوع القاتل أو القتَلَة الذين بعثوا الرعب في قلوب أهالي المدينة وروَّعوا الفتيات السمْرَاوات وذويهم.

وأوضح «شاريس كوستون» أستاذ العدالة الجنائية في جامعة ولاية «كارولينا» الشمالية والذي يقوم بتدريس هذه التجربة كمادة علمية لطلابه في الجامعة، أن قضايا «والاس» بالغة التعقيد، وغامضة إلى حد بعيد، تتشابه عناصرها وتتكرر في بعض النواحي، وتختلف في نواحٍ أخرى.

الرقيب المحقق «مكفادين» بذل جهودا جبارة لربْط القضايا ببعضها بعضا، بُغْيَة العثور على خيْط جديد، وقام رجاله باستجواب المُشْتَبه بهم في المدينة ومَنْ لهم أسبقيات جُرْمِيَّة في قضايا العنف، أو الذين يرتكبون مختلف الجرائم ويتمكنون بسهولة من الاختباء من عيون الشرطة.

كما قام المحققون بإعادة استجواب عائلات الضحايا وأصدقائهم.. كانوا يبحثون عن رِباط وثِيق أو حلقة واحدة يلتقي فيها الضحايا، كأن يكون الضحايا قد درسوا في مدرسة واحدة أو شاركوا في فعالية اجتماعية جماعية خاصة، ونشأت بينهم علاقات واتصالات، أو أنهم جميعا أصدقاء لرجل واحد له سِجلّ جنائي.

أدلة جديدة وبارقة أمل

في ٩ مارس من عام ١٩٩٤م غابت «بيتي بايوكوم» عن عملها في مطعم (Bojangles) حيث كانت تشغل منصب مساعد المدير، وهو نفْس المطعم الذي كانت تعمل فيه «كارولين لوف» الضحية الأولى والتي اختفت بصورة مريبة.

اتصل مدير المحل هاتفيا في منزلها، وما من جواب، وكرَّر الاتصال طوال الليل وما من مجيب!! عندما غابت في اليوم التالي، تمَّ إبلاغ الشرطة التي ذهبت إلى شقتها ودخلتْها بمعرفة حارس العمارة، وعُثِرَ عليها بكامل ملابسها..

لقد كان وجهها مُنْكَفِىء على الفراش وقد خُنِقَتْ حتى الموت بواسطة مَنْشَفة. كان

جسدها باردًا وعيناها قد جَحَظتَا. وللمرة الأولى انفرجت أسارير رجال التحقيق، فقد ترك لهم القاتل شيئا يتعقبونه.

فقد تبين لهم أن جهازيْ التلفزيون والفيديو قد سُرِقا. تمّت مراقبة مخارج المدينة لربّما يحاول القاتل بيْعَ الأجهزة المسروقة، وأثناء عملهم وردتْ مكالمة لرجال التحقيق بأن فتاة أخرى اسمها «براندي هندرسون»، عَثَرَ عليها صديقها ميتة.

وكانت المفاجأة أن القتيلة «براندي» والأخرى «بيتي» يسكنان في نفْس العمارة السكنية. والأسوأ من ذلك أن القاتل اعتدى على طفلتها أيضا، وأفاد صديقها بأنه عاد من ورْدِيّته الليلية وعثر على صديقته ميتة في فراشها، وقد أُحِيطَ عنقُها بِمَنْشَفة، وطفلها البالغ من العمر عشرة شهور بين الحياة والموت.. هُرِعَتْ به سيارة الإسعاف إلى المستشفى وتم إنقاذ حياته.

غضب المحققين بسبب الجرائم البشعة

بدأت الأعصاب تفْلِت، وبدأ الدم يغْلي في عروق رجال المباحث، دعاهم رئيس الفريق غاري لاجتماع عاجل في وقت مُبكّر من صباح اليوم التالي لمناقشة الوضْع الحرِج الذي خرج عن السيطرة، واتفق الجميع على إعادة التحقيق مع أقارب وأصدقاء الضحايا، وأن يُدَوِّن كل واحد قائمة بأسماء معارف كل ضحية ومقارنة تلك الأسماء والتركيز على الأسماء المشتركة، ولاحت بارقة أمَل.. فقد تكرر اسم «هنري لويس والاس» في كل القوائم.

القتيلتان «شوانا هوك» و«أودري أسبين» كانتا تعملان في مطعم «تاكو بيل»، الذي كان يُدِيره هنري والاس.. أما الضحية «فالنسيا» فقد كانت صديقة حميمة «لإيفون» شقيقة «هنري والاس».. أما «ميشيل ستينسون» فقد كانت زبونة دائمة للمطعم وكثيرًا ما كانت تتبادل الأحاديث مع هنري والاس..

وكانت «فانيسا ماك» شقيقة صديقة سابقة لهنري والاس.. أما «بيتي» الضحية قبل

الأخيرة كانت صديقة خطيبة والاس: «سادي ماكنايت».. والضحية الأخيرة «براندي هندرسون» هي صديقة لـــ «أمار وودز» وهو صديق والاس. كما توصَّل المحققون إلى أن «كارولين لوف» المفقودة تربطها علاقة صداقة مع هنري والاس وصديقته، ويتبادلون الزيارات بانتظام.

ليلة القبض على السفاح

لقد بدأت الحلقات المفقودة في تلك الجرائم تتجمَّع لفريق التحقيق الجنائي، ولَمَعَتْ عينا الرقيب «مكفادين» عندما اكتشف أنه طلب ذات مرة من المُشْتَبَه به المجِيء للمحكمة بتهمة سرقة ولكنه لم يحضر.

وكعادة المحققين فقد بدؤوا بالحلقة الأضعف، حيث ذهبوا إلى صديقة هنري والاس المدعوة «سادي ماكنايت»، التي ثارت ثائرتها عندما همس لها أحد المحققين بأن صديقها العزيز مُشْتَبَه به، كانت مفاجأة أدخلتْها في صدمة، فقد كان هذا المحقَّق رقيقًا معها كالنِّسْمة، يُقدِّم إليها الهدايا طوال الوقت..

كانت الهدايا عبارة عن أساوِر وخواتم وقلادات ذهبية، ولم تكن تدري أن كل تلك الهدايا تعود لفتيات قُتِلنَ بوحشية.

أسرع المحققون إلى مكان تواجد «والاس» ولم يُعثر عليه في مقرِّ إقامته، وتم البحث عنه في جميع الأماكن التي يتردد عليها، وفي الخامسة من مساء يوم ١٢ مارس، أُلْقِيَ القبض على المشتبه به.. كان رصينًا هادئا جدا، واستسلم دون مقاومة، وبينما كانت القيود اللامعة الفِضِّية تتلألأ في يديْه عثرت الشرطة على قتيلة أخرى اسمها «ديبرا سلوتر»، تعرضتْ هي الأخرى للاغتصاب والضرْب والطعْن والخَنْق بقُماش من الكِتَّان الأبيض.

انهيار في مكتب التحقيق

الْتفَّ العديد من الرجال حول طاولة طويلة تحت الأضواء الكاشفة، في البداية

وجّه له الرجال الغاضبون تُهمة السرقة في القضية التي غاب عنها في المحكمة، وتناوب المحققون على توجيه الأسئلة بكل صبْر وجَلَدٍ دون أن يعطوه الفرصة لاستجماع أفكاره المشتتة.

وبعد ساعات قليلة انهار السفاح واعترف بقتْل تسع فتيات سُود، كما اعترف بقتل فتاة ليْلٍ وأخفى جثتها في منطقة نائية. وبعد خمس ساعات من التحقيق المتواصل أفرغ السفاح ما في جُعْبَته من تفاصيل مقزِّزة، وردَّد حتى كلمات الضحايا الأخيرة التي قلنها وهن يتوسلن إليه.

ورغم أنه سرق معظم ضحاياه قبل أن يخنقهن، فإن ممارسة الرذيلة والشذوذ والسرقة كانت دوافع حقيقية وراء جرائمه، كما أنه من خلال ارتكاب تلك الجرائم أراد أن ينتقم من المجتمع بعد أن خرج وانفصل من وظائف عديدة في مقدمتها البحرية الأميركية، وكان محتاجا للمال أيضا ليُنفق على صديقته وعلى تعاطِي المخدرات، وكان السبيل الوحيد لذلك هو سرقة معارفه من الفتيات.

حقق مع المتهم الرقيب «باتريك ساندرز» الذي وصفتْه صحيفة «الأوبزرفر شارلوت» بالهادئ، والقادر على المناقشة والاستجواب المنطقي، وانضم إليه المتحرُّون «غاري مكفادين»، و«داريل برايس»، و«وليام وارد»، و«كوروين مارك أنتوني رايس».

وفيما يلي وصْف مُوجِز لما حدث في مشاهد القتْل التي تقْشَعِرُّ لها الأبدان..

الخَنْق على طريقة المصارعين

أُولَى الضحايا كانت «كارولين لوف»، وهي زميلة صديقته «سادي ماكنايت» وتسكن معها في شقة واحدة، وكان السفاح قد سرق مفتاح الشقة من صديقته حينما عرف أن الضحية ستأتي وحدها..

تمكَّن السفاح من فتح الشقة واختبأ في الحمَّام وانتظر عودتها من العمل، وعندما دخلت إلى شقتها آمِنة فُوجِئت به، فلم يُمْهلها طويلا وطلب منها ممارسة الرذيلة،

وعندما رفضت وحاولت مقاومته أمسكها على طريقة المصارعين وشلَّ حركتها حتى فارقت الحياة، ثم نقلها إلى غرفة نومها وأزال ثيابها، ولفَّها بملاءة السرير، وربطها في كيس قمامة وحمَلها لسيارته، ثم عاد إلى شقتها لإزالة أيَّة آثار قد تقود إليه.

ذهب السفاح بالجثة إلى مكان صحراوي بعيد وألقاها هناك، وعاد إليها بعد يومين وكانت قد تحلَّلت تقريبا، وبعد حوالي أسبوع عاد إليها ووجدها قد تحولت إلى كوم من العظام.

وجاء في اعترافاته بأنه لم يكن ينوي قتْل الضحية الثانية «شوانا هوك»، فقد قابلها عند عودتها من الكُلية، وتبادل معها الحديث، وعندما اكتشف غياب والدتها خطرت له الفكرة اللعينة، وقام بخنْقها وشلَّ حركتَها على طريقة المصارعين أيضا حتى لفظتْ أنفاسها، ثم أخذها إلى بانيو الحمَّام وملأه بالماء وغطَّسها فيه، وقبل أن يغادر المنزل قام بتنظيف المكان وسرق ٥٠ دولارًا من حقيبتها ثم رحل.

اغتصاب بوحشية وحريق متعمد للتضليل

أما بالنسبة لـــلضحية «أودري أسبين»، فقد اعترف السفاح بأنها عادت من عُطْلة وزارها كما يزعم لإلقاء التحية، ولكن كان في نيته السرقة، وأثناء جلوسهما أخرج قطعة مخدرات وتعاطياها معا، وعندما تخدَّرت العقول سألها عن أموالها التي لديها في الشقة، وقبل أن ترد طرحها أرضًا وأمسكها مسْكَته العجيبة، لكنها أخرجت رأسها كعصفورة صغيرة وتوسَّلتْ إليه أن يتركها، فتركها وطلب منها خلْع ملابسها، ثم هتك عرضها وخنقها حتى الموت، ثم سرق بطاقتيْ الفيزا وماستر كارد.

وحش بمعنى الكلمة

«فالنسيا كانت مثل شقيقتي الصغيرة ولا أعرف لماذا قتلتها بوحشية»، هكذا بدأ اعتراف السفاح بقتلها، وقال: إنه في تلك الليلة علم أنها في شقتها، فذهب إليها، وبِحُكْم معرفتها اللصيقة به دعتْه إلى الداخل، وأخبرها بأنه في خلاف مع صديقته ويريد

أن يتحدث إلى أي شخص، وبعد دقائق طلب منها الاتصال بصديقته لتخبرها بأن أمر الخلاف قد انتهى وأن السَّمْن في انتظار العسل!

وعندما أشاحت بوجهها لاستخدام الهاتف أمسكها مسكة المصارعين وشلَّ حركتها، تيقَّنت الفتاة أن ساعة رحيلها إلى السماء قد أزِفت، فتوسلت إليه أن يتركها وشأنها، وأنها ستفعل ما يطلبه منها!!

وعندما قام السفاح بإشباع رغباته الشاذة معها باشمئزاز بالغ قبل أن يخنقها مرة ثانية، ذهب إلى المطبخ، وأخذ زجاجة خمْر وصبَّها على الجسد المطروح الضعيف، وعاد إلى المطبخ مرة أخرى وفتح عُلْبة من لحم الخنزير والفول ووضع محتوياتها على المُوقِد بعد أن أشعله على درجة حرارة عالية، ثم قام بنزع بطارية كاشف الدخان، ونزع أيضا سلسلة ذهبية من عنقها وأشعل النار في الجثة وغادر في هدوء إلى منزله.

سادية.. وإهانة

وأما بالنسبة للضحية «ستينسون»، فقد ذهب إليها حوالي الساعة ١١ مساء، وكان هدفه الوحيد هو اغتصابها وليس سرقتها، دقَّ جرس الباب ودرْدَش معها للحظات، وادَّعى العطَش وطلب كُوبًا من الماء، وعندما أرادت تقديم الماء انقض عليها كفريسة سهلة، وشلَّ حركتها، ثم مارس الرذيلة معها بوحشية، وأخذ مِنْشَفة من الحمام وخنقها.. لقد كانت «ستينسون»، تبكي بكاءً خافتًا وتتألم، إلا أن ذلك لم يشفع لها، وحتى يتأكد من مفارقتها الحياة طعنها بسكين المطبخ أربع مرات.

فانيسا ماك

أما الضحية «فانيسا ماك» فقد كان يعرف أن حالتها المادية جيدة، ولديها أموال في البنك، ودائما تحمِل بطاقة صَرْف آلِيٍّ، حيث إنها تعمل في وظيفة محترمة، وقد دفعه المال لارتكاب هذه الجريمة، فقد كان في حاجة إليه لشراء المخدرات، وعقاقير الهلوسة.

كان مستعدًّا لتلك الليلة، حمل معه كيس مِخدَّة وخبَّأه تحت سُتْرته، دخل كأحد أفراد

الأُسرة، فهي تعرفه تماما، وعندما ذهبت للمطبخ لجَلْب مشروب الصُّودا الذي طلبه لَحِق بها ووضع كيس المخدَّة على رأسها بقوة، وسألها عن المال وعن بطاقة الصرْف والرقم السري الخاص بها.

أخبرتْه المسكينة بمكانها وهي ترتجف بين يديه، طلب منها إشباع غريزته الهوجاء، ولم تكن المسكينة في موقف من يستطيع الرفض، ولكنها استأذنتْه في وضْع طِفْلها الرضيع على الفراش، فقد كان الطفل نائما على الأريكة بالقُرب منهما، تظاهر بالموافقة، وجعلها تذهب، لكنه لحق بها وخنقها بالكيس مرة أخرى في تصرُّف سادي ولم يتركها إلا وهي جثة هامدة. وقال في اعترافاته إنه عندما أراد استخدام بطاقة الصرف الآلي ذلك المساء اكتشف بأن ضحيته قد أعطتْه رقما وهميًّا.

القَشَّة التي قصمتْ ظَهْر البعير

أما «بيتي بايوكوم» فقد كانت إحدى مُشْرِفات مطْعم (Bojangles) وكانت تحتفظ بمفاتيح الخزانة وعلى عِلْم بشفرة الإنذار التي وضعتْها إدارة المحل ضد السرقة، لقد بيَّتَ السفاح نيَّته لسرقتها حتى يتمكن لاحقا من السطْو على المحل، ذهب إليها.. ففتحت الباب.. طلب استخدام هاتفها، فسمحت له بذلك، تظاهر بالبحث عن رقم معين في دليل الهاتف، إلا أنه كان يترقب كل حركة من حركاتها، عندما أدارتْ ظهرها، طلب منها أن تتعرَّى، رفضتْ طلبه بكل قوة، حيث لم يَقُم هذه المرة بإمساكها وتهديدها وإنما طلب ذلك مباشرة.

وحدثت مشاجرة غير متكافئة بين الطرفين، تمكنت من عضِّه في كتْفه، تملَّكه الغضب وقام بطرحها على الأرض واغتصابها في وحشية، ثم وضع قطعة قماش حول رقبتها، وتمكن من الاستيلاء على بعض النقود من حقيبتها، ونزع سلسلة ذهبية من عنقها، ثم خنقها حتى فارقت الحياة. كان منفعلا للغاية من مواجهة الفتاة له مما جعله يرتكب حماقة قادتْه لاحقا إلى حبْل المشنقة، فقد سرق جهازي تلفزيون وفيديو، ونقل المسروقات إلى سيارتها، وباعها لاحقًا ثم ترك السيارة في مكان بعيد ومسح آثار البصمات تماما.

بعد ذلك ذهب إلى منزل صديقه «لامار وودز» وهو يعلم أن الأخير في وظيفته الليلية وصديقته «براندي هندرسون» وحدها في الشقة ومعها طفلها، طرَق الباب بكل ثقة وعندما أجابت أخبرها بأنه يريد أن يسلمها غرضًا لصديقه، دعتْه يدخل، ولم تفطن إلى أن ملك الموت قد دخل معه أيضا!

وفجأة لم يدعها ذلك السفاح تدري ما يدور، فقد كان غاضبا كما ذكرنا، وأمسك رقبتها بيده، واستولى على ١٥ دولارًا ثم أخذها إلى سريرها حيث قضى رغبته في همجية وحيوانية..

جلست المسكينة على الأرض وبدأت تتوسل إليه أن يتركها.. ثم أمرها بالنهوض ليعانقها، وعندما أرادت تنفيذ ذلك، قام بضمها بقوة وخنَقها حتى ماتت بين يديه، كان طفلها في مَهْده يراقب الموقف، وبدأ يصرخ عاليا، خاف السفاح من أن صراخه سوف يفضحه بين الجيران، فخنق الطفل حتى سكت، وظن أنه مات لكن قدَر الطفل لم يَحِن بعد.

الاعتراف بقتْل فتاة ليْل

كالأخريات كانت نهاية «ديبرا سلوتر»، فبالرغم من أنها لم تكن مستسلمة لقدَرها مثلهن، فقد واجهتْه وقالت له إن الشكوك كانت تدور حوله، لكنها تأكدت من ذلك لحظتها تلك، بدأت تصرخ طالبة النجدة واستطاعت أن تجري إلى المطبخ وتأخذ سكّينًا في يدها، لكن السفاح تمكن بقوته من أخْذ السكين منها، ثم قام بتسديد حوالي ٢٠ طعنة إليها.

وبعد أن قتلَها وسرق ٦٠ دولارا غادر لشراء بعض الكوكايين، وعاد ثانية إلى شقتها وتعاطَى المخدرات في تلذُّذ سادي بجوار الجثة. وأضاف سفاح النساء في اعترافاته أنه وفي عام ١٩٩٢م. تمكَّن من قتْل فتاة ليل، بضرْبِها حتى الموت، وأخذها في سيارته إلى منطقة مهجورة بالقرب من خطوط السكك الحديدية.

على مدى أسبوعين رافق رجال المباحث السفاح «والاس» في كل الأمكنة التي ذهب إليها والتي لها صلة بجرائمه البشعة، وتم تسجيل كل شاردة وواردة، واستكمال كافة الإجراءات الروتينية.

وفي يوم ٤ أبريل من عام ١٩٩٤م، تمَّ رسْميًّا توجيه الاتهام للسفاح، تسع تُهَم بالقتل العمْد، فضلا عن حِزْمة تُهم أخرى، في مقدمتها الاغتصاب بدرجتيْه الأولى والثانية والاعتداء الجنسي، والاعتداء البدَني بأسلحة بيضاء، وكذلك الاعتداء على أطفال تحت سن ١٢ سنة، وبالطبع السرقة والسلْب.

وفي يوم ٥ يونيو عام ١٩٩٨م، صدر الحكم على السفاح بالإعدام، وقد تمَّ استئناف الحكم عدة مرات، لكن المحكمة العليا الأمريكية في عام ٢٠٠١م. رفضت الاستئناف الذي قدمه محامو السفاح [1].

١- نقلا عن مقال: « اعترافات «سفاح السمْراوات» في ليلة القبض عليه.. انتقام من المجتمع ولذة في القتل» المنشور في صحيفة: «العرب» بتاريخ: (الثلاثاء ٨ يونيو ٢٠١٠م - الموافق ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ). والموقع العالمي: «Wikipedia.the free encyclopedia »، تحت عنوان (Henry Louis Wallace). والموقع الأجنبي: (Crime) تحت عنوان (Henry Louis Wallace).







صور خمس من ضحايا السفاح والاس.

المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم.

٢- الموسوعة العربية العالمية.

٣- معجم اللغة العربية المعاصرة. للأستاذ أحمد مختار عمر.

٤- المعجم الوسيط. مجموعة علماء.

٥- المعجم الغَني. عبد الغني أبو العزم

٦- مجلة (البيان).

المواقع والصحف العربية

١- الموقع العربي (نبأ نيوز).

٢- الموقع العربي (كذا ميزا/ As well as Mesa).

٣- الموقع الإلكتروني: صحيفة العرب القطرية.

٤- جريدة النور السورية.

٥- الموقع العربي «مملكة الخوف/ Kingdom of Fear ».

٦- الموقع العربي (كابوس/ Nightmare).

٧- صحيفة «الوسط البحرينية».

٨- «مجلة الجزيرة» الإلكترونية.

٩- الموقع العربي (منتدى القَصص الواقعية).

المواقع والصحف الأجنبية والعالمية

١- الصحيفة الإنكليزية: (إكسبرس/ Daily Express).

٢- الموقع العالمي: «Wikipedia، the free encyclopedia ».

٣- الموقع الأجنبي (Journal of Criminology).

٤- الموقع الأجنبي (Journal Vladlivia).

٥- موقع (Library of the crime.).
٦- الموقع الإنجليزي « Journal of incest».
٧- الموقع الأجنبي (Horror site).
٨- الموقع الأجنبي (The mysterious world of news).
٩- صحيفة «ديلي تايمز/ Daily Times».
١٠- الموقع الأجنبي: (Crime Library).
١١- الموقع الأجنبي (Exhibition of Soviet archives).
١٢- الموقع الروسي: (Архив Ростовский областной суд).
١٣- الموقع الروسي (Преступность и расследованию).
١٤- الصحيفة الأمريكية: (نيويورك تايمز/ The New York Times)
١٥- الموقع الأجنبي (People magazine).
١٦- الموقع الأجنبي (Holocaust Encyclopedia).
١٧- الموقع الأجنبي (Killers in history).
١٨- الموقع الأجنبي (Hillalom).
١٩- الموقع الإخباري العالمي (بي بي سي/ BBC News).
٢٠- الموقع البريطاني (Telegraph، London).
٢١- الموقع الأجنبي (Thugs).
٢٢- الموقع الأجنبي (Chronicles of Crime).
٢٣- الموقع الأجنبي (The Zodiac Killer).
٢٤- الموقع الأجنبي (zodiackiller.com).
٢٥- الموقع الأجنبي (Zodiac ٢٠٠٧ (IMDb)).
٢٦- الموقع الأجنبي: (Crime).

الفهرس


أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ؟!!